المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ندوة الإمام مالك
إمام دار الهجرة

دورة القاضي عياض

الجزء الثالث

مراكش
13-14-15 جمادى الأولى 1401
20-21-22 مـــارس 1981

مع عياض في كتاب الشفا

العلامة : الحاج أحمد بن شقرون

«الإمام القاضي عياض»

جاء في الموسوعة العربية الميسرة ـ ص 1246 ـ ما يلي :

عياض (1083 ـ 1149)

مؤرخ، وفقيه، وشاعر مغربي ـ

ولد في سبتة، درس على ابن رشد وعلى غيره من علماء أيامه.

تولى التعليم والقضاء في سبتة وقرطبة

ألف «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».

بسم الله الرحمن الرحيم

مع عياض في كتاب الشفا

لقد وفق الله الإمام القاضي عياض اليحصبي فجمع في كتابه : «الشفا» مالم يجمعه غيره من شمائل المصطفى سيدي محمد صلى الله عليه وسلم وبمناسبة الندوة التي دعت إليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رأيت أن أقوم برحلة في هذا الكتاب النفيس الجامع وأن أكون صحبة هذا الإمام الجليل الذي أكرمه الله بفضيلة العلم وفضيلة العمل به. فوقفت عند قول الله تعالى :

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم» حيث قال الإمام : قرئ «من أنفسكم» بضم الفاء على معنى أنكم تعرفونه حق المعرفة وتتحققون مكانته وصدقه فلا تتهمونه أبدا بالكذب وترك النصيحة وقرئ «من أنفسكم» بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم وأرفعكم قدرا وهذه نهاية المدح والثناء بنص كتاب الله تعالى وعلى ذلك فهو رحمة الله للعالمين، وللخلق أجمعين بها نجا من نجا. وبها وصل لخير الدارين من وصل ولذلك جاء في الصحيح : إنما أنا رحمة فهداة، وورد : حياتي خير لكم - ومماتي خير لكم، لأنه في حياته صلى الله عليه وسلم علمنا الشريعة. وهو في مماته فرطنا على حوضه الذي لا يظمأ من شرب منه أبدا - قال تعالى :

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

ثم قال الإمام : لقد رفع الله قدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أتاني جبريل فقال لي : إن ربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : إذا ذكرت ذكرت معى.

ثم قال : لقد فتح الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا.

وهدى به بعد الضلالة، وعلم به بعد الجهالة، ورفع به بعد الخمالة.

وورد في حقه :

«قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

ثم قال الإمام :

لقد زكى الله فؤاده فقال : «ما كذب الفؤاد ما رآى» ولقد زكى لسانه فقال : «(وما ينطق عن الهوى)، ولقد زكى بصره فقال : (ما زاغ البصر وما طغى)».

وأثنى عليه عظيم الثناء فقال : **(وإنك لعلى خلق عظيم).**

وهكذا نرى أن الإمام رحمه الله يكتب ببلاغته النادرة فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن العظيم وهو أعظم مصدر للحديث عن سيد الخلائق الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) والذي شهد له العظيم بخلقه العظيم، فصار كل من أثنى عليه بعد ذلك من الكتاب والشعراء إنما يثنون على أنفسهم بالثناء على حبيب الله ومصطفاه - ثم قال الإمام :

روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله : لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى : أن بعثك آخر الأنبياء، وذكرك في أولهم فقال :

«وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا».

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أهل النار يودون لو أنهم كانوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون. يقولون :

«ياليتنا أطعنا الله، وأطعنا الرسول».

هكذا يأتي الإمام بحجج أخرى من صميم القرآن تدل على أسبقية النبي صلى الله عليه وسلم وأفضليته حيث ذكر في القرآن قبل نوح مع أنه كان آخر الأنبياء بعثة وكلهم بعثوا قبله ومع ذلك احتفظ بمكانته العظمى عند الله تعالى

بدليل قوله تعالى «ومنك ومن نوح» ومن ذلك قول أهل النار الذين يتأسفون وهم في النار على عدم طاعتهم اياه ليسلموا من العذاب في الآخرة.

ثم قال الإمام : لقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة، والرسالة، فقال : يأيها النبيء، يأيها الرسول، ونقل عن جعفر بن محمد رضي الله عنه قوله :

من تمام نعمته عليه، أن جعله حبيبه، وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأسود والأحمر، وأحل له ولأمته الغنائم وجعله سيد ولد آدم، وقرن رضاه برضاه، وجعله أحد ركنى التوحيد، وغلق على ذلك فقال :

فهو في قوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، نسيج وحده.

- عصمه الله من الناس فقال :

«والله يعصمك من الناس».

- ونصره على أعدائه فقال :

«الا تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» وهكذا يؤكد الإمام على فضائل هذا النبي العظيم شرف نسب، وقوة عقل، وقوة بيان، وفصاحة لسان علاوة على الحلم والصبر والعدل والتواضع والعفو والعفة، والجود والشجاعة والحياء والاسراء والمعراج والحكمة والسبع المثاني وصلاة الله والملائكة عليه.

قال الإمام : لقد أوتي جوامع الكلم، مع أنه النبي الأمى استمع إلى هذا الدعاء البليغ من كلام نبي الرحمة :

«اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي، وتجمع بها أمرى، وتلم بها شعتى، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملي، وتلهمني بها رشدى، وترد بها الفتن، وتعصمنى بها من كل سوء».

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله :

لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وتألموا له جدا فقالوا له : لو دعوت عليهم فقال : إني لم أبعث لعانا. ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وفي التعليق على ذلك قال بأسلوبه البليغ الجامع : انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم، ودعا لهم، مظهرا سبب الشفقة والرحمة بقوله : لقومي ومعتذرا عنهم بجهلهم بقوله : فإنهم لا يعلمون قالت عائشة رضي الله عنها :

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله.

- وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم في وقت صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل **(وهو الذي كف أيديهم عنكم)** الآية.

وقال عمران بن حصين : ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله :

أما عن شجاعته صلى الله عليه وسلم فإنه كان قد حضر المواقف الصعبة ثابتا لا يبرح ومقبلا لا يدبر ولا يتزحزح، وما من شجاع إلا وقد احصيت عنه فرة سوى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال سيدنا علي رضي الله عنه :

كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق أتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. وكنا يوم بدر نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان يومئذ من أشد الناس بأسا.

ثم قال الإمام: وكان لا يشافه أحدا بمكروه حياء وكرم نفس.

ونقل عن سيدنا علي قوله:

كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة. وأكرمهم عشيرة.

قال عبد الله بن الحارث:

ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أنس كان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم. قال تعالى:

«فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك».

وعن تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم قال الإمام:

إنه حج على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال: اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة. وفتحت عليه الأرض في حجه ذلك فأهدى مائة بدنة.

وأما عن جوامع كلمة فقالت عائشة رضي الله عنها كان يحدث حديثا لوعده العاد لاحصاه.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله.

ـ كانت المعرفة رأس ماله. وذكر الله أنيسه. والثقة بالله كنزه ـ والعلم سلاحه... والصبر رداءه ـ والرضى غنيمته. واليقين قوته. والجهاد خلقه وجعلت قرة عينه في الصلاة.

ـ وكان يخزن لسانه إلا مما يعني.

ـ وكان لا يذم أحدا. ولا يطلب عورته. ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه.

- قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن برضاه يرضى. وبسخطه يسخط.

- كان الحسن إذا حدث بقصة حنين الجذع قال : يا عباد الله : الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه - وأنتم بما لكم من إدراك وتمييز أحق بالشوق إلى لقائه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول :

«جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»

فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه. ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم.

قال تعالى :

«فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يومن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون».

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله :

والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو :

«تصديق نبوته ورسالة الله له».

وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله. ومطابقة تصديق القلب بشهادة اللسان. وإذا وجب الإيمان به. وجب تصديقه فيما جاء به.

قال تعالى :

«وما آتاكم الرسول فخذوه - وما نهاكم عنه فانتهوا».

وجاء في تفسير قوله تعالى :

«والعمل الصالح يرفعـــه».

إنه الاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم.

هكذا نكون قد أتينا على آخر الفقرات النيرة التي لفتت نظرنا ونحن نقوم برحلة ممتعة في كتاب «الشفا» للإمام العلامة الجليل القاضي عياض رحمه الله قصدنا بها المشاركة في هذه الندوة المباركة لنؤكد على التحام الكتاب والسنة الصحيحة وتلازمهما تلازما أبديا سرمديا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حملنا على ذلك ما أصبحنا نسمعه من إمكان الاقتصار على القرآن من غير ما حاجة إلى السنة. مع أن الله تعالى خاطب في القرآن العظيم نبيه الكريم. بقوله :

«وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم»

فإذا قال القرآن :

«السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما».

قالت السنة :

«من الكوعين وتحسمان بالنار».

وهذا معنى التبيين للناس ليرتفع وهم القطع من المرفقين أو الكتفين. ومثل ذلك الصلوات وأعداد ركعاتها.

ومثل ذلك الزكوات ومقاديرها.

أتينا بذلك على سبيل المثال ردا على من يقول بالفصل بين الكتاب والسنة.

وقد أجاد الإمام أبو الفضل رحمه الله في تعداد شمائل المصطفى في كتابه «الشفا» اجادة جعلت كتابه في مقدمة الكتب التي ألفت في هذا المنزع الشريف. ودعا في تضاعيفه وثناياه بالحجج الدامغة الى ضرورة الربط بين الكتاب والسنة **«والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم».**

منهجية القاضي عياض
في كتاب التنبيهات

الدكتور : محمد المختار ولد باه الشنقيطيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجية القاضي عياض
في كتاب التنبيهات

1 ـ مقدمـــــة :

كتاب التنبيهات (1) المستنبطـة على الكتب المـدونة والمختلطـة (2). ألفه القاضي عياض كمجموع على كتاب المدونة. ليحقق رواياتها المختلفة. ويضبط أعلامها المهملة وأسانيدها المضطربة. ويحل الغوامض الفقهية التي ارتجت على أهل حفظها ودرسها.

والمدونة في حاجة حقا إلى هذه التعاليق والطرر. وذلك لأسباب تعود إلى أهميتها بالنسبة لنشأة المذهب المالكي وتطوره. وإلى ظروف تأليفها وتصنيفها. وما ترسب فيها من اختلاط نتيجة تعدد أصولها ومؤلفيها.

قصة كتابه المدونة قصة مشهورة. نوجزها فيما يلي : لقد أخذها أولا أسد ابن الفرات في العراق في شكل مسائل تدارسها مع محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة. ثم جاء إلى مصر ليردها إلى المذهب المالكي. فاتصل بأشهب فلم

1) لقد اعتمدت في هذه الدراسة على نسختين خطيتين وهما :
- نسخة الخزانة الملكية، وهي جيدة الخط. الا أن فيها بياضات كثيرة من كتب جدنا بابا ابن أحمد بيبة. نسخة ابن عمه وانتهت عند باب السلم الثاني وفي أولها بحيث لا يستعمل منها الا ابتداء من كتاب الزكاة.
- كما تصفحت النسخة الموجودة في الخزانة العامة.

2) واعتمدت في دراسة المدونة : النسخة المطبوعة في القاهرة 1323.

يرض عن رأيه. وحاول مع ابن وهب فلم تنجح محاولته. ولقى عبد الرحمن ابن القاسم. فقبل أن يساعده فأجاب عن أسئلته بما سمع عن مالك. وبرأيه على أصول مالك. فصار هذا الأصل الأول المعروف بالأسدية : أو «كتاب المصريين» كما يقول القاضي عياض في التنبيهات.

وحين عاد أسد إلى القيروان. تلطف اليه سحنون. فاستنسخها منه. ثم رحل إلى مصر. وراجعها من جديد على ابن القاسم. فغير هذا الأخير رأيه في بعض القضايا ونزع منها ما انتقده أهل القيروان من ألفاظ «أظن. اخلال»... ويحكى مؤرخو التشريع أن ابن القاسم طلب من أسد أن يصحح كتابه على نسخة سحنون فأنف عن ذلك. ومن أجل ذلك رفض العلماء كتاب الأسدية (3).

ثم أن سحنونا لم يكتف بمراجعة كتابه مع ابن القاسم. فانه هذب مدونته وبوبها. كما أنه حرص أن يأتي بالأحاديث والاثار التي تعطي أصول المسائل. حتى صارت تحتوي على أربعة آلاف حديث. وستة وثلاثين من الاثار أوردها سحنون عن ابن وهب في أغلب الأحوال. أو من روايات عن وكيع بن الجراح. وابن مهدي. وابراهيم النخعي. وعن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي وغيرهم.

وتلقى الناس كتاب سحنون بالقبول والرضى. فقالوا إنه بالنسبة للمذهب المالكي. كام القرآن في الصلاة : يغني عن كل كتاب ولا يغنى عنه أي كتاب. فاختصره بعض أعلام المذهب مثل ابن أبي زيد القيرواني. وابن أبي زمنين. واشتهر اختصار البرادعي وداع بين الناس. ثم كتبت عليها الطرر والحواشي والتعاليق (4).

ويقول ابن خلدون «أن الناس قد أقبلوا على المدونة رغم ما فيها من الاختلاط». فكانت تسمى بالمدونة والمختلطة. وقد يظن البعض أن «المختلطة»

3) تحدث القاضي عياض عدة مرات في التنبيهات عن كتاب «الأسدية» كأصل مستقل. وقد اختصرها محمد ابن عبد الحكم وأبو زيد بن أبي الغمر.

4) ومن عناية العلماء بالمدونة ما يحكى أن ابن التبان درسها ألف مرة. وأن عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي أملاها من حفظه بعد احراقها من طرف الموحدين.

موضوعة على الأسدية. غير أننا نميل إلى ما صرح به ابن خلدون (5). وأن ما يعنيه القاضي عياض بالكتب المدونة والمختلطة هو «المدونة الكبرى» المعروفة. وأنه ذكر «الكتب» بصيغة الجمع إشارة إلى مجموعة الكتب التي تعنون المسائل. وقد ذكر أن الأسدية تحتوي ستين كتابا (6).

إن «الاختلاط» الملاحظ في المدونة. يظهر في اضطراب تبويبها. وتداخل المسائل في هذه الأبواب وفي عدم احكام وضع الآثار مع المسائل الفقهية والأمثلة التالية توضح ما نعني في هذا السبيل.

فلقد تكررت الأبواب التي تعالج موضوعا واحدا. مثل كتاب الحج الأول والثاني والثالث. دون أن نعرف بديهيا سبب هذا التكرار. وقد تنبه القاضي عياض لهذا التكرار. واجمل جميع تعليقاته في هذا الباب تحت كتاب واحد في الحج. ثم أن «كتب الهبة» قد تكررت بدون ترتيب في بابين يفصل بينهما «كتاب الحبس». كما أننا نجد مسائل منها في أبواب لا علاقة بينها. فوردت مسائل من «الايلاء» في كتاب الحدود. وأخرى من «القذف» في باب السرقة. وقضايا من «أحكام الصلاة» في كتاب الجراحات. وأحكاما تعنى «العبد الابق» في مسائل «القسم بين الزوجات».

ونلاحظ أن وضع الاثار في المدونة لم يكن شاملا ولا كاملا الترتيب. ففي بعض الأبواب يأتي سحنون في آخر الكتب بالاثار التي رواها في المسائل المعالجة. غير أننا في عدة أبواب لا نرى أثرا للآثار. وهذا واضح في كتب الحج الثلاثة التي لم يذكر فيها غير ابن القاسم ومالك. في كتب الهبة والحدود والاكرية والحرابة. كما تقل الاثار أو تختفي في الرهن والغصب والاستحقاق. والاقضة والشركة...

---

5) راجع مقدمة ابن خلدون.

6) راجع كتاب المدارك ج 3.

وقراءة سريعة لكتاب التنبيهات لا تعطينا التقويم، والتفسير التاريخي لهذا الاختلاط. فالقاضي عياض لم يقدم لنا كتاب المدونة بصورة اجمالية ولعله اكتفى بما ذكره عنها في ترجمة أسد ابن الفرات في ترتيب المدارك (7). ثم ركز اهتمامه على تفاصيل تصويب الرواية، وتصحيح الأسانيد، وشرح الألفاظ المغلطة، وتبيين أصول الاصطلاحات الشرعية، واستجلاء الغوامض الفقهية.

ولا شك أن عياضا كان مؤهلا للقيام بهذا العمل. فلقد أتيح له أن يدرس هذا الكتاب على حذاق الشيوخ أمثال ابن عتاب، وابن عيسى التميمي، كما عرف اهتمامه بعلمي الحديث والفقه ورجالهما في دراسته لكتب الموطأ والبخاري ومسلم في «كتاب مشارق الأنوار» وفي كتاب ترتيب المدارك، وتمكنه من مسائل اللغة العربية المتجلى في «كتاب بغية الرائد»، وكل هذا يعطي أهمية بالغة لكتاب التنبيهات الذي لم يقدر له إلى الآن أن يحقق وأن ينشر. ولعل اهماله يعود إلى كون الفقهاء المالكية منذ القرن السابع، استبدلوا أمهات المذهب بدراسة كتب المختصرات المعروفة.

صحيح أن كثيرا من الشراح والمحشين أخذوا الكثير من هذا الكتاب، إذ كان عليه المعول «في حل ألفاظ المدونة وحل مشكلاتها، وتحرير رواياتها، وتسمية رواتها»، بيد أنه كان من الأفضل أن يطبع على هامش المدونة، لأن المدونة لا يمكن أن تعطي خباياها الا مع التنبيهات، وكتاب التنبيهات لا يمكن أن يعطي ثماره إلا مع المدونة.

وسوف نحاول في هذا المقال المستعجل أن نتبين ما هي المنهجية التي اتبعها القاضي عياض في التنبيه على خبايا المدونة وغوامضها.

---

7) المدارك ج 3 ص 297 وما بعدها..

2 ـ تصحيح الروايات وضبط الأسانيد والاعــلام :

لقد درس القاضي عياض كتاب المدونة على أبي محمد ابن عتاب عام 507 وأخذ روايتها من عدة طرق. منها :

طريق ابن وضاح عن سحنون. وله فيها عدة أسانيد :

السند الأول ـ سند أبي محمد عبد الرحمن بن عتاب عن أبيه. عن أبي بكر بن عبد الرحمن التجيبي عن أبي ابراهيم اسحاق ابن أبي ابراهيم عن أحمد ابن خالد. عن ابن وضاح.

السند الثاني ـ عن أبي محمد بن عتاب عن أبيه عن أبي القاسم خلف بن يحيى الفهري. عن أبي محمد ابن العطاف عبد الله بن يوسف عن أبي وضاح. كما أن أبا القاسم هذا أخذ رواية أحمد بن خالد بواسطة أبي المطرف عبد الرحمن بن مدراج.

والسند الثالث وهو للقاضي عياض عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن محمد بن فرج ابن الطلاع أبي على الحسن بن أيوب الحداد. عن محمد بن عبيدون (8) عن أبي وضاح.

طريق ابن باز (ابراهيم بن محمد وابراهيم ابن قاسم بن هلال عن سحنون.

وقد رواها القاضي عياض في السند المذكور أولا عن أحمد ابن خالد طريق أحمد بن داوود ويحيى ابن عمر عن سحنون.

وللقاضي فيها اجازة عن أبي عيسى محمد التميمي. عن أبي عبد الله محمد ابن خلف بن المرابط. عن أبي الوليد بن ميقل عن الأصيلي. وروى الأصيلي عن ابن مسرور. .

---

8) ورد في كتاب الغنية محمد ابن عبدون راجع ص 112 والاظهر أنه ابن عبيدون راجع ابن الفرضي : ص 79 الترجمة عدد 1322.

ولم يقتصر اعتماد القاضي عياض على هذه الروايات والدراسات على الشيوخ. بل قابل أصوله بعدة نسخ للمدونة. منها كتاب والد ابن عتاب العتيق الذي كان عند أبي محمد. كما أورد اصلاحات في كتاب ابن المرابط وهو من شيوخ أشياخه. وكتاب ابن سهل. كما تحدث عن رواية القرويين وعن كتابهم. ولعله يعني بهم رواية وهب بن مسرة والقابسي وأبي عمران الفاسي. كما ناظرها مع أبي اسحاق القاضي ابراهيم بن أحمد البصري والقاضي أبي عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن قاسم بن منصور اللخمي. وكلاهما ممن تفقه بأبي الأصبغ ابن سهل (9).

وهنا نرى من المناسب أن نشير إلى أن نسخة المدونة المطبوعة لأول مرة في القاهرة. سنة 1324 طبعت على أصل مغربي قديم مكتوب على رق الغزال. وعلى هوامشه طرر تعزى كتابتها إلى ابن رشد والقاضي عياض نفسه. ومما وجد في هذا الأصل : «قد سمعه عبد العزيز بن عامر من الفقيه أبي عمران موسى عن أبي الحسن القابسي عن أبي الحسن على بن مسرور الدباغ عن أحمد عن سحنون»...

ومن البديهي أن القاضي عياضا درس كذلك مختصرات المدونة. حيث أنه في تصحيح الروايات يردد هذه العبارة : «وعلى هذا اختصرها المختصرون». ويظهر من عزوه أن جل اعتماده على مختصر ابن أبي زيد وابن أبي زمنين. والمعروف أن مختصر ابن زمنين اهتم بتصحيح الرواية وضبط الأسماء مثل ما فعل بعده عياض في التنبيهات. أما مختصر ابن أبي زيد. فقد كان من الأصول الأساسية التي اعتمدها البرادعي في اختصاره المشهور.

كل هذا يضع بين القاضي عياض الوسائل الكفيلة بتحرير روايات المدونة. زيادة على علمه بطبقات الرجال الموجودين في حلقات إسناده. والذين عرف عنهم الكثير. وأورد تراجمهم ببصيرة ونقد. ولعل من الدوافع التي جعلته يهتم بحل

9) راجع الغنية ص 191 و216.

مشكلات المدونة. معرفته بنقط الضعف في رواتها الأوائل أمثال ابن وضاح الذي روى أنه لا يحسن العربية (10) وابن باز، الذي قيل أنه ليس له الحظ من الفقه (11).

أ ـ تصحيح الروايـــات :

اعتنى القاضي أولا بتصحيح الرواية في كتاب المدونة، وبعض تصحيحاته لا تؤثر كثيرا على سياق المعنى. ومن ذلك تنبيهه في باب كراء الأرض على اختلاف الروايات الطفيفة، الناشيء عن وضع باء جر مكان اللام، فيقول مثلا : «وان تكارى الأرض وزرعها بطعامه : بالباء وهي رواية يحيى ابن عمر، أما رواية الجمهور مثل أبي الحسن القابسي وأبي عمر أن الفاسي فهي باللام لطعامه».

غير أننا نجد في مواضع أخرى تنبيهات على تصحيح الروايات تصحيحا له أثره البالغ في وضع الحكم الفقهي : من ذلك ما يسرده في باب السلم أن الإمام سحنونا ربما طرح بعض الجمل التي تتعارض مع رأيه في بعض المسائل. ففي مسألة اختلاف المسلم والمسلم إليه فيما يعني شرط القبض في موضع الدفع، فقد اختلف روايات ابن وضاح وابن أبي زمنين، وهكذا ساق القاضي عياض هذا الاختلاف قائلا :

«وقوله في مسألة الاختلاف في موضع القبض، وقد تصادقا في السلم إنما دفعه إليه في موضع كذا وليس يدعى واحد منهما أنه شرط القبض في موضع الدفع والسلم، القول قول البائع».

قال فضل (وهو ابن سلمة) مفهومه أنه إن ادعى أحدهما أنه شرط على صاحبه القبض في موضع دفع الدراهم فالقول قوله، قال القاضي هذا اللفظ في المدونة من روايات كثيرة وليس في الكتب التي عند شيوخنا، وقد نقلها ابن أبي زمنين وغيره، وقال لم يروها ابن وضاح، ورواية ابن وضاح تقول :

10) انظر ترتيب المدارك ج 3 ص 437.

11) انظر ترتيب المدارك ج 3 ص 443.

«ومن ادعى منهما قبض الطعام في موضع قبض الدراهم كان القول قوله. ورواه غيره». قال القاضي لعل سحنونا طرحها أخيرا لأنه لا يقول بذلك. ومذهبه أن القول قول المسلم إليه وإن ادعى صاحبه القبض بموضع رأس المال.

وقد تتناول التنبيهات زيادات في الأصل وضعت من طرف أحد الرواة مثل ما وقع في آخر كتاب الظهار في أصل ابن باز. وهو مأخوذ من الأسدية. ونص هذه الزيادة جاءت كما يلي :

«وكذلك لو كانت عليه كفارة يمينين فأطعم عشرة مساكين. فلما كان يوما آخر لم يجد من يطعم الكفارة الأخرى أنه لا يطعمهم مرة أخرى في قول مالك وليلتمس غيرهم فإن فعل رأيت ذلك يجزؤ» إلى آخر المسألة قال ابراهيم لم يدخلها سحنون في المدونة وانا الحقتها بها. وهذه الزيادة لم تتبث في النسخة المطبوعة من المدونة.

ب ـ الأسانيـــــد :

في كتاب المدونة. آلاف حديث وعشرات آلاف الآراء المأثورة عن علماء الصحابة والفقهاء التابعين. وهو ما نعنى بالآثار. والمعروف أن كتاب المدونة كتاب فقه. وليس كتاب حديث. وهذا ما يفسر نوعا من التساهل في طريقة عرض الأسانيد. وتسمية الرجال. وبما أن أسانيد الحديث مدروسة في كتب أخرى. فإن أسانيد الآثار لم تنل نفس العناية فنشأ عن ذلك أن آثار المدونة وردت في شكل لم يك مضبوطا ضبطا كافيا. ويظهر هذا التساهل في ايراد السند مبهما ومضطربا حسب الروايات كما يبدو في ذكر أحد رجاله بدون تعريف.

ففي الروايات عن ابن وهب. كثيرا ما نرى : «حدثني ابن وهب عن رجال من أهل العلم عن...» وفي بعض الأحيان : «أخبرني بن وهب عن بعض أهل العلم عن رجال من أهل العلم...» وفي مثل هذه الحالات لم ير القاضي عياض ضرورة تسمية المبهمين. ولعل عذره في ذلك : أن سحنونا في الأجزاء الأخيرة من الكتاب.

غير منهجه فصار يقول : «حدثني ابن وهب عن رجال من أهل العلم منهم : مالك ابن أنس، وأنس ابن عياض وابن أبي ذؤيب»، ومرة أخرى يقول : «منهم ابن سمعان وعبد الجليل بن حميد، ويحيى ابن أيوب».

غير أن أبا الفضل ينبه على بعض الأسانيد، التي اضطربت حسب النسخ والروايات، مثل ما ذكره في كتاب الزكاة.. وكتاب الايمان.

ففي كتاب الزكاة يقول القاضي ورد في نسخة ابن عتاب : ابن وهب «عن عبد الله» بن عمر وعند ابن عيسى «عبيد الله ابن عمر».

وفي كتاب الإيمان نبه القاضي عياض على أن كتابي ابن عتاب وابن المرابط، ذكرا أثرا «عن ابن وهب وعن مسعر بن كدام عن وبرة أن عبد الله بن مسعود.....» ويزيد عياض أن النسخ الصحيحة عن همام عن وبرة أن عبد الله... ويبين أن همام المذكور هو يحيى بن دينار.

وفي كتاب الطلاق يذكر أن رواية ابن وضاح، تقول : يزيد بن عياض عن عبد الكريم ابن أبي المخارق، وأنه عند ابن باز : عبد الكريم بن الحرث، وكلاهما، كما يقول عياض مشهوران متعاصران. غير أن ابن المخارق بصرى، وابن الحرث مصرى والملاحظ أن النسخة المطبوعة أقرت رواية ابن وضاح، وأثبتت ابن أبي المخارق (12).

وفي كتاب الاختيار والتمليك، في سند حديث عمر بن الخطاب وقوله لشريح الكندى : «إذا قال البتة فقد رمى الغرض الأقصى» ذكر فيه أبو يحيى ابن سليمان الخزاعي عن عبد الرحمن ابن أبي زيد أن عمر... يقول عياض «هذه هي رواية شيوخنا». وفي كتاب ابن سهل نجد «عبد الله» مكان «عبد الرحمن». والنسخة المطبوعة أثبتت رواية الشيوخ التي ذكرها القاضي عياض (13).

---

12) راجع : المدونة ج 3 ص 38.

13) راجع : المدونة ج ص 403.

كما أنكر في هذا الباب رواية المدونة أن بنت الضحاك العامرى كانت من نساء النبي واختارت نفسها. وقال القاضي أن أهل الصحة لم يخرجوا هذا الخبر وأنه لا يصح (14). وقد أنكره ابن رشد في المقدمات كذلك (15).

ج ـ الأعـــــلام :

ولقد سلك القاضي عياض نفس الطريق بالنسبة لضبط الاعلام الواردة في الأسانيد. فهي تأتي المدونة في بعض الأحيان بالأسماء الكاملة. مع التعريف بالكنية والقبيلة. وفي بعض الأحيان. لا نرى إلا إسما مجردا. فتارة لا يتعرض القاضي عياض لهذا الإسم إما اتكالا على شهرته. وإما أنه ورد معرفا في مكان آخر : فإذا ذكر اسم وكيع فمن البديهي أنه وكيع ابن الجراح. وفي كتاب التخيير من المدونة يقول سحنون : حدثني ابن وهب عن خالد... (16) والرجوع إلى التنبيهات لا يعرفنا بمن هو خالد في هذا الباب. وإذا كنا لا نفترض أنه عرف به في مكان آخر. فنعتقد أنه يقدر أن القارىء لن يلتبس عليه خالد الذي يروى عنه ابن وهب مع غيره من الخالدين أمثال خالد ابن أبي عمران. وخالد بن يزيد. ولعل القاضي عياض يتركنا نستنتج أن المقصود في هذا السند هو خالد بن حميد الفهري : المذكور في باب الجهاد (17). إذ روى فيه ابن وهب عنه.

بينما حرص عياض على التعريف بمجموعة من الاعلام ذكرت بالتجريد أو بدون ضبط أمثال : عقيل بن خالد (بضم العين) وعاصم بن ضمرة (بفتح الضاد) وثور بن زيد الديلي (بكسر الدال). وابن رفيع (بضم الراء) ورزين بن حكيم وكلاهما جاء على صيغة التصغير. والمنذر بن عبد الله الحزامي (بحاء مهملة

(14) راجع : المدونة ج 2 ص 382.
(15) راجع : المقدمات ص 453.
(16) راجع المدونة ج 2 ص 402.
(17) راجع المدونة ج ص.

الذين عرف بأسمائهم وأنسابهم، وأوضح منهم المؤتلف والمختلف، مثل ما حرص على تفسير الغريب من لغة المدونة وشرح اصطلاحاتها الفقهية.

3 ـ الألفاظ اللغوية والشرعيـــة :

يشتمل كتاب المدونة على ثروة لغوية ضخمة. منها ما هو في آلاف الأحاديث الموجودة ضمنها، ومنها ما هو في الآثار والمسائل. ومن خصائص هذا الرصيد اللغوي الهائل، كونه يتناول مجموعات من الألفاظ الوضعية التي تدل على محيط الإنسان المعنى بالخطاب الشرعي. فكان لزاما على الفقيه أن يعرف جميع المسيات التي لها صلة بالأحكام. فتصنيف الحلال والحرام، واصدار الحكم يستلزم التصور الذهني والتسمية اللغوية ؛ فالأحكام مثلا في كتاب الزكاة تقتضي معرفة أنواع الحيوانات الأهلية وأسنانها، وأنواع المنتوجات الزراعية والأحكام في كتاب الأشربة تتطلب معرفة أجناسها وأسمائها...

وزيادة على الألفاظ اللغوية الأصلية، تجددت تعابير واصطلاحات عن التصورات التي لم تكن معروفة ومتداولة في اللغة الوضعية فيما قبل الاسلام. منها ما جاء في القرآن الكريم مثل الصلاة والزكاة... ومنها ما هو في السنن النبوية، مثل الاعتكاف والمحاقلة والمزابنة والشفعة.... ولقد اخترع رجال التشريع مصطلحات كثيرة، مثل السلم، وارخاء الستور، والحمالة...

وبعض هذه الألفاظ اللغوية والمصطلحات الشرعية سهل الادراك لا يحتاج إلى الشرح، لكن فيها الغريب الذي لا تفهمه العامة، حتى أن سحنونا في بعض الأحيان كان يستفسر ابن القاسم عن معنى الكلمات مثل : شروى، وفسرها له بمثل، كما بين تفسير كلمات : خم العين، وسور الشرب.

ولقد تعرض القاضي عياض لغريب هذه الألفاظ اللغوية والشرعية بالضبط والتفسير، مع بيان الاشتقاق بالنسبة للألفاظ الشرعية.

أ ـ الألفاظ الشرعيــة :

اهتم القاضي عياض بشرح الإصطلاحات الشرعية. وأورد أصولها واشتقاقها في اللغة. مستشهدا بالقرآن أو بالشعر. أو بكلام العرب. فقال إن الصلاة في الأصل الدعاء. وأنها عرفت في أشعار العرب. وفسر السجود بالميل. ومنه سجود النخلة. مستدلا بالقرآن : «**والنجم والشجر يسجدان**» وبين أن الركوع في اللغة يعني الخضوع. واستشهد بقول الشاعر.

ولا تعاد الفقير علك تـــــــر   كع يوما والدهر قد رفعـــــــه

وذكر أن الصيام مشتق من الإمساك. ومنه قوله تعالى إني نذرت للرحمن صوما. واستشهد بمقال الشاعر : «خيل صيام وخيل غير صائمة (18)».

وبين القاضي أن أصل الجهاد. التعب. وأن الوكالة من الحفظ وفي القرآن الكريم قوله تعالى وكفى بالله وكيلا.

وأوضح أن الشفعة. جاءت من الشفع وهو ضد الوتر. وقيل من الزيادة ويؤيده قول الله تعالى. من يشفع شفاعة حسنة الآية. وفسرت بزيادة صالح الأعمال.

ففي معرض حديثه عن الإعتكاف. قال إن أصله من اللزوم والإقامة. واستدل بقوله تعالى : وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفا. وأورد أن أصل الايلاء هو الامتناع. ومنه ما جاء في القرآن الكريم ولا ياتلي أولى الفضل منكم والسعة... الآية. ووصل بين معنى الحج الذي هو القصد وبين التكرار. وهذا اللفظ يرادف المثابة. واستشهد بقوله جل وعلا. وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا. كما قال أن الزكاة قد تكون من التطهير. وجاء في الآيات التالية : قد أفلح من تزكى. قد أفلح من زكاها. ثم ربط بين لفظ النماء والزكاة. من الناحية الفقهية قائلا أن الزكاة لا تجب إلا في الأموال المعرضة للنماء. هاهي كانت طريقته بالنسبة للاصطلاحات الشرعية. وهي موجودة كذلك في كتاب المقدمات لابن رشد.

---

18) الشطر للنابغة الذبياني وتمام البيت : تحت العجاج أخرى تعلك اللحما.

ب ـ الألفاظ والتعابير اللغويـــة :

إذا كانت الألفاظ الشرعية في أكثرها سهلة المتناول لأنها انتقلت من حقيقة الوضع إلى حقيقة الاصطلاح. فإن في المدونة مجموعة من التعابير اللغوية التي تحتاج إلى تفسير. وذلك ما حمل القاضي عياضا على شرح بعضها : كالشنق. مثلا وهو العدد من الإبل الذي يزكى بالغنم. أي من خمسة إلى عشرين. كما نبه على أن معنى «الوقص» هو ما لا زكاة فيه بين فريضتين كأربع من أربع وعشرين من الإبل وذكر أن «الضمار» تقال لمال الحبس.

وبين القاضي أصول بعض الألفاظ المغلطة. مثل «المصراة». وقال إنها ليست من «الصر» أي الربط. وأصلح كلمة «مصرورة» في بعض نسخ المدونة. ونبه أنها من الصراء. وهو الجمع ومعناه. أن تترك الحلوب عدة أيام حتى يجتمع اللبن في ضرعها. فيعتقد المشترى أنها غزيرة اللبن. وأثناء حديثه في شرح «المصراة» ضبط حديثا يقول «لا تصروا الابل» بفتح اللام. وذكر أن أبا محمد كان يقول من صعب عليه فهم هذا الحرف فليقارنه بقوله تعالى «ولا تزكوا أنفسكم» : ويتضح من هذه المقارنة تشابه الوزن بين الصراء. والزكاء. وبين «المصراة» و«المزكاة».

وتعرض عياض لمجموعة كبيرة من هذا النوع مثل الغيل. وهو لبن المرأة الحامل والوجور وهو الحقن من الفم والسعوط وهو من الأنف. والظؤرة. بضم الهمز جمع ظئر وهي المرضعة. والرقة (بتخفيف القاف) وهي الفضة المسكوكة. والربا (مقصور) وهي التي وضعت فهي تربى ولدها. و«ذوات العوار» وهي ذوات العيون.

ومن الألفاظ المغلطة التي فسرها. في باب ارخاء الستور. قوله «فإذا هي خضراء يعني هنا سوداء. وتعرض للصيغ العرفة ومعانيها فذكر أن توى بكسر الواو وبمعنى هلك. وأن «رصد» تأتي للخير. وأرصد للشر. وأن الركزة هي القطعة. والندرة بكسر النون القطعة التي تندر من الذهب والفضة.

ثم نبه على كثير من الأغلاط اللفظية. وبين وجوهها الصحيحة. من ذلك تفسيره «لدار القضاء» بعدما بين أن قراءتها بالفاء لا وجه له. وأن بعض المفسرين

يعتقدون أنها دار الإمارة، وهو غلط. وإنما سميت دار القضاء لأنها بيعت في قضاء دين عمر بن الخطاب بعد موته. فكانت تعرف بدار قضاء دين عمر. ثم بدار القضاء. ولا شك أن هذه التوضيحات تسهل على الدارس إدراك مقتضى الأحكام الفقهية.

4 ـ التنبيهات الفقهيـــــة :

لقد سبق أن أشرنا إلى «الاختلاط» المذكور في المدونة الناشيء عن اختلاف رواتها في شرحها وتردد العلماء في وجوه تأويلها. وهذا ما حدا بالقاضي عياض أن يتناول في كتاب التنبيهات مجموعة من المسائل الفقهية الغامضة بغية ايضاح ما استشكل من طرحها وتفسيرها. كما أنه اهتم بتصنيف مسائل الخلاف وعزو الأقوال فيها لكي يتسنى لأهل القضاء والفتوى والترجيح أن يكونوا على بينة من أمرهم. وعنى كذلك بتبيين الأصول التي استند اليها مالك في بعض الأحكام، وناقش اعتراضات مخالفه في شأنها.

وأخيرا لم يفت أبا الفضل أن يشير إلى فروق دقيقة في التصوير التشريعي، وأن يستلخص قواعد فقهية في صيغة تعابير مختصرة جامعة. ولعل هذه الفروق وهذه القواعد أوحت لبعض المفكرين من المالكية من بعده، أن يضعوا كتبا طريفة في «الفروق» مثل ما فعل القرافي، وفي علم «القواعد» مثل ما فعل المقرى ومن نحا نحوه. ونورد باقتضاب أمثلة من هذه البيانات المشار اليها :

أ ـ توضيـح النصـــــوص :

ـ ففي كتاب بيع الغرر قال القاضي عياض :

ووقعت في هذا الكتاب ألفاظ مشكلة مختلفة في هذا الباب منها قوله :

«وإذا اشترى سلعة غائبة فأتى بها وخرج إليها..»

وقال ابن شهاب :

«فقبض الوليدة وذهب ليأتي بالغلام»

وقولـه : «في الجارية التي يبعث بها الرجل إلى الجارية. فأتاه بها ولم تكن حاضرة فقال المشترى ليست على حال ما كنت رأيتها...»

قال فضل (ابن سلمة) في هذا دليل على أن البائـع أن يأتـي بالسلعـة الغائبة. وأنه جائز أن يشترط ذلك المبتاع على البائع خلاف ما روى أصبغ في سماعه عن أبي القاسم أن ذلك لا يجوز اشتراطه. وصوب هذا أبو عمران وأنكره غيره.

وتأول بعضهم قوله في الكتاب أن البائع تطوع. وقال أن شرط على البائع الاتيان بها وهو ضامن لها حتى يقبضها فهو بيع فاسد وإن كان على أن ضمانه من المشترى في مجيئه فهو بيع جائز...

وقول ربيعة لا بأس أن يشترى غائبه «مضمونا» بالصفة. كذا عند ابن عتاب. ومعنى هذا الضمان المصيبة ممن اشترطت عليه الصفة. وقيل معنى ضمان العهدة. قيس على أنه إن تلف إنما بمثله. هذا لا يجوز. ولا يصح ضمان غائب على ما تقدم. وكلام ربيعة من كتاب ابن عيسى : لا بأس أن يشتري غائبا بالصفة لم يذكر «مضمونا».

ففي هذا النص نبه عياض. على استنباط فضل بن سلمة من أقوال ابن شهاب. أن على بائع السلعة الغائبة احضارها للمشترى. وأن للمشتري أن يشترط الاتيان بها. وفي تعليقه على هذا الخلاف بين قول فضل ابن سلمة ورواية أصبغ عن ابن القاسم. يعطينا نموذجا من طريقته في استعراض الأقوال وترجيحها. ذكر أن أبا عمران وافق فضلا ابن سلمة. ثم أتى بكلام «بعضهم» (دون أن يذكره باسمه) متأولا أن البائع تطوع باتيان السلعة. وذلك ليميز بين الشرط الذي يصاحبه الضمان وهو عنده يفسد البيع. وبين ضمان احضار السلعة على عهدة

المشترى وهو بيع جائز. ثم صحح الرواية التي لا توافق رأيه بحذف كلمة : «مضمونا» من كتاب بن عيسى التميمي.

ب ـ مسائل الخلاف :

وحينما تعترض القاضي بعض مسائل الخلاف في تعليقاته على المدونة. يقف منها موقف المالكي المقلد. فإذا كانت الأقوال المختلفة في الحكم جاءت في الكتاب اجتهد في تلخيصها واعطاء حوصلتها للقارئ. مع بيان الحجج الأصلية. ومحاولة الترجيح استنادا على الكتب المالكية الأخرى. وإذا كان الخلاف غير مذكور في المدونة. وكان بين المالكية وغيرهم من الفقهاء. فإنه في أغلب الأحيان لا يعطيه أي عناية. حيث أنه لا يسوغ الافتاء بغير المشهور من مذهبه. واستطراد أقوال مخالفيه قد يكون عنده نوعا من تبرير آرائهم.

ففي مسألة من صلى النافلة ثلاثا. وقول مالك أن يضيف لها رابعة. قال القاضي عياض جوابا على من تأول وفاق من يقول بأن النافلة أربعا : «ولست أرى هذا واضحا لأنه لا يفتى أحد على مذهب غيره. إنما يفتى على مذهبه. وعلى الاحتياط لمراعاة خلاف غيره عند عدم الترجيحين... وأما أن يترك مذهبه و يفتى بمذهب غيره المضاد لمذهبه فهذا لا يسوغ.

وها هي أمثلة من مواقفه حول مسائل الخلاف

ولقد بسط القول في جمع المغرب والعشاء في ليلة المطر. فقال :

«وقوله يجمع في الحضر إذا كان مطر وطين وظلمة (19) كذا روايتنا عن يحيى في هذا الموضع. وفي رواية أخرى إذا كان مطر أو طين وظلمة. وهي أكثر الروايات وعليها اختصر أبو محمد ليستفاد من هذه الرواية الأخرى أن بمجرد المطر يجمع فيه وإن كانت الليلة مقمرة إذا كان كثيرا. وأنه لا يجمع في الطين

---

(19) راجع المدونة ج 1 ص 150.

إلا مع قرآن الظلمة. وهذا الذي قاله الشيوخ بالواو (العطف بالواو) هو ظاهر المذهب وخرج بعضهم من العتبية الجمع لمجرد الطين وإن لم تكن ظلمة على ظاهر لفظها...»

«قال بعض شيوخنا يجمع بالمطر وحده ولا يجمع بالظلمة وحدها، ويختلف في الطين بانفراده ولا خلاف بين الأمة من الظلمة وحدها...

وفي حديث ابن قسيط في الأم أن جمع المطر بالمدينة في ليلة المطر والطين والمغرب والعشاء سنة. كذا في بعض الروايات وسقطت لفظة «الطين» من روايتنا وأكثر الروايات واثباتها على معنى ليلة المطر وليلة الطين إلا أنه لا يجمع إلا لمجموعها».

«وقوله سنة. كذا جاء نصه من قول سحنون في الباب الثاني، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للرفق وهي سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا قال مالك في المختصر : هي سنة، وفي كتاب محمد أنه في السفر رخصة وتوسعة لمن احتاج اليه، وليس بسنة لازمة. قيل معنى قوله في الجمع للمطر أي أنه مما عمل به وسن لنا الترخيص بها، وقيل معناه أن من أخذ برخصة الجمع فسنته أن يأتي بها على الهيئة المشروعة لأنها بمنزلة السنن المأمور بامتثالها المندوب إلى فعلها...»

فنلاحظ أنه لم يشر في هذا الكلام إلى رأي مخالفي مذهبه وهو معروف (20).

ولم يتحدث عن الخلاف في محل خطبة صلاة الإستسقاء، هل هي قبل الركعتين أو بعدهما. وفي المدونة أن الإمام يصلي ركعتين يقرأ فيهما سورة سبح اسم ربك الأعلى، وسورة والشمس وضحاها، ثم يخطب خطبتين فإذا فرغ استقبل القبلة وحول رداءه (21) وهذه من المسائل التي اعترض فيها الليث بن سعد على

---

20) راجع أعلام الموقعين

21) راجع المدونة ص 115.

الإمام مالك. حيث أكد أن الخطبة قبل الصلاة واستشهد بعمل عمر بن عبد العزيز. وأبي بكر بن عمرو بن حزم (22). كما لم يعط أي اهتمام للخلاف في عدد الاسهم التي اعطى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير في الجهاد. مع أن الليث بن سعد يقول أن الناس مجمعون أنه اعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الثالث. ومالك يقول في المدونة بلغني أن الزبير شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلم يسهم له إلا بسهم واحد (23).

ونذكر منها ما يقول ابن حزم أن المالكيين رووا أن عمر ابن الخطاب **أشخص رجلا من العراق واستحلفه على نيته في قوله لامرأته «حبلك علـى»** وخالفوا قضاءه وقالوا أنها ثلاث على كل حال وأنه لا ينوي (24) فلم ير القاضي عياض ضرورة الرد على ابن حزم في هذه المسألة.

ومنها ما روى عن مالك في المدونة أن أرباب الماشية لا تجب عليهم زكاة الخلطة الا كان لكل واحد منهما نصابه إذ قال:

«وإنما يكونان خليطين إذا كان في ماشية كل واحد منهما ما تجب فيه الزكاة. فإن كان في ماشية أحدهما ما تجب فيه الزكاة ولم تكن في ماشية الآخر ما تجب فيه الزكاة فليسا بخليطين (25)» فلم يتعرض القاضي لأصولها بقليل أو كثير. ولم يعتبر الخلاف لأنه خلاف غير مذهبي ولم تتعرض له المدونة.

وفي مسائل الخلاف المشهورة بين المالكية وغيرهم. القضاء بالشاهد الواحد في المسائل التي تؤول إلى الماليات. وقد كان من عمل أهل المدينة وأنكرها بعض الأئمة. لكن سحنونا في المدونة (26) دافع عنها دفاعا شديدا. وأخذ على

22) راجع أعلام الموقعين
23) راجع المدونة ج 2 ص 32 و33.
24) الأحكام ص 224.
25) المدونة ص 331.
26) المدونة ج 5 ص 182 و183.

رأيه فيها أكثر من شاهد. فقد قال أن القضاء باليمين. والشاهد العدل في الأموال والحقوق. مع أنه لا يكون في الفرية. والطلاق والعتاق. واستند سحنون إلى علماء المدينة وذكرهم بأسمائهم (ابن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم ابن محمد وأبا بكر بن عبد الرحمان وخارجة ابن زيد. وعبيد الله بن عبد الله وسليمان بن سيار).

ولم يكتف سحنون بهؤلاء الاعلام. بل قال أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله بهذا القضاء. وأن عليا ابن أبي طالب قضى باليمين مع الشاهد. ثم رفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينته سحنون عند الحجة. وإن كانت كافية مقنعة. ولكنه مع ذلك زاد قائلا : «قال النبي صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل من عند الله يأمرني بالقضاء باليمين مع الشاهد».

ويظهر أن كل هذه الأحاديث والآثار. لم تثر اهتمام القاضي عياض في التنبيهات فلم نر تعليقا عليها أو محاولة لتصحيحها. وتبيين أسانيدها. بل يفهم من نقله في شأن توقيف السلعة التي شهد عليها شاهد واحد. أنه يسلم مبدئيا بقول المدونة دون البحث عن التدقيق في أسانيد الحديث ووصله.

ونعود الآن لنأتي بنماذج من مسائل الخلاف التي تناولها في التنبيهات :

- وفي كتاب التخيير والتمليك. لخص مذهب الشيوخ في التخيير على ستة أقوال :

1) أشهرها مذهب الكتاب : أن اختارت نفسها في ثلاث ولا مناكرة للزوج وإن قضت بدون الثلاث لا حكم عليه.

2) إنها ثلاث بكل حال سواء نوت أو لم تنو. وهو قول عبد الملك.

3) إنها واحدة بائنة. ذكره ابن خويز منداد عن مالك وهو أحد مذهبي على ابن أبي طالب. وتأوله اللخمي عن حكاية ابن سحنون واختاره هو.

4) إن للزوج المناكرة في الثلاث والطلقة بائنة وهو قول ابن الجهم وهو الظاهر عنده من معنى ما حكاه ابن سحنون عن أكثر أصحابنا. لا ما تأوله اللخمي.

5) له المناكرة. والطلقة رجعية. وهو ظاهر قول سحنون. وعليه تأوله اللخمي كالتمليك. وهو قول عمر وعلي أولا.
6) إنها اختيارا لنفسها ثلاث. وردها طلقة بائنة. وهو قول زيد ابن ثابت، وحكاه النقاش عن مالك. والحسن والليث رأوا أن نفس الخيار طلاقا.

ولخص الخلاف في متعة المطلقة على خمسة أقوال :
1) واجبة لكل مطلقة وهو قول علي وابن عباس والحسن.
2) استحبابها عموما وهو قول بن المسيب.
3) استحبابها في الجميع سوى المفروض لها قبل الدخول وهو قول مالك.
4) وجوبها في الجميع إلا في هذه قول محمد بن مسلمة والشافعي.
5) وإيجابها في غير المدخول بها التي لم يفرض لها وندب في الدخول بها وهو قول ابن عباس.

ج ـ الفرق بين الحقوق والحدود واستخلاص القواعـد :

وتعرض القاضي عياض للفرق بين «الحقوق» و«الحدود». وذكر من نتائج هذا الفرق اختلاف الاجراءات في وسائل إثبات كل منهما وأعطى الطلاق كمثال للحقوق فقال :

«الطلاق حق من الحقوق وليس حدا من الحدود. ومقتضاه حكم الشهادة بالنسبة للطلاق. فليست مثل الشهادة على الزنا التي لا تمضي إلا على فعل واحد. في وقت واحد. ولا تلفق ومذهبه هنا إلا تلفق الشهادات بالطلاق على الأفعال المختلفة. كشاهد على الحلف على دخول الدار. وآخر على الحلف على كلام زيد. كذلك لا تلفق الأفعال مع الأقوال كشاهد على قوله أنت طالق. وآخر على حنث في فعل. وتلفق عنده الأقوال بعضها إلى بعض. وان اختلفت ألفاظها وأوطانها كشاهد على قوله في حرام. وآخر على البتة. وشاهد على الطلاق يوم الجمعة وآخر يوم الخميس. وتلفق الأفعال إن كانت من جنس واحد وإن اختلفت أزمنتها.

كالشاهد على الحالف بمكة أن لا يدخل دار عمر. وآخر على حلفه بالبصرة بمثل ذلك. وكذلك إن اتفقت اليمين واختلف الفعل».

ولقد أتيح لأبي الفضل خلال تنبيهاته الفقهية. أن يستخلص قواعد عامة. صاغها في أسلوب مقتضب من شأنها أن تساعد في تنمية قياس الفروع. وتسهل استنباط الأحكام التي تدخل في نطاقها. منها قوله :

- كل ما يضم منها (الإصناف) في الزكاة بعضه إلى بعض لا يسلم الجنس منه في جنس آخر.
- حينما وجب الصداق وجب السكنى.
- من خيف عليه الموت من الحد لم يقم عليه إلا لحرابة.
- الأمراض التي لا يعاد منها هي التي لا يلازم أهلها الفراش.

د ـ مسائل أصولية :

ومن التنبيهات الفقهية نجد عدة تعليقات تعالج القضايا الأصولية. منها ما هو تعليل للحكم. ومنها ما يرمي إلى بيان وجه الحجة الأصلية التي استند إليها الحكم. ولقد كان في المدونة مجال خصب لتقرير أصول أحكامها. وطرق استنباطها. وبما أن القاضي عياضا لم يكن فقيها فحسب. وإنما أيضا محدثا وأصوليا. فليس بدعا أن يولى عنايته للحجج الأصلية الموجودة في المدونة ويقوم استدلالاتها بالقرآن والحديث والقياس. وقد تناول أمهات هذه المسائل في مواضع متفرقة.

ففي مباحث الاستدلال بالقرآن. نبه على أن احتجاج مالك في عدة الوفاة على الصغيرة يستند إلى قوله تعالى : والذين يتوفون منكم الآية. وهو على مذهبه بالقول بالعموم في القرآن.

وناقش مسألة القراءة التي لم تثبت بالتواتر. وذلك في معرض قراءة ابن عمر : فطلقوهن «لقبل» عدتهن : وقال إنها : «قراءة على طريق التفسير نحو ما

يذكر من قراءة ابن مسعود. وقد تكون من شأن القراءة التي لم يجمع عليها، وقد اختلف العلماء في إقامة الحجة بها، وهل تنزل منزلة خبر الواحد الذي يجب به العمل. وإن لم يقطع بصحة متنه، أو لا يجب بذلك عمل لإسنادها إلى القرآن. ولا تثبت عندنا إلا بالقطع.

وفيما يخص الإستدلال بالحديث اهتم أبو الفضل بمسائل معروفة عند المالكية، مثل التي تؤول إلى تقديم عمل أهل المدينة على خبر الآحاد. كما قد وردت في المدونة عدة أحاديث ترك المالكية العمل بظاهرها، إما متأولين بعدم الالزام، أو بالتقييد. مثال ذلك قولهم في المدونة.

ـ حديث «لا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبه في داره» قال مالك لا أرى أن يقضى بهذا الحديث لأنه إنما كان من النبي صلى الله عليه وسلم على وجه المعروف وهذا التعليل يبين ما ذهب إليه في تفسير وجوب المتعة وقوله إنها «حق على المحسنين» وإن تخصيص المحسنين يقتضي عدم الزام الجميع.

ـ حديث رافع بن خديج :

«أن من كانت له أرض فليزرعها أو ليزرعها أخاه ولا يكرها بالثلث أو الربع ولا بطعام» ثم جوز الفقهاء كراءها بالفضة وقيدوا النهى بكرائها مما ينبت منها.

ومن الأمثلة التي أثارت اهتمام أبي الفضل مسألة العمل بحديث «البيعان بالخيار» ما لم يفترقا، وتعليق المدونة عليه فقال في التنبيهات.

«في حديث البيعان بالخيار» الحديث ليس لهذا عندنا جد معروف ولا أمر معمول به». حمله بعضهم على أنه تكلم على ما جاء في الحديث، وأصبحوا على رده الحديث الصحيح بعمل أهل المدينة وإن لم يكن طريقه النقل. وهذا تأويل أكثر أصحابنا المغاربة وبعض البغداديين من أصحابنا. ومتقدمو مشايخهم. فتأولوا أن قوله هذا راجع إلى قوله آخر الحديث إلا بيع الخيار وهو محدود وإنما هو بحسب ما تختبر به السلعة ومقتضى ما جعل له الخيار من اختيار ومشورة خلافا

لقول الشافعي والحنفي أنه ثلاثة أيام في كل شيء. وقد جاء ذلك في بعض روايات الحديث».

«وحقيقة مذهب هؤلاء في الحجة بعمل أهل المدينة أنه طريقه النقل المتواتر عن العمل بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه كالاذان والصاع والمد والاحباس وترك زكاة الخصروات وشبه هذا. قالوا وإنما ترك مالك الأخذ بهذا الحديث لأنه تأوله على الافتراق بالأقوال لا بالابدان وأن المتبايعين بمعنى المتساومين».

ونرى في هذا التعليق توضيحا لرأي القاضي عياض فيما يخص أهل المدينة. وهذا يؤيده ما نراه من أن اجماع أهل المدينة يعتبر من باب السنة التطبيقية. لا من باب الإجماع.

ولقد نبه القاضي كذلك على بعض الأحكام التي يؤثر العرف في الترجيح فيها في حالة الإختلاف في الحكم. ومن ذلك ما ذكره في باب السلم الثاني حين قال :

«إذا قال الذي له السلم ضربنا له أجل شهرين. وقال الآخر لم نضرب أجلا. القول قول مدعى الصحة. أشار بعضهم إلى أن هذا على مراعاة الاشبه قبل الفوت حتى لو كان العرف في البلد الفساد كان القول قول مدعيه».

هذه هي نماذج من التعاليق الفقهية في كتاب التنبيهات. وهذه ملاحظات موجزة استخلصت من قراءة مستعجلة وصعبة لأنها استلزمت مقابلة نصوص مخطوطة من كتاب التنبيهات في نسخ كثر فيها الخرم والتحريف والكتاب لم يصنف في شكل يمكن الإنتفاع دون قراءته بجانب المدونة. فكان لزاما أن نقرأ الكتابين في آن واحد. وفي وقت غير كاف.

وحينما تحدث الأستاذ عبد العلي الودغيري عن كتاب التنبيهات ليعرف بجانبه اللغوي لاحظ أن أبا الفضل «لم يضع لكتابه أي قالب تنظيمي مخالف للكتاب الأصلي وهو المدونة... وقد كان بوسع عياض أن يذلل هذه الصعوبة

ويخرج كتابه في شكل يمكن الفقهاء واللغويين معا من الإستفادة منه وذلك بتنظيم المادتين في قسمين اثنين قسم يخصص للألفاظ اللغوية... وقسم ثان يخصص للمادة الفقهية (27)».

والمسألة منهج واختيار. وسنحاول في الخاتمة تبيين منهج القاضي عياض واختياره بالمقارنة مع طريقة ابن رشد في كتاب المقدمات.

5 ـ خاتمـــة :

لقد سبق لابن رشد، أن كتب قبل القاضي عياض كتابا عن مشكلات مسائل المدونة. وهو كتابه المعروف، المسمى «بالمقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات، والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات».

المقارنة بين الكتابين، تعين على تفهم منهجية القاضي عياض في التنبيهات فلقد اشتركا الكتابان في موضوع واحد، الا وهو «مشكلات المدونة» واشترك المؤلفان في «مدرسة» واحدة، ألا وهي مدرسة الثقافة المغربية، فالتقيا في أسس التكوين الفكري والمنهجي، واجتمعا الرجلان كثيرا وتدارسا «اختصار الكتب المبسوطة».

ويقول القاضي عياض أنه قرأ على ابن رشد وسايله واستفاد منه، واعترف له بصحة النظر، وجودة التأليف ودقة الفقه، وأنه المفزع في المشكلات، بصيرا بالأصول والفروع والتفنن في العلوم، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية (28). ولقد كان تأثر القاضي بابن رشد واضحا في كتاب التنبيهات فيما يخص شرح الألفاظ الشرعية وتلخيص المسائل الفقهية. لكن الفرق بين العالمين، من الناحية المنهجية، كان واضحا أيضا.

---

27) المناهل عدد 19 صفر 1401

28) الغنية

فابن رشد كفقيه متفنن، تغلب عليه الدراية، بدأ كتابه بمقدمة أصولية تمهيدا لتعاليقه الفقهية، فأوجز فيها مباحث عن وجوب التفقه وطلب العلم، وبيان الطرق إلى معرفة أحكام الشرائع، وتعرض لمسائل الاستدلال ووجوب الحكم بالقياس، ثم تتبع أمهات مشاكل المدونة، فأشبعها بحثا وتدقيقا، وصنف ما فيها من خلاف، وبين ما هو الأظهر في رأيه.

وفي الميادين التي تناولها بالبحث كانت تحصيلاته أشمل وأوفى من تعليقات القاضي عياض بل إننا نعتقد أن جل التنبيهات الفقهية للقاضي تكاد تكون اختصارا للبحوث لابن رشد في المقدمات.

فالذي لا يريد من كتاب المدونة سوى تحرير مسائلها الفقهية، فسيجد في مقدمات ابن رشد ضالته المنشودة، وبناء على هذا الاتجاه، فإن الذين نشروا كتابه في حاشية المدونة كانوا على صواب، باعتبار وجهة نظر الفقهاء.

والقاضي عياض فقيه، ومحدث ولغوي، تغلب عليه الرواية، فلم يقتصر على الجانب الفقهي فشملت أبحاثه كل ما يعنى به المدرس الموسوعي من تحقيق النص وتصويبه، ومن تصحيح الأسانيد وضبط رواتها وتقويمها ومن شرح الألفاظ والعبارات المشكلة والغريبة مع التعاليق الفقهية الضرورية. فجاء كمجموعة من الدروس الشاملة، لا غنى عنها لمن يرغب في استجلاء ذخائر أم المذهب المالكي. وهذا ما جعلنا نأسف لكون كتاب التنبيهات لم يوضع إلى الآن في مكانه الطبيعي ألا وهو إثباته مع كتاب المدونة في طبعة واحدة.

نعم لقد كان من حسن صنيع ابن رشد أنه، بما أوتي من جودة التأليف، وضع كتابه في صورة تجعل استثماره ممكنا دون اللجوء إلى المدونة بينما لا يمكن استعمال كتاب التنبيهات استعمالا كامل الإفادة إلا بجانب كتاب المدونة. غير أن هذا لا ينقص من قيمة كتاب القاضي عياض، ولا يقدح في منهجيته.

ومنهجية القاضي عياض في هذا الكتاب لا تنفصل عن مذهبه العلمي العام ولا عن منحى تفكيره وسلوكه في حياته التاريخية. فلم يرد القاضي عياض أن

يكون المنظر المجدد. ولا أن يكون المجتهد الحر. ولم يشا أن يحمل الناس على تحول في المذاهب والآراء لأنه من أئمة التقليد المتبصرين. حذرا من أراء أهل البدع والأهواء. ولم تحل له طريق أولئك الذين يبحثون في التنظيرات الفلسفية. أو الحقائق الغيبية. فهو وإن كان ممن يؤمن بالغيب لا يؤمن بعلوم المكاشفة. فلقد كان عالم تطبيق يحرص أساسا على ما يتحقق من جدواه. وليس ذلك المفكر الذي يسعى وراء النظريات المجردة. والتصورات الافتراضية.

إنها منهجية القاضي الذي اتصل بالناس ومارس حياتهم اليومية ومشاكلهم العملية. فهي أيضا منهجية المؤرخ المتحرى الذي حاول أن يتثبت في كل ما بلغه من علوم وأحداث. وأن يتفهم الناس وأن يتعرف على أحوالهم وظروفهم وتاريخهم. وقد ظهر ذلك جليا في اعتنائه برواة العلم وحفظته. وبأخبار مدينته وقطره. غير أن وجهته العلمية في الدراسات التحليلية. لم تمنعه بوجه عام. أن يكون الأديب الممتع والإنسان المتوازن الذي جمع بين الدقة والأمانة في أبحاثه العلمية. وبين رقة الإحساس ونبله في مأثوراته الأدبية ؛ ولقد ظهرت قمة هذا التركيب المنهجي في كتابه المعروف بالشفا بتعريف حقوق المصطفى. الذي انصهرت فيه عواطف المحبة النبوية وطرق الاستدلال العلمية حتى قال عنه أبو اسحاق الشاطبي (29) أنه : قوت القلوب وميزان العقول».

جاءت هذه المقالة في قطعة شعرية. نورد منها أبياتا تصور تصويرا صادقا ما أوتي القاضي عياضا من مواهب فنية. وما ترك لنا من تراث نفيس : يقول الشاطبي :

فيا أبا الفضل حزت الفضل في عرض	به أقرت لك الاعلام واعترفـــــت
وكنت بحر علوم ضل ساحلـــــه	منه استمدت عيون العلم واغترفــت
زارته من جنبات القدس ناسمـــة	فحركت منه مدح الفكر حين وفــت
حتى إذا طفحت أرجاؤها قذفــت	لنا بدرتها الحسناء وانصرفـــــت
إن العناية لا يحظى بنائلهــــا	حريصها بل على التخصيص قد وقفت

29) راجع نيل الابتهاج : ترجمة أبي اسحاق الشاطبي.

عياض في فاس

الدكتور : عبد الهادي التازي

بسم الله الرحمن الرحيم

عياض في فاس

نحن الآن مع قاضي سبتة الأسبق وهو في طريقه إلى الجنوب... نحن معه في حاضرة فاس التي عرفها من قبله الشيخ عمرون جد والده موسى. الشيخ عمرون الذي شارك في المعارك التي كانت تدور رحاها بين الفاطميين في القيروان والمرينيين في قرطبة من أجل السيطرة على مدينة فاس. لقد كان الشيخ عمرون من أنصار فاس السنة وليس من أنصار فاس الشيعة.

وكان من الممكن أن يظل عمرون بفاس. بل كان من الممكن أيضا أن يكون عياض من مواليد فاس لولا أن عمرون اضطر اضطرارا للانتقال إلى سبتة بسبب أن يبقى على صلة بأخبار أخويه عيسى والقاسم اللذين أخذا إلى الأندلس في جملة الرهائن السياسية (1) !

وبالرغم من أن القاضي لم يزر مدينة فاس من ذي قبل. لكن المدينة لم تكن بعيدة عن حسه ومعناه. فعلاوة على ما كان يعرف عنها. فإنه يعد من شيوخه المنتسبين إليها ممن أخذ عنهم في سبتة الفقيه أبا إسحاق إبراهيم الفاسي (2).

1) أبو عبد الله محمد بن عياض : التعريف بالقاضي عياض، تقديم وتحقيق : د. محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة - مطبعة فضالة - المغرب ص 3.

2) المقري : أزهار الرياض 3 - ص 157 - 158.

وأنا على مثل اليقين من أن طموحاته واستطلاعاته هي وحدها التي دفعت به إلى استزادة العلم في قرطبة وليس في فاس... فقد كانت الأولى أرحب وأنشط وأشهر. فبالرغم من وجود أمثال اللخمي والشارقي والطليطلي والتميمي وابن اللبانة في فاس مثلا... إلا أن نظائر ابن عتاب وابن حمدين وابن بشكوال وأبي علي الصدفي (3) والجياني وابن شبرين كانوا يستحقون الزيارة...

على كل حال فقد ادخر له القدر زيارة فاس لما بعد. أي عندما يمسي أسيرا غريبا. لا أهل ولا ولد ولا مال ولا نشب ! وبعدما لحق مدينة فاس من دمار وخراب بسبب الحصار الذي ضربه الموحدون عليها... فكيف كان استقبال فاس للقاضي. وهل دخل من باب عجيسة وخرج من باب الفتوح. كما يقولون ؟

لقد اعتاد أهل فاس ترديد هذه العبارة في حق الوارد على بلدتهم ممن لا يستوعب آثارهم ومآثرهم. ولا يستقصي ظروفهم وأحوالهم. فهو إنما اضطر لشق المدينة من بابها الشمالي. باب عجيسة إلى بابها من الجهة المقابلة : باب الفتوح...

لقد ظل الظرف الزمني الذي قضاه القاضي عياض في العاصمة الإدريسية مجهول الكم... وهكذا فبالرغم مما نقرأ عن بعض تحركاته في المدينة إلا أننا لا نستطيع لحد الآن أن نقوم بتقدير ما... فإن تلك التحركات جميعها يمكن أن تتم في يوم واحد نظرا لتقارب نقاطها. كما أنها من الممكن أن توزع على أيام كذلك...

مهما يكن فلقد نزل القاضي السابق في الحي الذي كانت تتبارى على سكناه عيون البلاد. وهو الحي الذي يجاور جامع القرويين وضريح الإمام ادريس :

---

3) د. عبد الهادي التازي : صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصفدي - مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 19، الجزء الأول (ربيع الاخر 1393 = 1973)، دعوة الحق، مارس 1973.

درب زنقة حجامة معقل الأشراف(4). ودرب السبع لويات... وقديما ردد الناس في معرض تباهيهم بامتلاك عقار في هذه الناحية، قولهم : «كأنما عنده دار في زنقة حجامة أو السبع لويات...» وبالصدفة كانت سكنى آل الغرديس في المكان الأول. وكان المكان الثاني سكنى لآل الملجوم. وكلا الأسرتين كانتا تضيفان القاضي عياض...

فمن هم آل الغرديس الذين قصد عياض بيتهم ؟

كل الذين كتبوا عن البيوتات الشهيرة بفاس تحدثوا عن أسرة الغرديس التغلبيين على أنها عريقة في المغرب وأن بيتهم بيت علم وفقه وكتابة. وأن جدهم بكار بن مرهون بن عيسى كان بسجلماسة قبل أن يدخل إلى المغرب. ويدل على مكانة بكار العلمية أن ابن الصيقل (المتوفى سنة 500 هـ) رحل إلى سجلماسة ليسمع منه(5).

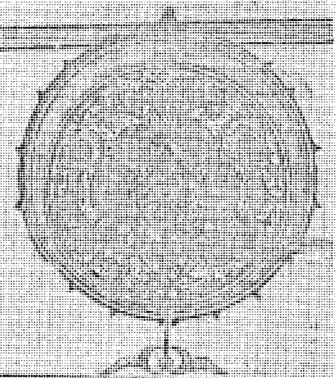
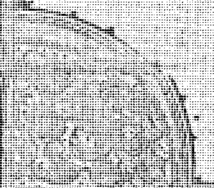
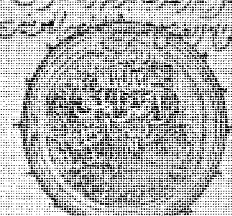
وحسب ظهير توقير من السلطان مولاي عبد الله بن أمير المومنين السلطان مولاي اسماعيل يرجع لتاريخ 17 رمضان 1143 هـ = 26 مارس 1731 م. يتعلق بأولاد الغرديس. وجدنا نعتهم بقرابتهم بالمصاهرة مع نجل البضعة النبوية مولانا ادريس. وهو الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بأنهم عاصروا فعلا بداية ظهور الدولة الإدريسية(6).

---

4) القادري : لمحة البهجة العلية في بعض أهل النسبة الصقلية، نشر المستشرق الإيطالي ريزيطانو...

5) التكملة : ص 142 رقم 503. الجذوة : ص 151. كتاب البستان : لابن مريم - طبع الجزائر ص 54.

6) وقفت على هذا الظهير ضمن ما وقفت عليه من وثائق الأسرة التي أجدد الشكر على مساعدتها.

وسنرى أن اسم هذه الأسرة ظل بارزا بصفة خاصة منذ زيارة عياض لفاس. حيث نجد ذكر القاضي أبي عبد الله محمد بن محمد الغرديس الذي كان يشغل في نفس الوقت ناظر أحباس القرويين والذي كانت له علاقة فيما يظهر بابن الغرديس الذي كان في جملة من حضر مجلس ابن تومرت...

لقد نزل عياض ضيفا على قاضي فاس في داره التي تقع في منتصف الدرب الصغير الأول الذي يوجد عن يسار الداخل للدرب الكبير المجاور لمسجد اللبارين بزنقة حجامة. حيث كان الغرديس يتوفر على مكتبة وجد فيها عياض بعض سلواه...

وقد احتفظت التقييدات المتعلقة بأوقاف جامع القرويين. باسم بعض العقار الذي كان محبسا على أعقاب آل الغرديس على ما يفيده الجزنائي في جني زهرة الآس. ويتعلق الأمر برائقة ابن الغرديس حيث كانت تقع دكاكين الخرازين قريبا من باب خزانة القرويين قبل عمليات التوسعة الجديدة(7). وقد ظهر من بين الذين تعاطوا لمهنة القضاء أواخر القرن التاسع أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الغرديس (ت: 899) على ما يذكره ابن القاضي في الجذوة.

وقد تحدث التاريخ عن الرئيس الشهير أبي العباس أحمد الغرديس كاتب المامون ابن المنصور الذهبي وشيخ كتاب الإنشاء بحضرة فاس المتوفى سنة (1020). وهو الذي مدح المامون بقصيدة يقول فيها من جملة ما يقول :

أهدى النسيم تحية المشتاق وأذاع ذكر الشوق في الآفاق(8)

وفي أعقاب السطو الذي تعرضت له أوقاف القرويين أواخر دولة السعديين. أصدر السلطان مولاي رشيد (1075 ـ 1082 = 1664 ـ 1672) أمرا بضم سائر عقار فاس إلى أحباس القرويين باستثناء ما تثبته التقاييد للناس. هذه التقاييد والتي

7) القصد الى التوسعة التي دشنها الملك محمد الخامس عام 1359 هـ = 1940 هـ الجزنائي : جني زهرة الاس ـ طبعة تلمسان ص 71 ـ 153. التازي : جامع القرويين : 1 ص 96، 99، 105.

8) نزهة الحادي : تاليف اليفرني، تصحيح هوداس ـ ص 200.
العباس بن ابراهيم : الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام : 2 ص 282.

وهو يعد سائر «أولاد الغرديس أصهار مولانا ادريس المعرف بهم في الفهاريس...» على حد تعبير الظهير....



وجد من بينها تقييد يتضمن لائحة بالأوقاف التي حبسها أبو عبد الله السيد محمد الفرديس على أعقابه وأعقابهم على ما يؤخذ من سجل يرجع لتاريخ ربيع الثاني (994 هـ = 1586 م).

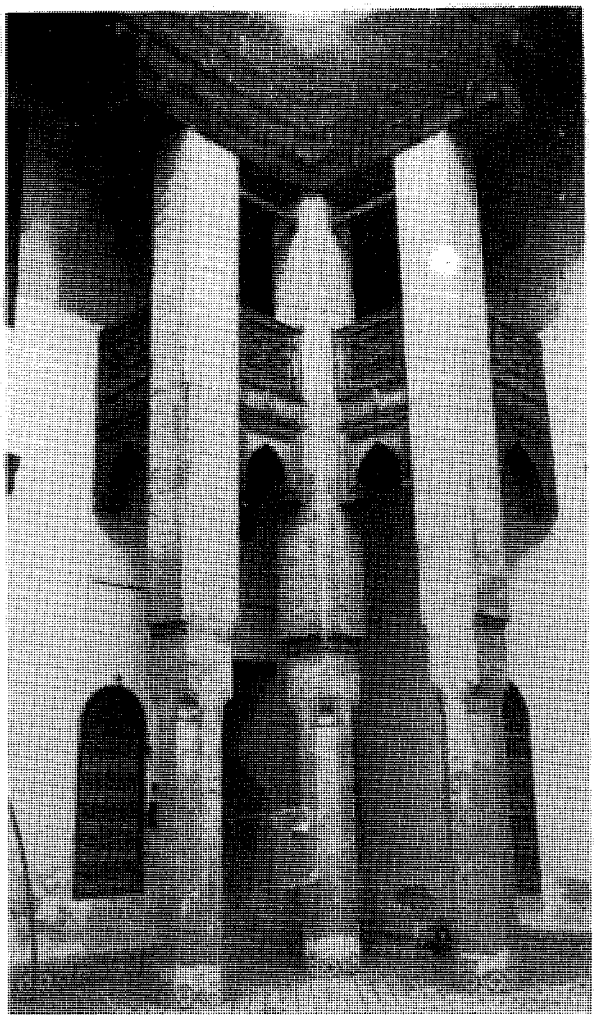
وتحتفظ الأسرة إلى الآن بعدد من الرسوم والظهائر التي تترجم عن المركز الاجتماعي للعائلة سواء لدى الخاصة أو العامة. وقد كان في جملة ما أثار الانتباه عقد زواج فاخر بتاريخ سادس ذي القعدة (1094) يتعلق بزواج سيدي الكبير بن أحد أعيان حضرة فاس سيدي أحمد الفرديس السالف الذكر، بالسيدة رقية بنت سيدي أحمد الشباني...

هذا إلى عقد آخر لا يقل عنه بهاء ورواء، وهو يرجع لتاريخ 30 جمادى الأولى (1115) ويتعلق بالسيد الطيب بن المهدي الفرديس الذي تزوج السيدة الزهراء بنت القاضي المفتي خطيب القرويين سيدي أحمد ابن ناجي(9)...

هذا إلى جانب ظهير اسماعيلي للتوقير يتعلق بسيدي الطيب السالف الذكر، ويرجع لتاريخ 26 ربيع الثاني 1138 وظهير عبدلاوي بتاريخ 17 رمضان (1943)

9) كان الشيخ أحمد ابن ناجي من المشايخ الذين يقولون بأن «علم التاريخ يضر جهله وتنفع معرفته، وهو الذي اكتشف في جملة من اكتشفوا زيف ظهير قديم أدلى به يهود فاس الجديد يتضمن إعفاءهم من الجزية ! وأن النبي (ص) عقد لموسى بن حيى بن أخطب أخي صفية رضي الله عنها ولأهل بيت صفية الأمان لا يطأ أرضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمائم... وكتب علي بن أبي طالب وشهد عتيق بن أبي قحافة وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان «وتاريخ شهادتهم في ذي القعدة سنة تسع من الهجرة» فظهر للشيخ أحمد ابن ناجي ولعلماء العصر أن ذلك زور وافتراء لأن التاريخ بالهجرة إنما حدث زمن عمر سنة سبع عشرة... ولأن الظهير الذي استظهروا به إنما هو نسخة من الأصل الذي فيه خطوط الصحابة وقد أرخوا الإستنساخ من الأصل عام (723) أيام السلطان أبي سعيد عثمان... وكيف يتوصل في المائة الثامنة لمعرفة خط الصحابة ؟. ولما رفع أمر هذا الظهير إلى السلطان مولاي اسماعيل عاقب اليهود عقابا شديدا، وهكذا قام ابن ناجي أيام مولاي اسماعيل العلوي بمثل ما قام به رئيس الرؤساء أيام القائم بأمر الله العباسي (الاستقصا : 1 ص 4 ـ 5 ـ 6).

وما من شك في أن كل هذا التكريم من بركة القاضي عياض الذي اقترن مقامه بفاس باسم الغرادسة الذين عرفوا بدورهم كيف يحافظون على صلة أجدادهم بالقاضي عياض. حيث نجدهم إلى الآن يفتحون بيتهم لكل من يريد أن يؤدي زيارة للبقعة التي كان يرقد فيها عياض قبل ما يزيد على ثمانية قرون



ونصف القرن ! وهي البقعة التي اهتمت بها أحاديث الخاصة والعامة أكثر مما عنيت بدار ابن خلدون أو لسان الدين ابن الخطيب..!

وقد اقترن اسم عياض في فاس باسم أسرة أخرى تأرجت بذكرها المعاجم والفهارس. ويتعلق الأمر بآل الملجوم الذين يرتفعون بنسبهم إلى عمير بن مصعب الأزدي وزير الإمام ادريس الأول.. والذين آوى إليهم عياض أيضا وزار مكتبتهم الخاصة وأجاز بعضهم كذلك...



لقد كانوا يسكنون غير بعيد عن زنقة حجامة. إنهم. حسب حوالة وقفية قديمة. يسكنون في الدرب المنسوب إليهم ضمن «السبع لويات» التي تجاور جامع القرويين.

وحتى لا يلتبس علينا بنو الملجوم، ينبغي أن نأخذهم ابتداء من أبي الحجاج يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم بن عيسى بن محمد بن قبتروس بن مصعب بن عمير بن مصعب الأزدي ثم الزهراني. وقاسم جدهم هو الذي لقب بالملجوم للثغة في منطقه لازمته من صغره.

لقد راح أبو الحجاج يوسف مخلفا من الأبناء ممن عرفنا : عيسى الملقب بأبي موسى، وعبد الرحمن الملقب بأبي القاسم... ومحمد الملقب بأبي عبد الله... وقد ترك محمد هذا ابنه يوسف الذي أنجب عبد الرحمن الملقب بأبي القاسم كعم أبيه، وقد خلف عيسى من البنين عبد الرحيم الملقب - كعمه وحفيد عمه محمد - بأبي القاسم.

وهكذا فإن هناك الجد أبا الحجاج الذي تحدث التاريخ عنه على أنه هو الذي استفتاه السلطان يوسف بن تاشفين لما أراد الجواز إلى الأندلس لينزل ملوكها المتظاهرين بعضهم بعضا بالأجنبي والضاربين على المواطنين ما لا يطاق من المغارم والمكوس...

وهناك أبو موسى عيسى ابن يوسف (476 - ت : رجب 543 هـ) وقد تولى القضاء بفاس ومكناس وكان عارفا بالنوازل وكان ممن يراسلهم أبو علي الصدفي حيث وجدنا آثار مراسلة بتاريخ عام (501) وأخرى بتاريخ سنة (513)، وقد سمع من أبيه أبي الحجاج ودخل الأندلس فلقي بقرطبة ابن الطلاع وكان جماعة للدواوين (10)...

وهناك أخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف (482 - 544هـ) من أهل مدينة فاس كذلك، وقد حدث عنه فيمن حدث - عند دخوله للأندلس - ابن أخيه... وقد كان يتوفر على خزانة علمية تتمتع بشهرة واسعة في المغرب على ما تتضافر عليه النقول(11).

(10) ابن الابار : التكملة 2 ص 639. المعجم ص 290 رقم 272. زمامة : مشاهير فاس - مجلة البحث العلمي - دجنبر 1964.

(11) ابن الابار : التكملة 2 ص 590 - 601. الجذوة ص 253 - 254 - 267 - 268.

كما أن هناك أبا القاسم عبد الرحيم بن عيسى (524 ـ 604 هـ) الذي سمع من بلده (فاس) عن أبيه أبي موسى، كما سمع عن عمه القاسم عبد الرحمن وأبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الجياني، وهذا هو الذي لقي بفاس أبا الفضل عياض وأبا مروان بن مسرة وأبا الحسن الزهري وأبا بكر بن الجد وأبا يونس مغيث، وأجاز له جميعهم، وناظر على أبي بكر بن طاهر في نحو الثلث من كتاب سيبويه، وقد رحل إلى الأندلس فلقي بقرطبة أبا القاسم بن بشكوال وأخاه أبا عبد الله، ولقي باشبيلية أبا بكر بن خير، وبمالقة أبا زيد السهيلي، وقد ولي القضاء بعد والده موسى وكان عنده من الدفاتر والدواوين كثير مما ورث عن أبيه أو اقتنى من شيوخه كأبي عبد الله الجياني مع جلالة القدر ونباهة السلف ورفع الشأن على ما يقول ابن الأبار(12).

وأخيرا فإن هناك حفيد أبي عبد الله محمد، وهو أي الحفيد، يحمل اسم عبد الرحمن ويكنى كذلك أبا القاسم (535 تـ : 612 هـ) تماما كاسم وكنية عم والده يوسف بن محمد... فعبد الرحمن هذا هو ابن يوسف بن محمد بن أبي الحجاج يوسف الذي أفتى ابن تاشفين حول العبور للأندلس على ماأسلفنا...

وعبد الرحمن هذا، هو بدوره من العلماء المهتمين باقتناء الكتب وقد شيد لخزانته غرفة كان يقصدها كبار البلد وأعيانها، وقد جمع بها من الدواوين الشيء الكثير، حتى صارت أكبر مكتبة في المغرب... وقد وهبها لابنته التي لم يكن له عقب غيرها، فباعت خرومها بعد وفاته بأربعة آلاف دينار، وناهيك بهذا المبلغ على ذلك العهد..! وقد ميز الناس بين عبد الرحمن (الصغير) هذا وبين عبد الرحمن (الكبير) فإن الصغير كان معروفا عند العامة باسم (ابن رقية)... ورغم ما قيل عنه من أنه كان دون (الكبير) علما واطلاعا، فإننا نجد أن من جملة الآخذين عنه أحد أبناء الاسكندرية أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي الذي تحدث عن

---

12) ابن الابار : التكملة 2 ص 601. ابن القاضي : الجذوة ص 267 ـ 268.

خروم المكتبة التي بيعت بذلك المبلغ(13)، كما نقرأ في التكملة، أنه سمع على أبي القاسم عبد الرحمن والده...

ولقد امتد ذكر بني الملجوم الى القرن التاسع، حيث تحدثت الحوالات

الحبسية التي ترجع لتاريخ (893 هـ) عما كان معروفا عن درب الملجوم الذي لا يبعد عن «السبع لويات» كما أشرنا، بل إن أحد أفرادها استرعى انتباه ابن القاضي في الجذوة ويتعلق الأمر بأبي زيد عبد الرحمن ابن الملجوم الذي توفي بفاس بتاريخ سادس ربيع الثاني (917 هـ) (14).

وقد كان يهمنا من بني الملجوم أبو القاسم عبد الرحيم (524 - 604) الذي قال بالحرف على مانقله المقري في أزهار الرياض : «اجتاز علينا عياض عند انصرافه من سبتة قاصدا الى الحضرة (يعني مراكش) زائرا لأبي (عيسى 476 - 543 وكان في آخر أيامه) عشية يوم الاثنين الثامن لرجب سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة (15 نونبر 1148) وفي هذه العشية استجزته وسألته عن نسبه فقال لي : انما أحفظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض...».

والى جانب هذين المكانين اللذين غشيهما أبو الفضل سمعنا عن مكان ثالث كان يجد فيه راحته، ذلك جامع صغير يقع قبالة درب (حجر النار) الذي لا يبعد عن ساحة الصاغة القريبة من زنقة حجامة بحيث يكفيه أن يقطع الممر الذي يقع قبالة درب زنقة حجامة ثم يعرج ذات اليمين ليجد الجامع الذي يحمل اسمه لدى بعض الذين كتبوا عن فاس، في نهاية الطريق وكما قلنا مقابل درب حجر النار...

13) نرى أن المتحدث عن الخروم هو الأنصاري وليس الطرطوشي هو المتحدث بذلك، فإنه توفي سنة 520، وهكذا فإن ما كتبه ديلفان في كتابه عن «فاس وجامعتها والتعليم العالي» نقلا عن الحرشاوي يحتاج إلى تحقيق.. هذا وقد فضلت رواية النسخة التي أشار لها هامش الجذوة والتي تقول : أن عبد الرحيم (الصغير) توفي 612 وليس عام 605 حتى اميز بين الاول والثاني. (التكملة : 2 ص 590، الجذوة : ص 253 - 254).

14) الجذوة : ص 260، السلوة : 3 ص 178.

وقد اعترضني اسم هذا المسجد وأنا أقوم في الستينات بجرد لسائر جوامع فاس. اعترضني في كثير من الحوالات الحبسية وأثار انتباهي. كما كان الأمر بالنسبة لمسجد سيدي الشعراني... فهل النسبة تعني أن العالمين الجليلين كانا يدرسان في هذين المسجدين ؟ أم أن قراءة كتبهما بالمسجدين المذكورين هي التي سببت النسبة ؟ أم أن هناك أمرا ثالثا يكمن وراء تلك النسبة وخاصة فيما يتعلق بجامع القاضي عياض ؟

مهما يكن فقد كان من أقدم تلك الحوالات زمام مبارك حرر بتاريخ (994) وجدد على التوالي أيام الملوك العلويين ابتداء من مولاي اسماعيل...

وقد استطعت أن أتسلق إلى نقيشة في واجهة منارة الجامع التي تقوم. بشكل غريب. على دكان يقع يمين الداخل للمسجد قبالة متجر للسيد جسوس (بتشديد السين) تقول النقيشة هذه الأبيات الثلاثة :

الحمد لله هذي صومعة بنيت ، على أساس من التقوى ورضوان
الله يرحم من ... وأسسها ، في مسجد الصاغة الأنسى بإتقان
في عام سبع من المئين قد سلفت ، من قبل خمس وستين بتبيـــان

وحسب ما رأينا فإن الصومعة بنيت في عهد السلطان أبي عنان. أي تقريبا في نفس التاريخ الذي بنيت فيه الخزانة العلمية بتازة قبليَ المسجد الأعظم يسار المحراب. فقد عثر على نقيشة لها صلة أيضا بالقاضي عياض الذي بنيت الخزانة المذكورة برسم كتابه الشفا :

لي منزل بين الخزائن شامخ   قد خص من بيت الإلاه بمنزل
حفظا لمجموع الشفا أنشئت عن   أمر الخليفة فارس المتوكل(15)
في عام سبع بعد خمسين انقضت   ومئين سبع في ربيع الأول

15) مخطوطة الاسحاقي بالخزانة الكبرى لجامعة القرويين...

وإذا كان ابن القاضي في (جذوة الاقتباس) ينقل عن ابن الأبار أن القاضي عياض دخل مدينة فاس. **واخذ عنه بها جماعة**(16). فإن الكتاني في سلوة الأنفاس يذكر أن أول من اشتهر أنه نزل بالمسجد وتعبد فيه أبو الفضل عياض... وممن كان يأوي لهذا المسجد ويدرس فيه ويؤم الفقيه سيدي ميارة الأصغر المتوفى في المحرم 1144 هـ (17).

وممن كان يدرس في هذا المسجد الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام البناني المتوفى في ذي القعدة من عام (1163 هـ). وقد كان يفتتح نشاطه في التدريس كل يوم بمجلس الحديث الذي يعطيه بمسجد عياض قبل أن يلتحق بمجلسه الفقهي في الصف الأول من جامعة القرويين... على أن ينهي يومه بدرس بين العشائين حول صحيح الإمام البخاري ورسالة ابن أبي زيد في المدرسةالمصباحية (18).

وآخر من أدركه صاحب السلوة يأوي إلى المسجد المذكور ويتعبد فيه أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحفيان المدعو خمليش... وعلى قياس هذا أذكر أن آخر من عرفت أنه يعطي دروسا خاصة بهذا الجامع القاضي سيدي عبد الرحمن الغريسي رحم الله الجميع...

تلك هي النقاط الثلاث التي اقترن وجود عياض في فاس بذكرها : دار الفرديس. دار الملجوم. مسجد الصاغة... وصحيح أنها تعكس جميعها هوايات عياض المحببة. المحببة. فهو إلى جانب زميل له في المهنة في دار الفرديس. وهو مع ذلك على صلة بأشهر وأوثق وأجمع خزائن علمية عرفت على ذلك العهد... خزائن أهل الملجوم الذي كان بيتهم بمثابة أكاديمية يتردد عليها المطالعون

---

16) الجذوة : ص 277.

17) ما تزال أسرة ميارة إلى اليوم تعيش بفاس، وقد نبغ فيها عدد من الشباب.... السلوة : ص 167.

18) السلوة : ص 151. الكتاب الذهبي لعيد القرويين : ص 172.

والمراجعون... وهو بعد هذا في جامع يلتقي فيه بمن يرد للصلاة وللقراءة...
ومع ذلك فإن السؤال الذي يطرح نفسه : هل إن هذه الأمكنة المحدودة كانت في حجم شخصية علمية بارزة من أعلام الحركة المذهبية.. ؟ عياض الذي صحبته إلى الأندلس وهو طالب رسائل التوصية به من الأمراء المرابطين ووزرائهم وكبرائهم... عياض الذي جلس للمناظرة في بلده سبتة وهو ابن اثنين وثلاثين سنة... عياض الذي ولي قضاء سبتة فبرز في وظيفه... عياض المفسر المحدث. المؤرخ المعروف بطريقته الخاصة في التأليف والتدريس... عياض قاضي غرناطة الذي وصف أبو زيد عبد الرحمن ابن القصير. وهو أحد علماء غرناطة وصف دخوله إلى غرناطة بهذه العبارات الدالة : «لما دخل علينا القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه وبرزوا تبريزا ما رأيت لأمير مؤمر مثله. وقد وقد حزرت أعيان البلد الذين خرجوا إليه ركابا نيفا على مائتي راكب. ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة. وخرجت مع أبي - رحمه الله تعالى - في جملة من خرج. فلقينا شخصا بادي السيادة. منبئا عن اكتساب المعالي والإفادة...».

هذا هو القاضي عياض الذي دخل إلى فاس ولم يعلم به فيها أحد غير شخصين اثنين !!

لقد تذكرت قصة القاضي المكلاتي مع السلطان أبي عنان :

الناس أعون من واتته دولته وهم عليه إذا خانته أعوان !!

هل لم يكن بفاس كلها غير أبي القاسم ابن الملجوم يستجيزه ويسأله عن نسبه ؟! هل لم يكن بفاس كلها غير القاضي ابن الفرديس... ؟ هل لم يوجد بفاس كلها غير جامع الصاغة الذي يكون جزءا من ألف من مساحة جامع القرويين ؟

هناك أسطورة تروج على ألسنة بعض الذين كانوا يلازمون مجالس الوعظ بمدينة فاس. وهي تدخل في إطار الأدب الشعبي الذي أبى إلا أن يملأ الفراغ

الذي شعر به أهل فاس وهم يسمعون عن مرور القاضي بديارهم... وقد كان يهمنا من هذه القصة أن عياضا ربما مارس مهنة القضاء بفاس بعض الوقت...

ويتعلق الأمر بما يرويه بعض الطلبة عن أحد المشايخ في باب غيرة الزوجات من انقطاع أزواجهن للدرس والمطالعة..!

لقد قالوا : إن القاضي عياض كان ينصرف كلية لقراءاته إلى حد ينسى فيه ليس فقط واجباته البيتية، ولكنه كذلك يهمل تموين من كان عليه أن يعوله !

وقد تضايقت زوجته من هذه الحال بفاس... وحتى تعبر عن احتجاجها بشكل يحرك القاضي ويجعله يفكر في (المائدة) قبل أن يفكر في (الفائدة) عمدت إلى مخطوط مجلد كان عزيزا عليه. فجعلته في (كسكاس) كان يشقه البخار الحار المتصاعد من المياه الساخنة تحته على نحو ما يحصل عندما يراد تبخير اللحوم.

وعندما عاد القاضي من درسه داعبت روائح الجلود المبخرة حاسة شمه، وكان يعتقد أنها مائدة نزلت من السماء... فسأل زوجته : ترى من أين أتاك اللحم ؟ ولكنها صدمته وهي تكشف الكسكاس عن «المجلد» الذي كان ينقطع إليه القاضي، الأمر الذي دفع به إلى هجر زوجته وترك فاس معها إلى مراكش... تلك قصة مطرفة تناقلتها المجالس، ولكنا لم نجد لها مصدرا فيما نتوفر عليه من مراجع، وبذلك يظل تساؤلنا قائما حول الصمت المخيم على مقام القاضي عياض بفاس !

الواقع أن ذلك السكوت هو وحده يترجم عن الجو المتوتر الذي كان يسود علاقات القاضي السابق بالحكم الموحدي، وإلا فبماذا نفسر انكماش الناس عن أبي الفضل وانكماشه هو عنهم. لقد كان في الإمكان أن نسمع عن صلة له بالإمام عيسى المؤمناني الذي كان القاضي عياض ينقل عنه ناعتا إياه بفقيه أهل فاس. لعل هذا المؤمناني كان يعيش ظروفا على نحو ظروف أبي الفضل فقد كان هو الآخر ممن لهم رأي غير رأي السلطة آنذاك..! (19).

---

19) - الجذوة : ص 281.

ولقد كان في الإمكان أن نسمع عياضا يسأل عن ابن جامع البغدادي الذي جلس لتدريس الفقه بغربي جامع القرويين منذ سنة (515) وكان في جملة من أخذ عنه أبو القاسم بن الملجوم الذي استجاز القاضي عياض... لقد كان في الإمكان كذلك أن نسمع عن صلة القاضي عياض بأبي الحسن عن ابن حرزهم الذي تحدث التاريخ عن «انقباضه هو الآخر عن السلطة» منذ أن اتخذ موقفه المناصر لكتاب إحياء العلوم أيام يوسف ابن تاشفين...

الواقع أن فاس كانت جميعها تعيش أياما كئيبة لا تقل كآبة عن الأيام التي يعيشها قاضي سبتة. أولم نسمع عن فقهاء فاس وشيوخها عام (540 = 1145 هـ) وهم يتسلقون السلاليم ليصلوا إلى أعالي البلاط الأوسط في جامع القرويين حتى يطمسوا الفنون الجميلة التي خلفتها أيادي الدولة المرابطية. وذلك خوفا من انتقاد عبد المومن الذي قامت دعوته على التقشف والبساطة ؟ ألم نسمع عن الموحدين وهم يدشنون فتحهم لعاصمة الأدارسة بتنحية الخطيب الإمام أبي محمد مهدي بن عيسى وهو من أقطاب القرويين وعلمائها. لماذا ؟ لأنه **لم يكن يعرف اللسان البربري** وكان شرطهم فيمن يخطب على الناس في أيام الجمع أن يكون ملما باللسان المذكور...

أريد أن أقول : إن التفسير الصحيح للنشاط المحدود للقاضي عياض بفاس يكمن في الجو العام الذي كانت تعيشه البلاد كما يكمن في الرعب والخوف اللذين كانا يهيمنان على كل شخص تحدثه نفسه بترديد قضية عياض واسم عياض !

كنت أتمنى أن أعرف حديث ابن صاحب الصلاة عن مصير عياض وهو يعالج ظروف قيام عبد المومن... وكنت أتمنى أن يكون موقف عبد المومن المراكشي غير موقف الصمت الذي اتخذه في كتابه المعجب ! وحتى حديث أبي القاسم ابن الملجوم عن عياض كان حديثا حذرا. فقد أكبر أن يسمي الأشياء

بأسمائها الحقيقية، فإن «النفي» من سبتة أصبح «انصرافا» فقط... وافهم أنت مدلول كلمة الانصراف...

لقد استمر الحديث عن عياض أيام الموحدين خاضعا لرقابة ملحوظة حتى فيما كتبه ابنه أبو عبد الله سيدي محمد... لقد كان تعريفه بوالده مختصرا إلى حد الإجحاف، لأنه كان يعرف ما قد يتعرض إليه لو أنه اطلق العنان لقلمه - بالرغم مما لقيته الأسرة فيما بعد من اعتبار عندما نصب الموحدون ابنه صاحب (التعريف) قاضيا على دانية وغرناطة... وعندما أولوه من حظوة لحفيده عياض... ثم لسبطه أبي عبد الله محمد الذي غدا بدوره قاضي الجماعة أواخر العهد الموحدي...

كل ذلك لم يجعل أحدا يجرؤ على وضع محنة القاضي عياض على المشرحة، فالتعريف به مبتور، وملاحقته في مراحله نحو الجنوب غير مسموح بها للجمهور...

وإننا مع تحفظنا ازاء القولة التي ترددت على لسان صاحب المرقبة : «سم ابن العربي وخنق اليحصبي»، نؤمن بأن سمعة القاضي عياض كانت من الشهرة بحيث أنها اسهمت، دون شك، في جعل عبد المومن يبقى على حياة القاضي عياض، ويكتفي بفرض الحصار عليه وتطويق الأخبار التي تتعلق به ومن ثمة اقتصرت معلوماتنا على ما نرى، وما كان حديثا يفترى!

د. عبد الهادي التازي

الصراع المذهبي من خلال
كتاب ترتيب المدارك
للقاضي عياض

الدكتور : عبد القادر العافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الصراع المذهبي من خلال
كتاب ترتيب المدارك
للقاضي عياض

كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض هو كتاب طبقات الفقهاء المالكية من عهد الامام مالك رضي الله عنه في القرن الثاني للهجرة، إلى عهد المؤلف بالنصف الأول من القرن السادس للهجرة. ترجم فيه لأكثر من ألف وخمسمائة فقيه مالكي، قسمهم إلى طبقات، وكل طبقة إلى أقاليم وجهات من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، كالحجاز، والعراق، والشام، ومصر، وافريقية والقيروان، والأندلس والمغرب.

وعمل القاضي عياض في هذا الكتاب يمثل موسوعة علمية لتاريخ الحياة الفكرية لنحو خمسة قرون من الزمن، لأن تراجم الكتاب لا تقتصر على ذكر حياة المترجم وميلاده ووفاته... بل تتعدى ذلك إلى فنون من المعرفة، كالتاريخ، والتصوف، والفقه، وأحكام بعض القضاة، واجتهاداتهم... وأخبار الزهاد، والعباد، والمرابطين، والممتحنين من أجل الثبات على المبدأ... ويتخلل ذلك ملح وطرائف، ونصوص أدبية... وشذرات من مختلف العلوم، كبعض قواعد الفقه، والأصول، وعلم الحديث وعلم الجرح والتعديل...

ويطلع دارس المدارك على نوع المذاهب والآراء والأفكار التي كانت سائدة في الفترة التي يترجم لرجالها.

ويتعرض بكثير من التفصيل. وفي كثير من الأحيان إلى تشخيص الصراع المذهبي. القائم بين الفقهاء المالكية وبين خصومهم سواء كان الخصوم حكاما متسلطين. أو أصحاب نحل وأهواء ومذاهب...

وسيلاحظ الدارس لترتيب المدارك أن المؤلف عنى عناية كبيرة بايراد الأحداث والوقائع التي تبرز بوضوح إلى أي مدى كانت الخلافات المذهبية. والصراعات الفكرية تشغل بال الناس وتعرض الثابتين منهم على المبدأ إلى بلايا ومحن مختلفة.

ومن المفيد أن نتعرف على أهداف المؤلف من خلال بعض ما جاء في مقدمة الكتاب. قال عياض : «اقتصرنا في هذه الورقات على ذكر عدد منهم - أي من أصحاب مالك - ممن عرف اسمه وصحت روايته. وشهرت صحبته... وابتدأنا بذكر الفقهاء من أصحابه خاصة ثم باتباعهم طبقة طبقة. واخلافهم أمة بعد أمة إلى شيوخنا الذين أدركناهم. وأئمة زمننا الذين عاصرناهم. ممن شهرت أمامته. وعرفت معرفته. أو ظهرت تواليفه. ونقلت أقواله. وامتثلت فتاويه وآراؤه. على حسب تقدم أزمانهم وتعاقب أوقاتهم...» إلى أن قال : «وذكرنا من محن ممتحنيهم. وبلايا مبتليهم ما فيه مسلات للمتحنين. وأدلة على ثبات قدمهم في الصالحين... وانتقينا أثناء ذلك من نوادر ظرفائهم. وملح أدابهم. ومحاسن شعرائهم ما ينشط النفس عند كسلها. ويصقل عنها رين صدائها...».

وعند حديثه عن المنهاج الذي سلكه في تصنيف الكتاب. شدد في وجوب ضبط الأسماء. لتسلم من التحريف. وأتى بالاقوال المأثورة في ذلك وبأمثلة في تشابهها.

وكتاب ترتيب المدارك يمكن للباحث أن يخرج منه بعدة موضوعات متكاملة مثل :

- أخبار الصالحين والزهاد والعباد والمرا بطين.
- أخبار الممتحنين والمعذبين من أجل الثبات على العقيدة.
- الطرف والملح والنوادر والمسليات.
- النوازل الفقهية، وفتاوى الفقهاء، وأحكام القضاة واجتهاداتهم.
- أهمية وظيفة القاضي وما كان لها من رفعة شأن.
- الأحداث التاريخية المواكبة لحياة المترجم لهم.
- شذرات من أخبار الفرق والمذاهب كالمعتزلة والشيعة والخوارج.
- النصوص الأدبية شعرا ونثرا، إلى غير ذلك من الموضوعات التي جمع القاضي عياض مادتها في الكتاب.

ومع هذا يبقى كتاب : «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك» كتاب طبقات بالدرجة الأولى، ومن مزايا كتب الطبقات انها تؤرخ لأولئك الذين كان لهم تأثير على حياة مجتمعهم من الناحية الفكرية والأخلاقية، والمذهبية، والاجتماعية بصفة عامة، وبعبارة أوجز أنها تؤرخ لزعماء الشعب ومفكريه... فإذا كانت كتب التاريخ تؤرخ للدول وللزعماء السياسيين فكتب الطبقات تؤرخ للزعماء الشعبيين، ومعلوم أن الحديث عن الجانب الاجتماعي وعن اهتمامات أفراد الأمة وخلجاتها أغفله مؤرخو الأحداث السياسية، والدول المتعاقبة... ولذا يجد الباحث في كتب الطبقات ما يسد بعض هذا الفراغ، وما ذلك إلا لأن علماءنا رحمهم الله كانوا من الشعب واليه، كانوا رواده والمعبرين عن طموحه.

وموضوع الصراعات المذهبية من خلال مدارك عياض الذي أتناوله في هذه العجالة يؤكد أن الزعماء الشعبيين من فقهاء المذهب المالكي مثلوا دور الزعامة الشعبية خير تمثيل، لأنهم كانوا لسان الجماهير المعبرة وصوت الأمة الصادع في المواطنة التي يخشى فيها من قول الحق، كانوا يمثلون وعي الأمة وضميرها وقلبها النابض بالحياة.

ويستفاد من المدارك أن الصراعات المذهبية مع أولئك الذين عملوا على تحويل مسار الخط القويم الذي التزمته الجماهير وآمنت به، كانت صراعات عنيفة

وحادة. إلى درجة أصبحت معها الحياة قاسية يكتنفها كثير من مظاهر القلق والحيطة.

وأعنف هذه الصراعات كانت مع المعتزلة أولا. ثم مع الشيعة ثانيا. ومع غيرهما من النحل المبتدعة والمذاهب المختلفة.

1) ـ مع المعتزلـــة :

المعتزلة : فرقة كلامية اسلامية ظهرت (1) في أواخر القرن الأول الهجري. وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول. يرجع اسمها إلى اعتزال امامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. لقول واصل : ان مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا. بل هو في منزلة بين المنزلتين. ـ أي فاسق ـ على خلاف ما يقوله الخوارج من أن مرتكب الكبيرة كافر. وما يقوله المرجئة من أن مرتكب الكبيرة مؤمن.

وللمعتزلة مدرستان رئيسيتان : مدرسة البصرة. ومدرسة بغداد. ومن أشهر رجال المدرسة الأولى. واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. وأبو الهذيل العلاف. وابراهيم النظام. والجاحظ.

ومن أشهر معتزلة بغداد : بشر بن المعتمر. وأبو موسى المرداد. وعامة بن الاشرس. وأحمد بن أبي دؤاد.

وابان الأحداث السياسية الكبرى في بداية القرن الثاني للهجرة. برزت وتضاربت مقالات الفرق المختلفة : كالشيعة والخوارج والمرجئة.

وفي هذه الفترة بالذات نشط واصل بن عطاء. ووضع أسس مذهب الاعتزال. وأخذ يذيع مذهبه. ويبشر به. ويجمع الناس عليه. وبعث بتلامذته للأقاليم النائية.

---

1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ج : 1 : 14 وما بعدها.

أهم المصادر عن المعتزلة : مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، والملل والنحل للشهرستاني، والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم. وأوفى مرجع في مباحث المعتزلة ومذاهبهم، هو : كتاب «المغني» للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

والمناطق البعيدة من العالم الاسلامي، ويروى في هذا الصدد، أنه أرسل عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن أبي سالم إلى خراسان فأجابهما خلق كثير (2).

دخل مذهب الاعتزال إلى المغرب، وانتشر بين المغاربة، وشكل المعتزلة بالمغرب العربي أقليات لها وزنها في الميدان الفكري، ولها خطرها في الصراع المذهبي، وتمتع المعتزلة في امارة بني مدرار بسجلماسة بحرية وتسامح وعقدوا مجالس للمناظرات مع مخالفيهم في الرأي.

وفي تامرت وما حولها بالمغرب الأوسط، كان يقيم ما يزيد عن ثلاثين ألفا من الواصلية، كانت تجري بينهم وبين خصومهم مناظرات ومساجلات مشهورة (3).

وأورد القاضي عياض في المدارك أن الفقيه ابن الحداد المالكي (ت : 330هـ) كانت له مناظرات مع الفراء شيخ المعتزلة (4).

والمعتزلة بالرغم من تعدد فرقهم ومذاهبهم وزعمائهم.. فإنهم متفقون على أصول خمسة يعتبرونها قاسما مشتركا بينهم وهذه الأصول حسبما قاله الأشعري، وابن الخياط، والمسعودي هي : التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن اعتقد هذه الأصول فهو معتزلي، ومن زاد فيها، أو نقص عنها فلا يعد معتزليا (5).

وذكر ابن حزم أن الأصول الخمسة عندهم هي : القول بخلق القرآن، ونفي الرؤية السعيدة، ونفي القدر، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، ونفي الصفات (6).

---

2) كتاب «المعتزلة» للأستاذ زهدي جار الله ط : 1 : القاهرة : 1947 م ص : 44.
نقل عن المنية والأمل لأحمد المرتضى الزيدي المعتزلي (ت : 840 هـ).

3) «الخوارج في المغرب الإسلامي» للدكتور محمود اسماعيل ط : دار العودة بيروت 1976 م ص : 221.

4) المدارك : 5/ 85.

5) مروج الذهب للمسعودي، 6 : 22. وابن حزم 2 : 89.

6) ابن حزم نفس المصدر.

ومهما كان الأمر فالمعتزلة آمنوا بمعتقداتهم، وأصبحوا يدافعون عنها، ويعقدون مجالس للمناظرات في كل مكان أقاموا به.

ويذكر القاضي عياض في المدارك : أن الإمام مالك بن أنس قال : «لا يصلى خلفهم ولا يحمل عنهم الحديث، حسب رواية أشهب، وروى عنه ابن القاسم لا يسلم عليهم ولا يعاد مرضاهم، وروى الواقدي عن مالك : لا تجوز شهادة القدرى الذي يدعو، ولا الخارجي والرافضي» (7)، قال عياض عقبه : «وروى عن مالك منع شهادته مجملا، وروي عنه إذا كان داعية».

فالمروي عن الإمام مالك إذن : القدري لا تقبل شهادته، ولا يسلم عليه، ولا يعاد في مرضه، ولا يصلى خلفه، ولا يحمل عنه الحديث.

وموقف الإمام مالك من القدرية الذين هم المعتزلة (8) لم يكن شاذا بل هو موقف أهل السنة جميعا، لأن أهل السنة كانوا غير مرتاحين لما يروجه المعتزلة من ضلال وبهتان، ولما ينشرون من آراء وأفكار... ويصرح عبد القاهر البغدادي بذلك فيقول : «رجع الامام مالك، وفقهاء المدينة، والشافعي في كتابه القياس، رجع هؤلاء جميعا عن قبول شهادة المعتزلي (9) وذكر أن محمد بن الحسن الشيباني أوصى أن من صلى خلف معتزلي عليه أن يعيد صلاته (10).

وذكر : أن الأصمعي طرد الجاحظ من مجلسه، وقنعه بنعله، وقال له : نعم قناع القدرى النعل (11).

وأورد القاضي عياض في المدارك جواب الإمام مالك عن بعض ما كان يثيره المعتزلة من آراء وأفكار كقولهم أن الله تعالى لا يرى في الدار الآخرة.

---

7) المدارك : 47/2.

8) يطلق عليهم خصومهم «القدرية» وهم بدورهم يطلقون هذه التسمية على أهل السنة، الا أن هذه التسمية التصقت بالمعتزلة. انظر في ذلك : الفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهر ستاني، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

9) عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق أثناء الكلام عن المعتزلة.

10) نفس المصدر.

11) «أصول الدين» للبغدادي ص : 316 : ط : استنبول : 1928 م.

وقولهم في الاستواء، وفي خلق القرآن... أورد الجواب عن ذلك في الباب الذي عنونه : «باب أتباعه السنن وكراهيته المحدثات، وبعض ما روى عنه في عقائد أهل السنة، والكلام في الأهواء» (12).

وحاول القاضي عياض في هذا الباب من مقدمة كتابه، أن يجمع بعض أقوال مالك المتعلقة بموقفه من الصراعات المذهبية، التي كان جوها القاتم يخيم على الناس، ويقلق بالهم.

ومن آراء المعتزلة التي شغلت الناس رأيهم في القرآن بأنه مخلوق.

خلــــق القـــــرآن :

نتج عن اعتقاد المعتزلة بأن القرآن مخلوق صراع عنيف بينهم وبين أهل السنة، وقاسى فقهاء المالكية من ذلك عناء كبيرا. ونقل صاحب المدارك أخبار الممتحنين من مترجميه في هذه القضية، التي بلغت حدة الصراع فيها إلى أقصى مداها.

القول بخلق القرآن الكريم مستمد من مشكلة الصفات ومتفرع عنها، لأن من صفات الله تعالى كونه متكلما، وفي هذا الموضوع اختلف المعتزلة في حقيقة الكلام هل هو جسم أو عرض ؟ ولكنهم اتفقوا على أنه مخلوق محدث، فالله تعالى عندهم متكلم لا بكلام قديم، بل بكلام محدث يخلقه وقت الحاجة إلى الكلام، وهذا الكلام المحدث ليس قائما بذاته تعالى، بل خارج عن الذات العلية يحدثه تعالى في محل، فيسمع من المحل، واشترطوا في المحل أن يكون جمادا، حتى لا يكون هو المتكلم به دون الله، وتمحلوا التاويل في قوله تعالى : «وكلم الله موسى تكليما» قالوا إن الله خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى عليه السلام.

ويحكم المعتزلة على القائلين بأن القرآن غير مخلوق، بالكفر والالحاد، لأنهم يصفون خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده.

هذا هو حكم المعتزلة فيمن لا يقول بخلق القرآن.

---

12) المدارك : 38/2.

أما قول المالكية في الموضوع وأهل السنة بصفة عامة فينقله القاضي عياض في المدارك فيقول : «عن أبي أويس أن مالكا قال : القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق (13). ويقول : زاد غيره أنه قال : من قال القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف أشد منه، ويستتاب والا ضربت عنقه، وفي رواية ابن نافع عنه يجلد ويحبس من قال ذلك» (14).

- ومعنى يقف : لا يقول بقدمه ولا بحدوثه وكان يطلق على هؤلاء الواقفية

- ويتجلى من هذا أن رأي المالكية واضح في قضية خلق القرآن، وهم يخالفون المعتزلة مخالفة تامة، والسلف بصفة عامة على طرفي نقيض من المعتزلة، لأنهم يقولون بأن كلام الله أزلي، بل اعتبر الحنابلة حروف القرآن قديمة، غير مخلوقة (15). ويروى عن عمرو بن دينار أنه قال : «ادركت سبعة من الصحابة، يقولون : من قال القرآن مخلوق فهو كافر» (16).

اعتقد المعتزلة خلق القرآن، واعتبروا هذا الاعتقاد أساسيا في عقائد المسلمين، ودفعهم غلوهم في هذا الاعتقاد إلى حمل الخليفة المامون العباسي (198 - 218هـ) على الايمان بذلك إلى درجة أنه أصبح يرى ابتداء من سنة 212هـ : «أن من قال بقدم القرآن، يساوي بين الله وبين ما أنزل من الكلام» وهذا هو الشرك بعينه، وكان يعجب ممن يقول بأن القرآن غير مخلوق، وينسبه إلى الكذب والجهل (17). وفي سنة 218هـ صمم على امتحان الناس في خلق القرآن، وتوسع الطبري في ذكر أخبار المحنة في القرآن، ونقل قرار المامون الذي كتبه في هذا الموضوع - من الرقة بالشام إلى اسحاق بن ابراهيم رئيس شرطته ببغداد يأمره فيه بامتحان

13) بكلام مالك هذا، رد ابن قتيبة المتكلم بلسان أهل السنة على المعتزلة، في كتابه تاويل مختلف الحديث، ص : 259.

14) المدارك : 2/ 43.

15) نهاية الأقدام للشهرستاني ص : 313.

16) نفح الطيب لأحمد المقري : 5 : 302. بتحقيق احسان عباس.

17) تاريخ الرسل والملوك للطبري : ج : 10 : 284 - 285.

القضاة والشهود والمحدثين. وهو قرار طويل تحدث فيه المأمون : 1 - عن حق الخليفة في الاجتهاد لإقامة الدين.

2 - جمهور الرعية والعامة لا نظر لهم وهم يجهلون حقيقة الدين.

3 - أتى بأدلة عديدة على عدم صحة القول بقدم القرآن.

4 - يأمر المامون رئيس شرطته بأن يجمع قضاة بغداد ويقرأ عليهم كتابه ويمتحنهم في خلق القرآن فمن امتنع عن الاقرار به أقصاه من عمله، ومن أقر به أبقاه، وعلى القضاة المقرين أن يمتحنوا الشهود. فمن لم يقل بخلق القرآن ترفض شهادته.

ثم كتب المامون كتابا ثانيا في الموضوع، وعلى إثره قبض على عدد من الفقهاء من بينهم أحمد بن حنبل (164 - 241هـ) وقرىء عليهم الكتاب مرتين ليفهموه جيدا، وامتحنوا رجلا رجلا...

هذه المحنة تحدث عنها الطبري حديثا طويلا في كتابه تاريخ الرسل والملوك بالجزء العاشر والحادي عشر، وتحدث عنها غيره، كأبي الفرج بن الجوزي، في كتابه : مناقب أحمد بن حنبل، وعبد الوهاب بن السبكي (ت : 771هـ) في كتابه طبقات الشافعية، وكمال الدين الدميري (ت : 808هـ) في طبقات الحيوان الكبرى وغيرهم...

وحدثنا القاضي عياض في المدارك عن الممتحنين من المالكية في قضية القول بخلق القرآن.

امتدت المحنة من عهد المامون إلى عهد المتوكل من سنة : (218 - 232 هـ وكان من ورائها قاضي قضاة المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد الذي زين للخلفاء استعمال البطش والتنكيل، واشتدت في عهد المعتصم (218 - 227 هـ) وبلغت ذروتها في عهد الواثق (227 هـ - 232 هـ).

وإذا كان القاضي عياض لم يتحدث عن المحنة بصفة عامة، فهو قد أدمى قلوبنا بحديثه عن محنة العلماء المالكية في افريقية، ومصر والعراق، وصور لنا مبلغ حدة الصراع المذهبي بينهم وبين المعتزلة في مسألة خلق القرآن.

قال عياض : ولما ولي أحمد بن الاغلب الامارة بافريقية، أخذ الناس بالمحنة في القرآن ففر سحنون (18) إلى عبد الرحيم الزاهد فطلبه هناك. واختار الأمير رجلا فضا غليظا في كوكبة من الفرسان ليأتي به. فلما أحضره، دعي إلى القول بخلق القرآن. وجمع له قواده وقاضيه ابن أبي الجواد (19) وغيره، وسأله عن القرآن.

فقال سحنون : أما شيء ابتديه من نفسي فلا. ولكني سمعت من تعلمت منه، وأخذت عنه، كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق.

فقال ابن أبي الجواد : «كفر فاقتله، ودمه في عنقي. وقال مثله غيره ممن يرى رأيه.

وقال بعضهم يقطع أربعا ويجعل كل ربع بموضع من المدينة، ويقال هذا جزاء من لم يقل بكذا - أي بخلق القرآن.

فقال الأمير لداود بن حمزة ما تقول أنت ؟

قال : قتله بالسيف راحة، وقتل الحياة أن نأخذ عليه الضمناء، وينادى عليه بسماط القيروان : لا يفتى ولا يسمع أحدا، ويلزم داره، ففعل ذلك، وأخذ عليه عشرة حملاء، وجلس الحراس على باب دار سحنون فمن زاره جردوه من ثيابه (20).

هكذا بدأت المحنة في القرآن على يد المعتزلة في بلاد المغرب العربي، وكان حكمهم قاسيا على مخالفيهم في الرأي، فحكمهم على سحنون مثلا، كان هو أن يقطع أربعة أطراف ويوضع كل طرف بجهة من المدينة، ويقال هذا جزاء من

---

18) سحنون لقبه، واسمه عبد السلام، وكنيته أبو سعيد، وهو بن سعيد، بن حبيب التنوخي، له ترجمة حافلة في رياض النفوس لأبي بكر ابن الصغير المالكي : ج : 1، طبعة القاهرة : 1951، وبالمدارك لعياض : ج 4 / 45 - 88. تقع حياته بين (160 - 240 هـ). اشتهر بعلمه ومواقفه، وامامته.

19) ابن أبي الجواد هذا حنفي المذهب، معتزلي العقيدة (ت : 234 هـ) تكلم عنه صاحب المدارك، وابن عذاري في البيان المغرب ج : 1 : 109.

20) المدارك : 4/70.

لم يقل بخلق القرآن !!! فهم لم يكتفوا بالحكم بالقتل بل دفعهم التشفي إلى المثلة بعد القتل !!

ومن الممتحنين على يد القاضي بن أبي الجواد المعتزلي، أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي (ت : 225 هـ) استدعاه ابن أبي الجواد، وسأله عن القرآن فقال موسى سمعنا فلانا وفلانا وذكر جماعة من أهل العلم يقولون : من قال القرآن مخلوق فهو كافر. فقال له ابن أبي الجواد لقد أعمى الله قلبك كما أعمى بصرك... (21).

وورد في المدارك : «كان عيسى بن مسكين (ت : 295 هـ) يقرأ عليه أصحابه بالقيروان، إذ جاءهم آت وأخبرهم : أن أبا العباس بن الأغلب كتب السجلات بخلق القرآن، وأمر بقراءتها على المنابر، وأن بعض الناس يحمل عليها، فنحبه ذلك، وأصحابه، - أي بكاهم وجعلهم ينتحبون - وباتوا من أجله تحت غم...» (22).

وفي مصر امتحن من المالكية عدد كبير، ذكر القاضي عياض بالمدارك مجموعة منهم، من بينهم :

الفقيه الكبير : أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع (ت : 224 هـ) شيخ ابن المواز، وابن حبيب، وأبي زيد القرطبي، وجماعة من كبار فقهاء المالكية (23). قال عياض : «اختفى أصبغ بن الفرج أيام الأصم - قاضي المعتزلة بمصر - الذي أخذ الناس بالمحنة في القرآن، اختفى حتى مات سنة : (225 هـ). وقال أبو عمر الكندي أن المعتصم كتب في أصبغ ليحمل في المحنة فهرب إلى حلوان فاستقر بها (24).

---

21) نفس المصدر، ص : 94 - 95.
22) نفس المصدر، ص : 343.
23) نفس المصدر.
24) نفس المصدر.

ومنهم الفقيه الكبير، والقاضي الشهير الحارث بن مسكين (ت : 250 هـ) ذكر القاضي عياض أنه امتحن ثلاث مرات :

في امتناعه من ولاية القضاء.

وفي امتناعه من لبس السواد.

وفي امتناعه من القول بخلق القرآن.

ومكث الحارث ابن مسكين في السجن بالعراق ست عشرة سنة، إلى أن ذكر يوما بمجلس الواثق، فقال : ما ظننت أنه بقي على قيد الحياة ؟! (25).

وامتحنت بمصر أسرة بني عبد الحكم في القول بخلق القرآن. قال عياض : «امتحن القاضي الأصم بن أبي الليث بني عبد الحكم مع سائر الفقهاء، وأهل الفضل في القرآن». وامتحن عميد هذه الأسرة أبو عثمان عبد الحكم بن عبد الله وعذب حتى مات في عذابه سنة : (237 هـ) (26).

قال عياض : ذكر أبو اسحاق الشيرازي أن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حمل في المحنة بالقرآن إلى ابن أبي دؤاد - ببغداد - ولم يجب إلى ما طلب منه. وذكر غيره أنه ضرب في ذلك وأدخل الكبريت تحت ثيابه وأوقد فاحترقت ثيابه. وقيل أنه علق ودخن من تحته... (27) ومحمد هذا هو الذي طاف به غلام القاضي الأصم في الأسواق بمصر وعلى حلق المعتزلة وهو ينادى بالمخلوق (28).

وممن امتحن بمصر محمد بن ابراهيم بن زياد الأسكندراني المعروف بابن المواز (ت : 269 هـ) وهو من أكابر علماء المالكية، طلب في المحنة بالقرآن فخرج هاربا إلى الشام فلزم حصنا بها إلى أن مات (29).

---

25) نفس المصدر.

26) المدارك : 4/156.

27) نفس المصدر 4/164.

28) نفس المصدر.

29) نفس المصدر : 4/167.

ونقل القاضي عياض بالمدارك قول أبي عمر الكندي : «أنه لما أمر الواثق بالمحنة في القرآن ورد كتابه إلى أبي بكر الأصم قاضي مصر بأخذ الناس بذلك. فلم يبق فقيه، ولا مؤذن، ولا معلم، إلا أخذ بها، فهرب كثير من الناس، وملئت السجون ممن أنكرها. وأمر القاضي أن يكتب المخلوق على أبواب المساجد... (30).

هذه اشارات لما أورده القاضي عياض بالمدارك في هذا الصدد. وهذا الصراع المذهبي كان ذا أبعاد متعددة ومختلفة، لأنه إذا كانت المحنة قد انصبت على كبار الفقهاء والعلماء الذين امتنعوا من القول بخلق القرآن فإن المحنة جرت ذيلها على مختلف طبقات الناس، وكان يظهر ذلك بجلاء عندما يموت أحد المسلمين فيقع السؤال عن معتقده هل كان يقول بخلق القرآن أم لا ؟ لأنه بمعرفة ذلك يحدد الموقف من دفنه، والصلاة عليه، وارثه، وما إلى ذلك.

قال عياض : «كان عون بن يوسف الخزاعي (ت : 239 هـ) شديدا على أهل البدع قائما بالسنة. قال ابن سلمون كنت جالسا عنده إذ جاءه ثلاثة رجال فأخبروه أن رجلا مات عندهم يقول بخلق القرآن. فقال : إن وجدتم من يكفيكم مؤونته فلا تقربوه فسكتوا ثم سألوه ثلاثا كل ذلك يجيبهم بمثله. فقالوا لا نجد. فقال اذهبوا فداروه من أجل التوحيد» (31). وكان امتناع العلماء المالكية من الصلاة على من يقول بخلق القرآن يسبب لهم متاعب ومحنا.

والحقيقة أن طغيان المعتزلة، وقسوتهم على مخالفيهم، خلف جراحا عميقة في النفوس، لم تندمل على مر السنين والأحقاب.

وفي القرن العاشر الهجري نرى أحد المعجبين بالقاضي عياض وهو أبو العباس أحمد المقرى يتعرض لذكر الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة ويأتي بنصوص بعض المناظرات بينهم ناقلا ذلك عن شيوخه وأسلافه. حيث نقل في

---

30) نفس المصدر : 100.

31) نفس المصدر : 164.

كتا به أزهار الرياض في أخبار عياض. مناظرة البقلاني لقاضي الجماعة بشر بن الحسين المعتزلي (32). وأورد كذلك خبر امتناع الزمخشري من اجازة القاضي عياض. وجواب عياض على ذلك. وأتى المقرى بالأبيات الشعرية التي سب فيها الزمخشري المعتزلي أهل السنة. وحط فيها من قدرهم. وأتى بردود شعرية على أبيات الزمخشري. وهي ردود قاسية ومقذعة عقب عليها المقرى بقوله : «والبادي أظلم» (33).

ولسنا في حاجة إلى التوسع في ذكر ردود الفعل من طرف أهل السنة ولا إلى التعرض للمحنة التي أصابت المعتزلة أنفسهم. بسبب تمزق صفوفهم وخلافاتهم الحادة فيما بينهم... وما إلى ذلك لأن هذا الموضوع تكفلت بذكره كتب التاريخ وكتب الفرق والمقالات.

وقبل انهاء الكلام عن الصراع المذهبي بين المعتزلة وأهل السنة. ينبغي أن أشير إلى أن بعض الباحثين في العصر الحديث جعل من حركة الاعتزال حركة تقدمية لأنها كانت في نظرهم مبنية على العلم والتجربة وحرية الفكر. واتساع أفق الرأي... (34) وهذا رأي لا أساس له من الصحة. لأن المعتزلة عندما تسلقوا ووصلوا إلى السلطة. فرضوا على الناس آراءهم بالقوة والإكراه. والضرب. والتعذيب. والقتل والمصادرة. بل عمدوا إلى حرمان مخالفيهم من وسائل العيش... وتصرفهم هذا يدل على ضيق عطنهم. وعلى عدم اتساع أفق تفكيرهم. وبخاصة أنهم حصروا نشاطهم - في وقت كانت كل الامكانات بيدهم - في الانتقام من مخالفيهم في الرأي. وفي تتبعهم. والتضييق عليهم... (35)

---

32) أزهار الرياض في أخبار عياض : 3 / 78.

33) نفس المصدر : 3 / 282.

34) انظر مثلا كتاب (المعتزلة) لزهدي جار الله.

35) لم يستعمل أهل السنة مع المعتزلة قبل المحنة وسائل العنف وحتى بعد المحنة. وأفول نجم المعتزلة لم ينتقم أهل السنة منهم بمثل ما فعلوه معهم.

فأين هو اتساع أفقهم الفكري ؟ وأين هي الحرية الفكرية عندهم ؟! كل ذلك مجرد ادعاء والقائلون به متأثرين ببعض المستشرقين الذين حاولوا أن يجعلوا من المعتزلة أعلام تفكير تقدمي، وما ذلك إلا لعداوتهم لأهل السنة، وينسى هذا البعض الحركات التقدمية والنهضة الفكرية التي ظهرت على أيدي كبار أهل السنة : كابن حزم، والقاضي عياض، وابن تيمية، والشاطبي، وينسى ما كان لتأثير الحركة السلفية في نهضة العالم الاسلامي وتحريره من الاستعمار الأوروبي.

2 ـ مع الشيعة :

لم تكد تهدأ زوابع الصراع المذهبي مع المعتزلة، حتى ثار صراع من لون آخر ـ كان أعنف وأشد ـ بين الفقهاء المالكية، وبين الروافض العبيديين (36) الذين اختاروا بلاد المغرب العربي ميدانا لنشر مذهبهم، ومركزا لقيادة دولتهم.

بدأ الصراع بين الجانبين في أول الأمر بالجدل والمناظرة، ونظرا لتضلع أبي عبد الله، داعية الشيعة، وأخيه أبي العباس، في علم الكلام وأساليب الجدال، ظنا أنهما قادرين على نشر مذهب الشيعة الروافض عن طريق الجدل والمساجلة،

---

36) العبيديون أو الفاطميون : أسرة حكمت شمال إفريقيا ابتداء من أواخر القرن الثالث الهجري، تدين بظهورها لأبي عبد الله الشيعي الذي بشر بقدوم المهدي المنتظر، وبعد توطيده الملك للعبيديين تخلصوا منه بالقتل، بدأ أمرهم برقادة، جنوب القيروان ثم شيدوا المهدية، ونادى عبيد الله أولهم بنفسه خليفة للمؤمنين وهو أول من تجرأ على ذلك في العالم الاسلامي، ثم قلده بنو أمية بالأندلس، وبذلك أصبح في العالم الإسلامي ثلاث خلافات إسلامية : بالمهدية وبغداد، وقرطبة وفي عهد المعز منهم فتحت مصر بصفة رسمية على يد جوهر الصقلي وأسسوا مدينة القاهرة، وانتقلوا إليها وضمت الدولة الفاطمية شمال إفريقيا، وفلسطين، وسوريا، وازدهرت دولتهم أيام المعز الفاطمي، ثم توالى الخلفاء الضعاف، والقواد الأقوياء، إلى أن انتهت دولتهم في أيام آخرهم، أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله سنة : (567 هـ / 1171 م).

انظر : عنهم : «اتعاظ الحنفا بأخبار دولة الفاطميين الخلفا» للمقريزي صدر عن لجنة أحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، في جزئين.

والبيان المغرب لابن عذاري ج : 1 ص : 124 وما بعدها.

وأورد القاضي عياض خبر بعض المساجلات بين الشيعة والمالكية وذكر أسماء بعض المتناظرين منهم.

جاء في ترجمة أبي عثمان الحداد : (ت : 302 هـ) «ناظر أبو عثمان أبا العباس المخطوم أخا الشيعي الصنعاني داعية بني عبيد الروافض. ناظرهم مناظرة القرين المساوي بل مناظرة المعتز المتعالي...» (37)

وأثبت القاضي عياض نصوص بعض النماذج من مناظرة ابن الحداد لدعاة الشيعة. فقال : «كانت لأبي عثمان مواقف محمودة في الدفاع عن الاسلام، والذب عن السنة. وجه فيه عبيد الله فذكر له حديث : «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقال له : ما بال الناس لا يكونون عبيدنا..؟ فقال ابن الحداد : لم يرد ولاية رق. وإنما أراد ولاية الدين. ونزع بقوله تعالى : «ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي «فصرفه. وعهد اليه بكتم المجلس» (38).

ونقل مناظرة أخرى قال فيها عبيد الله الشيعي : «القرآن يقول : أن محمدا ليس بخاتم النبيئين».

فقال له ابن الحداد : أين ذلك ؟ قال : في قوله : ولكن رسول الله وخاتم النبيئين. فخاتم النبيئين غير رسول الله.

فقال له : «هذه الواو ليست واو الابتداء. وإنما هي من واوات العطف كقوله تعالى : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن. وهو بكل شيء عليم» هل أحد يوصف بهذه الأوصاف غير الله تعالى ؟!

وقال له عبيد الله أخبرنا الله تعالى أن أصحاب محمد يرتدون بعده فقال : وأين ؟ قال في قوله : «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» ؟.

فقال ابن الحداد : إنما هذا على الاستفهام كقوله : «أفإن مت فهم الخالدون ؟! «معناه التقرير. ومعنى قوله انقلبتم أفتنقلبون ؟ والاستفهامان إذا جاءا في قصة استغني بأحدهما عن الآخر».

---

37) المدارك : 5 / 82

38) نفس المصدر : 85.

وقال له أبو عبيد يوما : «هل عندك في قوله تعالى : حكاية عن نبيه في قوله لأبي بكر «لا تحزن إن الله معنا» دلالة على أن حزنه كان مسخوطا لنهي النبي (ص) عنه.

فقال أبو عثمان : لم يكن إلا تبشيرا ليأمن على رسول الله (ص) وعلى نفسه مما كان يحذره من المشركين. إذ لا يعلم أبو بكر الغيب. فكان قول النبي (ص) له تبشيرا. ولا يكون إلا بوحي. فقال له : وأين نظيره ؟ قال : قوله تعالى : «لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى» (39).

قال عياض : «وله مجالس طوال مع الأمير أبي العباس الاخرم الشيعي. أيده الله فيها وحماه منه.

وفي هذه النماذج التي أوردها صاحب المدارك دليل على أنه كانت تجرى بين الشيعة وبين خصومهم مناظرات. كان هدف الشيعة منها نشر أفكارهم بواسطتها. إلا أنهم غلبوا في هذا الميدان. ولم يستطيعوا الاستمرار في ذلك. لأن حججهم كانت واهية أمام حجج أهل السنة.

وكشفت تلك المساجلات والمجالس عن انهزام الدعاة وزادت في تمكين الجفاء بين الطرفين.

وكان المالكية من أول وهلة يقدرون مغبة هذه المناظرات مع خصم عنيد. يتصف بالقسوة والبطش. يقول عياض : «لم يحجم ابن الحداد لهيبة سلطان. ولا خاف ما خيف عليه من سطوتهم. ولقد قال له ابنه محمد : «اتق الله في نفسك. ولا تبالغ في مناظرة الرجل. فقال : حسبي من له غضبت. وعن دينه ذببت» (40).

وابن الحداد مناظر الشيعة بافريقية كان ذا براعة. وطلاقة لسان. وحضور بديهة. واطلاع واسع. قال له الفقيه ابن عبدون المالكي وهو يحرضه على المناظرة : «لسانك سيف الله. وصدرك خزانة الله» (41) وكان إلى جانب هذه

---

39) نفس المصدر : 84.
40) نفس المصدر : 83.
41) نفس المصدر

الأوصاف، جميل الزي مبالغا في ذلك يفوق فيه أهل اليسار... فصيح اللسان، وكان آنس الناس مجلسا، وأغزرهم خبرا (42).

وموقف الفقهاء المالكية من العبيديين الروافض، لا يختلف عن موقف إمامهم مالك بن أنس رضي الله عنه.

جاء في المدارك : قال مالك : أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوؤهم الروافض. قيل فالنواصب ؟ قال : هم الروافض، رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء» (43).

وسأل رجل مالكا فقال : «من أهل السنة يا أبا عبد الله ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا رافضي، ولا قدري» (44).

وكثيرا ما كان مالك رضي الله عنه يردد :

وخير أمور الدين ما كان سنـــة   وشر الأمور المحدثات البدائـــع (45)

ويبدو من كلام مالك رضي الله عنه، أنه كان شديدا على الروافض، وكأنه رحمه الله كان يدرك بثاقب ذهنه، ما سيصيب العالم الاسلامي على يدهم من بلايا ومحن... (46)

وورد في ترجمة جبلة بن حمود بن عبد الرحمن الصدفي (ت : 299 هـ) : (47)

- وهو من كبار فقهاء المالكية بالقيروان.

«لما دخل عبيد الله افريقية، ونزل رقاده ترك جبلة سكنى الرباط، ونزل القيروان فكلم في ذلك فقال : «كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر، والآن حل هذا

42) نفس المصدر : 85 - 86

43) المدارك : 2 / 38

44) نفس المصدر.

45) نفس المصدر.

46) عن الشيعة تفرعت نحلة القرامطة، والاسماعيلية، والدرزية، ثم البابية، والبهائية... وغيرها.

47) المدارك : 4 / 37.

العدو بساحتنا. وهو أشد علينا من ذلك». وورد في نفس الترجمة : «لما دخل عبيد الله الشيعي القيروان. وخطب أول جمعة وجبلة حاضر. فلما سمعه قام قائما. وكشف عن رأسه حتى رآه الناس. وخرج يمشي إلى آخر الجامع. ويقول : قطوعها قطعهم الله فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا» (48).

وأورد القاضي عياض في ترجمة ابن القرطبي (ت : 355 هـ) رأس الفقهاء المالكية بمصر. أنه كان شديد الذم لبني عبيد الروافض. ويقول : اللهم أمتني قبل دخولهم. ورفض صلة المعز. وأحرق كتابه أمام رسوله (49).

وموقف الفقهاء المالكية من العبيديين كان موقفا واضحا وصريحا. لا يدارون ولا يساومون. وبذلك كانوا غصة في حلق العبيديين لم يهدأ لهم بال معهم.

وموقفهم هذا عرضهم لمحن كبيرة. قال عياض : «كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر. كأنهم ذمة. تجرى عليهم في أكثر الأيام محن شديدة. ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السباب لعنه الله في الأسواق للسب باشجاع لقنها. يتوصل منها إلى سب النبي (ص) في ألفاظ حفظها. كقوله لعنه الله : العنوا الغار وما حوى. والكساء وما حوى. وغير ذلك. وعلقت رؤوس الحمر والأكباش على أبواب الحوانيت عليها قراطيس مكتوبة فيها أسماء الصحابة. اشتد الأمر على أهل السنة. فمن تكلم أو تحرك قتل. ومثل به» (50).

وكلام القاضي عياض عن محنة الفقهاء المالكية على يد الشيعة العبيديين كلام مؤثر جدا. ويدل على مبلغ الاضطهاد الذي تعرض له المالكية في هذه الفترة. ومن ذلك قوله : «منع عبيد الله في هذا الحين الفقهاء أن يفتوا بمذهب مالك. وأمرهم ألا يفتوا إلا بمذهبهم الذي ينسبونه إلى جعفر بن محمد. ويسمونه

---

48) نفس المصدر : ص : 376.
49) المدارك : 5/274.
50) نفس المصدر : 303.

مذهب أهل البيت، من سقوط طلاق البتة، واحاطة البنات بالميراث وغير ذلك، وغلظ الأمر على المالكية من هذا الحيز. ومنعوا من التحليق. والفتيا فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم إنما يكون سرا وعلى حال خوف ورقبة» (51).

ويتضح من هذا الكلام أن حالة الفقهاء المالكية كانت حرجة للغاية على عهد النفوذ الشيعي بشمال افريقيا (296 ـ 344 هـ) حيث منعهم العبيديون من التدريس والافتاء، ومن مزاولة أعمالهم. وكانوا يشترطون على من يريد البقاء في عمله أن يعتنق مذهبهم الشيعي في سب بعض الصحابة. وبعض أمهات المومنين. وأن يومن بمعتقداتهم، ويعمل بفقههم... وكان هذا يشق على المالكية. وأورد ابن عذاري في أحداث سنة : 312 هـ «في هذه السنة مات محمد بن حفص الفهم، وكان من أهل الفضل والدين، وأم بالناس الاشفاع في جامع القيروان، في أيام بني الأغلب، ثم ولى صلاة جامع رقادة، وكان يرتزق في كل شهر عشرة مثاقيل، فأحضره المروزي قاضي الشيعة، وقال : لا يؤم بنا إلا وليٌّ من أولياء أمير المؤمنين، فادخل الي بعض الدعاة يأخذ عليك البيعة، وتبقى على خطتك، قال : انظرني أشاور نفسي، فانظره ثم أتاه من الغد، وقد كره الدخول معهم في شيء مما هم عليه فعزل عن الصلاة» (52).

وجاء في ترجمة أبي جعفر أحمد الهواري : انه امتحن على يد قاضي الشيعة ابن المنهال، لأنه كان يجتمع بالناس في مسجده، وكانت شرط الشيعة تراقب من يحدث الناس... (53).

ويستفاد من النصوص العديدة في هذا الموضوع أن العبيديين بالغوا في استعمال العنف مع خصومهم، وأكرهوهم على اعتناق مذهبهم.

---

(51) نفس المصدر : 121.

(52) البيان المغرب لابن عذاري : 190/1، بتحقيق : ج. س. كولان. وإ. ليفي بروفنسال. دار الثقافة، بيروت.

(53) المدارك : 5/ 96 ـ 97.

وبالرغم من صراحة النصوص في هذا الصدد صرح بعض الباحثين «بأن العبيديين لم ينشروا مذهبهم عن طريق الارغام والعنف والاكراه...» (54).

وهذا مخالف لما أورده أبو بكر ابن الصغير المالكي في رياض النفوس. والدباغ في معالم الايمان. والقاضي عياض في المدارك. وابن عذاري في البيان المغربي. وغيرهم. وصرح حسن حسني عبد الوهاب في تقديمه «لرياض النفوس» بقوله : «وأخص ما يمكن أن يجتنيه الواقف على الرياض أمران مهمان : الأول : أخبار مقاومة أهل السنة بالقيروان للدعوة الشيعية التي حاول عبيد الله المهدي وخلفاؤه من بعده فرضها جبرا على سكان البلاد» (55).

والحقيقة هي أن العبيديين لم يتورعوا عن استعمال كل أنواع البطش والانتقام مع خصومهم الفقهاء المالكية. ومع من يقتدي بهم... وكانت المحنة شديدة والبلاء عظيما. ذاق المالكية من ذلك مختلف أشكال العذاب وألوانه. وأنواع أساليب القتل وفنونه. وأصابهم من ذلك ما تقشعر منه الأبدان. وتسيل لقراءة أخباره العبرات.

وكأن محنة الإمام مالك رضي الله عنه كانت ارهاصا لما أصاب تلامذته وحفظة مذهبه من بعده. وعدد الممتحنين من فقهاء المالكية عدد كبير. سواء على يد الشيعة أو غيرهم. ولا شك أن قارىء المدارك يأخذه العجب من قوة تحمل الممتحنين. ومن صبرهم. واستماتتهم... وأخبار ذلك مبثوثة في غضون الكتاب. وبخاصة في الجزء الرابع والخامس من الكتاب.

---

54) عبد الرحمن الجيلاني في كتابه : (تاريخ الجزائر العام) ج : 1 ص 303، وذلك اعتمادا على قول النويري «لما وصل أبو العباس الشيعي إلى أرض المغرب، أراد أن ينفي عن القيروان من يخالف مذهبه، فقال له أخوه أبو عبد الله : ان دولتنا دولة حجة وبيان، وليست بدولة قهر واستطالة». انظر نفس الكتاب، وهذا مخالف للواقع.

55) «رياض النفوس» بالتمهيد الذي مهد به الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، لمقدمة المحقق د. حسين مؤنس. ج : 1، ط : القاهرة 1951 م.

ويطول بنا الموضوع لو اختصرنا جميع أخبار الممتحنين على يد الشيعة. وسأكتفي من ذلك بذكر مثالين فقط. لنتعرف على بعض أساليب الاضطهاد التي استعملت في هذا الصراع المذهبي.

ورد في ترجمة الفقيه حسين بن مفرج (ت : 308 هـ) أنه كان ممن امتحن من المدنيين على يد ابن عبدون قاضي الشيعة. حيث ضم ابن مفرج. وأبو عبد الله السدري سنة ثمان وثلاثمائة إلى المهدية فضربا. ثم قتلا. ثم صلبا. لكلام حفظ عنهما في الشيعي (56).

وجاء في ترجمة أبي بكر محمد بن علي النابلسي الفقيه المالكي (ت : 360 هـ) أنه خرج خائفا من نابلس إلى الشام. فقبض عليه بعض عظمائها. وحمل مع ابنه إلى مصر. في جملة الأسرى. وكانوا ثمانمائة. فشهروا على الجمال. وأمر المعز بضرب أعناقهم على النيل. ورمي جثثهم به. إلا النابلسي فإنه أمر أن يسلخ من جلده. بعد أن قتل ابنه بين يديه. فبطح على وجهه بالأرض. ومسك جدا. وشق السلاخون عرقوبه. ونفخ كما تنفخ الشاة. ثم سلخ. وهو في كل هذا يقرأ القرآن بصوت قوي. وترتيل. إلى أن انتهى السلخ إلى كتفه فتغاشى ثم مات. فصلب جسده بناحية. وجلده بعد أن حشي بناحية. رحمه الله» (57).

وقائمة الممتحنين على يد الشيعة قائمة طويلة تضم كبار فقهاء المذهب المالكي (58).

ثالثا بين المالكية والحنفيـــة :

هناك لون آخر من الصراع المذهبي، تمثل في الخلاف المستحكم الذي كان قائما بين فقهاء المذهب المالكي، وبين فقهاء المذهب الحنفي. وهذا الصراع

(56) المدارك : 5/130 ـ 131.
(57) نفس المصدر : 286.
(58) أنظر في هذا : رياض النفوس لأبي بكر ابن الصغير المالكي، ومعالم الايمان للدباغ، والمدارك لعياض : ج : 4 و5، واتعاظ الحنفا للمقريزي ج : 1 و2.

تحدث عنه القاضي عياض بالمدارك في مناسبات شتى. وحديثه عنه يظهر للقارىء مدى اتساع شقة الخلاف بين فقهاء المذهبين. وبالرغم من ضخامة ملف هذا الصراع فانني سأوجز الكلام عنه فيما يأتي :

قال عياض : «كان الظهور في دولة بني عبيد للكوفيين - أي الحنفيين - لموافقتهم اياهم في مسألة التفضيل - أي تفضيل الصحابة بعضهم على بعض - فكان فيهم القضاء والرياسة. وتشرق منهم قوم تضمنا لمسراتهم. واصطيادا لدنياهم... وجرت على المالكية في تلك المدة محن» (59).

واقبال الفقهاء الحنفية على أولى الأمر والسلطان. والتماسهم الرخص والتيسيرات لهم عن طريق التاويل. والقياس البعيد.. جعلهم يحتلون أعلى المناصب عند بني الأغلب أولا. ثم عند الشيعة ثانيا.

ومسايرتهم لأهواء الحكام كان يثير غضب المالكية وغضب الجمهور. وعمل ذلك على اتساع شقة الخلاف بين «العراقيين» و«المدنيين». وأصبحت كلمة «العراقي» أي الحنفي عند المالكية تحمل معنى الانتقاص. والاتهام بضعف الخلق. وعدم الثبات على المبدأ...

وكان رد فعل الحنفية. هو انتقامهم من المالكية شر انتقام. وذكر القاضي عياض أسماء عدد من القضاة الحنفية الذين بالغوا في استعمال البطش والتنكيل مع الفقهاء المالكية. ومن قضاة الحنفية المشهورين في هذا المجال القاضي ابن عبدون الذي قال في شأنه القاضي عياض :

«كان ابن عبدون من كبار الكوفيين المتعصبين على المدنيين. فامتحن على يده جماعة من فقهاء المالكية. وأهل السنة : ضربهم. ونكل بهم. وأغرى الأمير ببعضهم فقتله : منهم : ابراهيم الزمن. وابن المديني. وأبو القاسم مولى ميسرة. وأحمد بن عبدون القصار وغيرهم» (60). وسبقت الاشارة إلى أن الامام سحنون كان امتحن على يد القاضي ابن أبي الجواد.

59) المدارك : ج : 26/1.

60) نفس المصدر ج : 356/4.

ومن قضاة الحنفية المشهورين بعدائهم للمالكية، القاضي سليمان بن عمران الذي امتحن محمد بن سحنون، ويحيى بن عمر الكندي، وفرات بن محمد، وابن طالب، وابن معتب وغيرهم.

ويستنتج الدارس لكتاب المدارك أن الفقهاء المالكية بقوا وحدهم وجها لوجه أمام طغيان الحكام، وأمام مواجهة مذاهب الزيغ والانحراف. وهذه المواقف الشجاعة أعطت للمذهب المالكي اعتبارا خاصا، وجعلت من كبار فقهائه وحفظته زعماء شعبيين بكل معنى الكلمة، ويستنتج الدارس كذلك، أن موقف الفقهاء المالكية من الظلم والانحراف... كان من أسباب انتشار المذهب المالكي وسيادته وتمكنه، وبذلك مثل المذهب المالكي، ورجاله في المغرب العربي والأندلسي الحصن المنيع الذي يأوي اليه الشعب كلما حز به ما يقلق راحته.

وفي ختام هذه الجولة القصيرة مع لمحات الصراع المذهبي من خلال صفحات المدارك نتأكد أن عمل القاضي عياض رحمه الله في هذا الكتاب حفظ للأمة المغربية صفحات مشرقة من تاريخ الكفاح والجهاد من أجل اعلاء كلمة الله، وتوطيد العمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأن المترجم لهم بالمدارك كانوا أبطال جهاد ونضال، وحفاظ السنة القويمة، وحراس العقيدة السليمة.

الخاتمة :

استنتجت من القراءة عن (الصراع المذهبي) من خلال مدارك عياض، أن الدروس القاسية التي تلقاها الفقهاء المالكية والمحنة التي أصابتهم على يد الأغالبة، وعلى يد الشيعة، وحتى على يد بني زيري الصنهاجيين، جعلتهم تلك الدروس الأليمة يفكرون في انشاء مدرسة يتكون فيها رجال دولة المستقبل، ويتكون فيها القادة الذين تسند اليهم القيادة السياسية.

ولعل المدرسة التي تكون فيها عبد الله بن ياسين وأمراء لمتونة هي المدرسة التي قصد نبغاء فقهاء المالكية بشمال افريقيا تكوينها بعيدة عن مهب التيارات الهوجاء للمذاهب الهدامة، والأهواء والنحل المنحرفة، وجعلتني القراءة عن هذا الموضوع أشك في أن يكون وجود الدولة المرابطية، كان خاضعا لمجرد الصدفة التي جعلت بعض أمراء صنهاجة بعد رجوعه من أداء فريضة الحج يلتقي في القيروان بالفقيه أبي عمران الفاسي، (إلى آخر القصة المعروفة) وأرجح أن المحن التي أصابت المالكية لفترة طويلة من الزمن جعلتهم يخططون لايجاد نوع من القادة، يكون مشبعا بروح الاسلام العالية، وملتزما بتطبيق تعاليمه السامية... لأن الأمراء الذين يكون هدفهم هو الحكم من أجل الحكم، ومن أجل أشباع رغباتهم ونزواتهم وأهوائهم... يكونون كارثة على الدين والأخلاق، وعلى كل محاولة اصلاح اجتماعي أو سياسي...

فكان التفكير في انشاء هذه المدرسة، ونجحت الفكرة، وأعطت المدرسة المخطط لها، ثمارها، وتخرج منها قادة الدولة المرابطية وهم يحملون فكرة الجهاد في سبيل الله، وفكرة توحيد الشمل، وجمع الكلمة، والعمل على تطبيق تعاليم الاسلام، ونشر دعوته.

فكانت الدولة التي نبغ في ظلها عدد لا يحصى من علماء الاسلام ومفكريه، كان من بينهم ومن أشهرهم مؤلف ترتيب المدارك القاضي عياض.

كتاب الشفا في الصحراء

الأُستاذ : محمد الكبير العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشفا في الصحراء

يعرف عن علماء الصحراء وشيوخها وأئمة الهدي المحمدي فيها تعلق متين بكتاب الشفا. فقد دأبوا على تدريسه وقراءته وختمه في المواسم الدينية. وحرصوا على أخذ الإجازة به. واتصال السند بمؤلفه. وخصصوا له مجالس عامرة تعرف بمجالس الشفا. واتخذوه مصدرا ومرجعا يعودون اليه في مؤلفاتهم وبحوثهم.

ويرجع هذا التعلق إلى الأسباب التالية :

1) اعجابهم بمؤلفه الذي كرس حياته لخدمة الحديث النبوي. وللدفاع عن المذهب المالكي والصدع بترجيحه على سائر المذاهب.

2) وصول بعض تلاميذ القاضي عياض إلى الصحراء مثل الشريف عبد المومن ومثل الحاج عثمان الذين قامت على أيديهما حركة علمية واسعة.

وقد وصل هذان العالمان في فترة كان المذهب المالكي فيها يعاني اضطهادا. ويواجه تحديا خطيرا من طرف الدولة الموحدية. وكان حملة هذا المذهب وعلى رأسهم القاضي عياض يعيشون ظروفا قاسية. ويتعرضون لامتحان عسير.

ولا شك أن النضال الذي خاضه القاضي عياض والمجهود الموفق الذي صرفه لخدمة المذهب. ووصول عالمين جليلين من تلاميذه يتقدمان مسيرة المذهب

المالكي في الصحراء، ويرفعان علمها ويتحملان مسؤولية الدعوة فيها. كل ذلك قد جعل منه عند زوايا الصحراء وعلمائها الزعيم الروحي الذي يجب التعلق به، والتلقي لكل ما يصدر عنه بقبول وإقبال.

3) حاجتهم إلى كتاب مثل الشفا، يشفي غلتهم ويروي ظمأهم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، الذي فطروا على حبه، وغذوا بالشوق إليه، وبعدت دارهم وشط مزارهم، فهم في أقصى المغرب لا يصل إلى البلاد المقدسة منهم إلا الركب الذي يتجه للحج والزيارة، فلا يصل إلى غاية قصده إلا بعد سنة كاملة كلها معاناة وجزع وشوق وأمل.

وقد وجدوا في هذا الكتاب من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وباهر آياته وخصائصه وما يتصل بمعجزاته الخالدة، وسيرته العطرة إلى غير ذلك من فضائل محبته، وحكم الصلاة عليه، ووجوب تعظيمه ما جعلهم يقبلون عليه بلهف، ويتدارسونه بشغف.

يضاف إلى ذلك الطابع المالكي الذي يطبعه في المسائل الفقهية التي يتعرض لها، والطابع الأشعري الذي يتجلى بالخصوص في ذكر أقطاب الأشاعرة والاحتجاج بآرائهم وأقوالهم، وفي تأويل آيات الصفات وأحاديثها، وصرفها عن ظاهرها.

4) ما تناقله الرواة وتحدث به السلف والخلف من البشائر المتعلقة بقراءة كتاب الشفا وسماعه، حتى قيل ان من قرأه أو سمعه أمن من العمى، وحتى قيل بضرورة وجوده في كل خزانة إلى غير ذلك مما أشار إليه الزموري صاحب الشرح المعروف.

وإذا عرفنا أن الزموري هذا قد وصل إلى ولاتة في أواخر القرن التاسع الهجري، وأقرأ العلماء كما يقول سيدي أحمد بابا التمبكتي وأجاز المختار النحوي كما يقول صاحب فتح الشكور، لم يبعد عندنا أن يكون له دور خاص في فشو هذا الكتاب وانتشاره وتعلق الناس به هنالك.

روايات الشفا في الصحراء

وقبل أن أقدم للقارىء الكريم بعض روايات الشفا في الصحراء، أشير إلى أن هنالك حلقة مفقودة من تاريخ الفكر فيها.

وتقع هذه الفترة ما بين القرن السادس الهجري الذي دخل فيه تلاميذ القاضي عياض إلى القرن التاسع الهجري الذي دخل فيه الزموري إلى ولاتة.

ولا نكاد نعرف عن هذه الفترة إلا ما يرد في كتب التراجم والكناشات من تراجم مختصرة لبعض العلماء، وإلا ما يشير إليه المؤرخون من أنها كانت فترة ازدهار علمي حتى كان الغلام في بعض القبائل يحفظ المدونة قبل بلوغه، وحتى كانت في بعض القبائل ثلاثمائة فتاة تحفظ الموطا فضلا عن غيره من الكتب.

وقد ذكر سيدي أحمد بابا التمبكتي في نيل الابتهاج زيارة الزموري إلى ولاتة، فقال : ولقي هناك فقهاءها فأثنى عليهم في العلم.

ولا نعرف من الآخذين عن الزموري فيها غير المختار النحوي المتوفى سنة 922 هـ.

ويعتبر القرن العاشر الهجري بداية تدوين إجازات الشفا في الصحراء حيث انتشرت رواياته التالية :

1) رواية سيدي أحمد المسك والد سيدي أحمد بابا عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الحطاب.
عن شيخه الخطيب.
عن أبي العباس أحمد بن محمد.
عن المسندة زينب بنت الكمال المقدسية.
عن أبي الحسن علي بن هبة الله اللخمي المعروف بابن بنت الحميري.
عن أبي الطاهر السلفي.
عن القاضي عياض رحمه الله تعالى.

وممن أشاع هذا السند من بعد الحاج أحمد المسك، شيخ الشيوخ العلامة سيدي محمد بن الأعمش العلوي (1)، الذي أخذ الإجازة بكتاب الشفا.

عن العلامة سيدي عبد الله بن الفقيه.

عن شيخه الفقيه العلامة أحمد أيد القاسم الوداني.

عن شيخه الفقيه أحمد بن محمد الفزاز.

عن الفقيه الحاج أحمد المسك إلى بقية رجال السند المتقدم.

2) رواية محمد بن أبي بكر الدلائي.

عن والد الإمام محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي الشهير بالقصار.

عن الغزي.

عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري.

عن ابن الفرات.

عن الدلاصي.

عن ابن تامتيت.

عن ابن الصائغ.

عن القاضي عياض رحمه الله تعالى.

وقد تلقى هذا السند أيضا شيخ الشيوخ بن الأعمش العلوي.

عن العلامة عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عيسى.

عن الدلائي إلى بقية السند.

وهكذا انتشرت هاتان الروايتان على يد العلامة ابن الأعمش العلوي حيث أخذ عنه جمهور غفير من العلماء والمحدثين، فكان منهم :

1) عثمان بن عمر الولي الذي أجازه ابن الأعمش بكتاب الشفا، وبسنده المتصل بأحمد المسك.

---

1) توفي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري.

2) محمد بن الحاج عثمان بن الطالب صديق الجماني المتوفى 1117 هـ. والذي أجازه ابن الأعمش أيضا بكتاب الشفا بحق إجازته عن العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى عن الإمام الدلائي إلى بقية السند المتصل بابن الصائغ عن القاضي عياض.

3) خليفة بن الحاج أحمد العلوي الذي أجازه بن الأعمش بالسندين المتقدمين وعن خليفة بن الحاج العلوي. أخذ ابنه العلامة المحدث الحاج أحمد (2)، الذي انتشرت على يده أسانيد كتاب الشفا ورواياته. فكان من بين الآخذين عنه :

1) شيخ الإسلام حرمة بن عبد الجليل العلوي.
2) سيدي مالك بن الحاج المختار الغلاوي.
3) سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي.
4) سيدي المختار بن الطالب الغلاوي.
5) عمر بن الإمام العلوي.

وجمهور من العلماء لا يتسع المجال لسرد أسمائهم.

ويكفي هذه السلسلة أن يتصل بها علامة شنقيط وأستاذها سيدي عبد الله بن الطالب أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي، الذي أجيز بكتاب الشفا من شيخه سيدي مالك عن سيدي أحمد بن خليفة عن والده الحاج خليفة، عن شيخ الشيوخ بن الأعمش العلوي المتقدم الذكر.

3) رواية محمد بن محمد بغيغ :
عن والده محمد بغيغ.
عن محمد كورد.

---

2) توفي سنة 1182 هـ.

عن القاضي محمد بن أحمد بن الفقيه عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج

عن يحيى بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب.

عن بركات بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب.

عن والده محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب.

عن والده محمد بن عبد الرحمان الحطاب.

عن محمد بن ناصر الدين المراغي.

عن والده ناصر الدين المراغي.

عن والده أبي بكر بن الحسين المراغي.

عن أبي الفضل جعفر بن علي الهمداني.

عن أبي طاهر السلفي.

عن مؤلفه أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى.

وقد انتشرت هذه الرواية أيضا على يد الشيخ سيدي احمد بن الشيخ السوقي الذي أخذه عن شيخه محمد بن محمد بغيغ. إلى آخر السند المتقدم.

وقد أخذ عن الشيخ سيدي احمد السوقي جمهور من العلماء منهم :

1) سيدي احمد بن محمد بن موسى الزيدي الذي أجاز بدوره الإمام عمر الولاتي الأحمدي بكتاب الشفا و بنفس السند.

2) القاضي سيدي الوافي الارواني الذي أجاز بدوره الطالب أحمد بن البشير الكلسوسي بكتاب الشفا و بنفس السند.

هذه بعض أسانيد الشفا المنتشرة في الصحراء. وأشير إلى أن سيدي أحمد المسك قد أجاز بالسند المتقدم ابنه سيدي أحمد بابا. وأجاز تلميذيه أحمد بغيغ ومحمد بغيغ بنفس السند.

وقد انتشرت روايات الشفا على يد أسرة آل عمر أقيت انتشارا واسعا. ولهم فيه إجازات لا يتسع المجال لسردها وتقصيها.

مجالس الشفا

وقد زاحم كتاب الشفا كل كتاب يدرس في الصحراء وضايقه. وأخذ قسطا من وقته. واقتسم معه جمهوره ونافس الأوراد الطرقية. فاتخذته الزوايا وردا تتعبد به وتلازم قراءته.

ونافس الأمداح النبوية المتداولة في الصحراء كالبردة والهمزية. وابن مهيب. وغيرها من الأمداح النبوية.

ونافس مختصر خليل لأن ما اشتمل عليه الشفا من قضايا الردة. يجعل الفقهاء وأصحاب النوازل يعتمدون عليه ويعودون إليه في الفتاوي المتعلقة بالقضايا الواردة فيه.

وقد كان لجمهور المحدثين إقبال خاص عليه. حيث أحلوه مكان الصدارة بين كتب السيرة. ووضعوه في طليعة كتب الحديث. فتارة نجد أصحاب الإجازات يذكرون الإجازة به مباشرة بعد الإجازة بالبخاري. ويذكرون صحيح مسلم والموطا بعده وتارة يذكرونه بعد الصحيحين. وتارة يذكرون الإجازات المتعلقة بالصحيحين والموطا. ويذكرونه بعدها.

هذا في سرد الإجازات. وفيه دلالة واضحة على الاهتمام البالغ بشأن هذا الكتاب الذي يوضع في بعض الأحيان قبل صحيح مسلم وكتاب الموطا. وفي بعض الأحيان بعدهما مباشرة.

أما في الدراسة وإقبال الجمهور عليه. فقد أحلوه الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري حيث نجد أن هنالك مجلسين أحدهما للبخاري. وثانيهما لكتاب الشفا. وقلما نعثر من خلال بحثنا على مجلس آخر.

ولعل مرد ذلك إلى أن القوم اكتفوا بأصح كتب الحديث وأعظمها شأنا. وهو صحيح البخاري. ونظروا إلى كتاب الشفا. فوجدوه كتاب دعوة وتوجيه وإرشاد يجمع بين دفتيه ما تفرق في غيره. فخصصوا له مجلسا يعرف باسمه.

ويحرص صاحب فتح الشكور كلما ترجم لأحد العلماء الذين كان لهم صيت طائر في العلم والتصوف أن يشير إلى أنه كان يقرأ كتاب الشفا أو يحضر مجلسه

فقد ترجم للعلامة سيدي محمد بن الطالب الأمين الحرشي، المتوفى سنة 1215 هـ. فذكر المتون الأدبية والكلامية والفقهية التي درسها، ووصفه بالتمسك بالسنة والدأب على العبادة والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال :

كان ملازما للمسجد وصلاة الجماعة وحضور مجلس البخاري والشفا، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم.

ويترجم للعلامة اندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي التمبكتي . فيقول عنه كان إماما عالما تقيا ورعا متواضعا واثقا بالله تعالى، شهيرا في علم العربية، مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تولى سرد كتاب الشفا في رمضان بعد وفاة والده.

ويتضح من هذا أن قراءة الشفا كانت وظيفة لازمة وسنة حميدة معمولا بها عندهم فإذا مات القائم بها، كلف من يقوم بها بعده.

ويترجم للإمام محمد عبد الله بن الإمام عمر الولاتي المتوفى سنة 1214 هـ ترجمة تتلخص في أنه تولى الإمامة بعد وفاة والده، فانقطع للعبادة والقيام بأمور المسجد وتدريس الحديث، وقراءة كتاب الشفا.

ويأبى في هذه الترجمة الموجزة إلا ان يشير إلى أن عادة أهل ولاتة، أن يختموا تخميس عشرينات بن مهيب، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، مرتين في السنة، زيادة على ختمات المولد النبي ورمضان، وأن من عادتهم أن يسردوا صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان في المسجد، وكتاب الشفا للقاضي عياض في رمضان.

ويترجم للعلامة محمد بن الشواف المسلمي التشيتي، المتوفى سنة 1175 هـ. فيقول عنه كان رحمه الله تعالى محدثا يسرد صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان في المسجد، والشفا للقاضي عياض في رمضان إلى أن يقول :

وكان مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قائما بمدحه كل ليلة إثنين وخميس وجمعة، وهي عادة أهل تيشيت في المدح.

ويترجم للعالم العلامة الحاج صالح بن عبد الله الاديلبي الولاتي، المتوفى سنة 1205 هـ. فيضفي عليه ألوان المدح والاطراء، ويسمه بالعلم والدين والصلاح وحسن الخلق والأدب وكمال المروءة وجودة الخط وملازمة المسجد، ويضيف إلى كل ذلك مواظبته على حضور مجلس البخاري ومجلس الشفا.

ويشير في خاتمة هذه الترجمة إلى أنه قد حج في العام الرابع بعد مائتين وألف، وعاد إلى ولاتة، وحج مرة ثانية، فتوفي بالبلاد المقدسة، قال وسبب مجاورته أنه حضر بعض مجالس الشفا، وسمع حكاية عن رجل لم تحرقه النار فيه، ونص الشفا فيه :

وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمستنير، فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل، فلم تعمل فيه شيئا، وبقي أبيض البدن، فقال : لعله حج ثلاث مرات، قالوا نعم، قال : حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار.

وتعطينا هذه القصة صورة عن إقبال القوم على كتاب الشفا وتأثرهم به، حتى كان سببا في انتقال عالم مهم من بلاده ومحل عزه وشرفه، ليجاور قرب البيت الحرام، وليتأتى له أن يحج ثلاث حجات.

ولا أستبعد أن يكون لكتاب الشفا، ولهذه القصة بالذات، دور في توجيه الجمهور المسلم في الصحراء إلى الإقامة والمجاورة بالبلاد المقدسة، فقد عرف عنهم من الاشتياق إلى الحج ومجاورة المدينة المنورة الشيء الكثير.

ويحدثنا التاريخ عن عدة عائلات وأسر ذات أهمية بالغة انتقلت من الصحراء إلى الحجاز.

وقد أشار إلى هذه القضية بعض العلماء، وحاولوا أن يشرحوا معنى الاستطاعة في الحج، وأن يلفتوا نظر الجمهور إلى أن عدم توفر الزاد المبلغ، وعدم الأمن في الطريق وما يترتب على الفقير من ضياع حقوق عياله وديون غرمائه، وما ينشأ عن إقامته بالبلاد المقدسة دون أن يكون له أي دخل، كل ذلك يسقط

عنه الحج. بيد أن القلوب التي ملأها الشوق إلى بيت الله تعالى واجتاحها اللهف إلى روضة النبي صلى الله عليه وسلم، لم تكن لتلتفت إلى نقول وآراء وفتاوي لا يقتنع بها إلا من ينظر إلى القضية من زاوية فقهية محضة.

أما من تعلق قلبه بحب النبي صلى الله عليه وسلم، واشتاق إلى رؤية بيت الله تعالى. فلن يكون في مقدوره إلا الجد في السير ومواصلة الاصباح والامساء، كما قال الشاعر الصحراوي :

فعسى تلك وادلاج الليالي ودؤوب الامساء والاصباح
تبلغني ديار أم أبي (3) ولحسبي بلوغها من نجاح

ويترجم للعلامة عبد الله بن وناس السباكي الولاتي المتوفى سنة 1178 هـ. فيشهد له بالخير. ويقول وكان رحمه الله تعالى لا يخرج من المسجد بين صلاتي الظهرين، ولا بين صلاتي العشاءين يعمر هذين الوقتين بالذكر دائما، ولا يفوته مجلس البخاري ولا الشفا.

ويختم ترجمته هذه بأنه توفي ضحوة الخميس عند ختم الشفا في تسع وعشرين من رمضان عام 1178 هـ.

ويتضح من هذا أن كتاب الشفا كان يختم يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان لأنه قد يكون آخر يوم من أيام هذا الشهر المبارك.

ولعل القوم أرادوا أن يضيفوا إلى ختم القران الكريم في الليلة السابعة والعشرين، التي قد تكون هي ليلة القدر، ختم كتاب فيه ما فيه من تكريم النبي صلى الله عليه وسلم، وتمجيده وتعظيمه في يوم قد تكون ليلته أيضا هي ليلة القدر، لأنها من ليالي الأوتار.

ويترجم للعلامة عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت التمبكتي، المتوفى سنة 1006 هـ. فيقول عنه :

---

3) سئل الشاعر ما مراده بأم أبي فأشار إلى زيارة المدينة المنورة.

كان فقيها نحويا مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، صباحا ومساء يسرد كتاب الشفا في رمضان.

ويترجم للعلامة عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، الذي أخذ العلم عن والده العلامة محمود، وتولى القضاء في تمبكتو ورحل إلى مراكش، وتوفي بها في العام الثالث بعد الألف، ودفن في مجاورة القاضي أبي الفضل عياض.

ويبدو لي من ذلك أن العلامة عمر بن محمود قد نشأ في أسرته المعروفة بتولي كرسي الشفا، وسرده وقراءته، وأخذ الإجازة المتصلة فيه مما جعله يتعلق بعياض، ويعتقد فيه اعتقادا خاصا، ويجاور ضريحه ويوصي بأن يدفن قرب قبره، والله تعالى أعلم.

ومن العلماء الذين كانت لهم عناية خاصة بكتاب الشفا شيخ الإسلام حرمة بن عبد الجليل العلوي الذي تقدمت الإشارة إلى إجازته عن شيخه أحمد العلوي، عن والده الحاج خليفة عن شيخه شيخ الشيوخ سيدي محمد بن المختار الأعمش العلوي بسنده المتصل بالقاضي عياض.

وقد ورد في بعض تراجمه أنه كان لا يفارق كتاب الشفا في سفر ولا حضر، وكان يقول:

ان لهذا الكتاب فوائد لا تحصى وبركات لا تستقصى.

وورد في بعض تراجمه أيضا أنه كان في آخر عمره وبعدما اعتزل الافتاء والتدريس وانقطع للعبادة لا يفتر عن تلاوة القرآن، فإذا حل شهر رمضان المبارك والمولد النبوي أضاف إلى ذلك قراءة كتاب الشفا حتى يكمل ختمه.

وورد في بعض تراجمه أيضا أنه بعد الانقطاع للعبادة والتفرغ لتلاوة القرآن، كان يدرس كتاب الشفا وعقائد السنوسي ولا يدرس غير ذلك.

قلت : ولعل من جملة البركات التي أشار إليها شيخ الإسلام الكرامة التي منحه الله إياها، فكان يقرأ الكتب ولا يدرك من المرئيات سواها.

وهي كرامة مذكورة في ترجمته في نزهة المستمع واللافظ (4).

وقد ذكرها العلامة بابا بن أحمد بيب العلوي في تاريخ وفاته فقال :

وشيخ الإسلام ومصباح الظـــــــلام   حرمة في السابع وافاه الحمـــام

إلى أن قال :

عمر حتى صار ليس يبصـــــــــر   شيئا سوى الكتب فيها ينظـــــــر
أغناه نور القلب عن نور البصــــر   يطالع الكتب ولا يرى البشــــــر

وذكروا في هذا المجال أنه كان يكتفي في الليل بضوء قليل لمطالعة الكتب. وقد أشار إلى ذلك أيضا العلامة ابن عيد الجكني فقال :

ياحرمة الله يا نبراس ذي العصر   يامن بصيرته أغنة عن البصر

وقد عرف عن سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي اعتناء زائد واهتمام بالغ بكتاب الشفا. ولا غرابة في ذلك فإنه ممن أخذ فيه الإجازة عن شيخه أحمد العلوي عن والده الحاج خليفة عن شيخه شيخ الشيوخ سيدي محمد بن المختار الأعمش العلوي إلى بقية السند المتصل بالقاضي عياض.

وقد درس في مدينة شنقيط فترة من الزمن فكان معجبا بما هم عليه من قراءة الجزب والتزام مجلس البخاري والشفا.

ومما يزيده تمسكا بكتاب الشفا انتماؤه إلى أخواله الذين يتصل بهم كثير من أسانيد اجازات الشفا في الصحراء وهم أسرة آل عمر أقيت التي اشتهر منها أحمد بابا التمبكتي ووالده أحمد المسك وجده الحاج أحمد بن عمر أقية.

وقد كان سيدي عبد الله يدرس لتلاميذه البخاري والموطأ ومسلما والشفا على ما ذكر ابنه في الدر الخالد.

وقد ترجمه صاحب فتح الشكور فأشاد بعلمه وورعه واتباعه للسنة ومحاربة البدعة وفراره بدينه من الفتن وذكر جملة من مآثره وخصاله الحميدة ثم قال :

4/ نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ. كتب الفه سيدي محمد ابن سيدن العلوي في مناقب شيخه الشيخ محمد الحافظ وتراجم شيوخه.

ومن فوائده أنه كان يقول :

من أصابه مرض فليزن نص الشفا للقاضي عياض بالماء ويشربه.

قال صاحب فتح الشكور : ولقد أخبرني بعض الإخوان ممن أثق به أنه فعله لبعض إخوانه مريضا فشفاه الله تعالى.

ويقول الطالب أحمد ابن طوير الجنة في افاداته :

وقال لي شيخنا سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي قدس الله روحه ونور ضريحه أن من ألمت به نائبة أو هول أو فزع فقرأ كتاب الشفا. وتوجه إلى الله بالدعاء بعد ختمه فرج الله كربه.

ويقول - ابن طوير الجنة - وكان شيخنا قدس الله روحه ونور ضريحه يوصينا بقراءة الشفا عند كل شدة وهول ومخوف ويرغبنا في حضور مجالسه وختمه في شهري رمضان المبارك والمولد النبوي الكريم. وكان عمله على ذلك.

ومن العلماء الذين عنوا بكتاب الشفا الشيخ ماء العينين الذي حمل راية الجهاد وخدم الحديث الشريف والسيرة النبوية والفقه المالكي. وأفشى التصوف السني في الصحراء وفي الأقطار الإفريقية التي انتشرت الزوايا الفاضلية فيها.

وكان بودي أن أقدم في هذا البحث أسانيده واجازاته بكتاب الشفا. إلا أن ظروف العمل وضيق المدة التي كان علي أن أنجز فيها هذه الدراسة. كل ذلك منعني من تقصي تراجمه وفهارسه. فاكتفيت بما شاع بين الأوساط العلمية في الصحراء من اهتمامه بكتاب الشفا وقراءته وختمه إياه في كل من شهري رمضان والمولد النبوي.

وممن اعتمدت عليه في ذلك الأستاذان الفاضلان لارباس بن الشيخ الأغظف وحمداتي بن الشيخ الفضيل. وكلاهما أدرك والده الداعية الشيخ محمد الأغظف، بن الشيخ ماء العينين وغيره من أبنائه وحفدته ومريديه. الذين يعتبرون أهم مصدر فيما يتعلق بحياته وعباداته وما جرى به العمل في الزوايا المنتمية إليه.

ومن أجلاء العلماء الذين عنوا بدراسة هذا الكتاب وخصصوا له مجالس عامرة العلامة المحدث الداعية محيي السنة ومميت البدعة. ومجدد التصوف سيدي

محمد فال بن بابا العلوي، الذي انتصب للدعوة في أوائل القرن المنصرم، وضربت إليه أكباد الإبل، وانتفع الناس بعلمه وتوجيهه وإرشاده.

وكان من أسلوبه في التربية أن يجمع القلوب على حب النبي صلى الله عليه وسلم، والتعلق به والتمسك بسنته والاعتبار بسيرته.

وقد خصص لهذه الغاية مجلسا حافلا بعد صلاة العصر، يدرس فيه كتاب الشفا بسرد ابن أخيه العلامة المحدث سيدي محمد عبد الرحمان بن السالك، الذي أصبح فيما بعد إمام الأئمة في الأصول والفروع.

ويعتبر هذا المجلس آخر ما اشتهر من مجالس الشفا في الصحراء.

تأثر اصحاب المدائح النبوية في الصحراء بكتاب الشفا

وقد عرف عن كثير من رجال العلم والأدب في الصحراء، حب زائد في النبي صلى الله عليه وسلم، مما تشهد به قصائدهم ودواوينهم في مدحه والتشوق إلى روضته الشريفة ومن ذلك قول مولود اليعقوبي:

لي لهجة بامتداح المصطفى لهجت ... ولي فؤاد بحب المصطفى لهجا
الا طربت إلا اني طربت إلى ... من حبه مع لحمي والدم امتزجا

ونجد في جيمية ابن محمد العلوي التي قدمها تهنئة لأحد العلماء القادمين من الحج صورة عن هذا الشوق الذي يستطيب صاحبه لفح الهواجر، وخبط الظلمات وتجشم الأخطار في متاهات الصحراء وأمواج البحر حيث يقول:

قوم شعارهم قدما وديدنهم ... في الله أن يبذلوا الأرواح والمهجا

إلى أن يقول:

قد وجه العيس نحو البيت تمرح في ... فيح الفلا والخلايا تعبر اللججا
تقتاده همة قصوى ويجذبه ... شوق حوى الصدر منه لوعة وشجى
لم يثن همته ظل البيوت ولا ... بيض العوارض تجلو الظلم والفلجا

مضى مذيلا لحر الشمس وجنته | وللموامي إذا الليل البهيم دجا
حتى قضى ما انطوى في النفس من أرب | وتم ما قد رجا يا نعم ذاك رجا
فقرت العين إذ ألقى عصاه لدى | حيث الإله يحط الوزر والحرجا
وطابت النفس منه حين فاح له | من طيب طيبة أذكى فائح أرجا

إلى أن يقول :

ثم الصلاة على المختار ما دلج الر | كب المجد إلى البطحاء وادلجا

ولما فشت في الزوايا والمحاضر فتوى الشيخ سيدي المختار الكنتي التي يميل فيها إلى سقوط الحج عن أهل الصحراء، لهول الطريق، وعدم الأمن فيها مما لا يدخل في الاستطاعة، شق ذلك على معاوية بن الشد التندغي، فقال :

قد أجج الشوق في قلبي وفي كبدي | نارا تعاظم عن صبري وعن جلدي

إلى أن يقول :

فلا أنا للذي تراه معترض | ولا أنا للذي تشاء لم أرد
لكن قلبي قد قامت قيامته | حين انثنيت به عنه ولم أفد ....
ليس القرار لمن لم يشف غلته | من زورة المصطفى في النأى والبعد
ولم يبت بستور البيت معتلقا | إلا القرار على زأر من الأسد....
إن كان لي هاهنا دنيا وآخرة | وفي بلادي نيل المال والولد
فإن لي كبدا حراء مولعة | ببيت من هو لم يولد ولم يلد

ولم اشتاق ابن محمد العلوي إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وشد عزمه على التوجه إلى البلاد المقدسة، شق ذلك على جمهور غفير من أقاربه وأتباعه ومحبيه، وحاولوا صرفه عن ذلك، وأفتوه بعدم وجوب الحج عليه فقال :

يا مشفقا من رحيل لج في كمدي | هل أنت من دون ربي آخذ بيدي
أمسي يفندني فيما أرى وأرى | مفندي فيه منسوبا إلى الفند

إلى أن قال :

دعني وعزمي والبيـــدا وراحلتـــي وما جرى من بنات الفكر في خلدي
فالله حسبي لا ألوي علــى أحــــد كلا ومثلي لا يلوي على أحـــــد

وحينما وصل هذا الشاعر إلى الأعتاب الشريفة. وقابل السلطان المقدس مولاي عبد الرحمان لم يطلب منه أكثر من أن ينعم عليه وعلى وفده بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم. حيث يقول :

وخبرنا أن سوف تأتـــي ركابنـــا أبا فاطم أنا أتينـــا ابن فاطـــــم

ولما مدحه في السينية المشهورة. أشار إلى ذلك قائلا :

خليفـة اللـه في نيـل الوصـول لمـن هـو الوسيلـة بيـن اللـه والنـاس

ولا شك أن مجالس الشفا وقد ازدهرت واستقطبت مدارس العلم، وزوايا التصوف وجمهور المساجد. كانت تلهب هذا الشوق. وتشعل أواره. ولا أدل على ذلك من قصة الايدلبي المتقدمة.

ولا تخرج المدائح النبوية في الصحراء. عما في كتاب الشفا من معجزات وكرامات وخصائص. مما يخيل إلى القارىء أنها مجرد عقد. لما هو منثور في أبواب الشفا وفصوله.

وليس في ذلك غرابة لأن هؤلاء الشعراء كلهم علماء. وكلهم من زوايا عرف عنها أنها كانت تقرأ الشفا. وتعمر مجالسه.

ومن أمثلة ذلك. فائية سيدي عبد االه العلوي التي يقول فيها :

أيا من سقت ألفـا ظمـاء بنانـــه كما وهبت ألفا كما هزمت ألفـــا

إلى قوله :

ومن قام في الاسراء والحشر خلفـــه نبيئـو لله الحق كلهم صفـــــــا

إلى قوله :

وما في ذراع الشاة ممـــا تعمـــدت يهود ولكن ما أعـف وما أعفـــا

إلى قوله :

لمولدك الميمون آي شهيرة ... شفت غلة الراوين من قولها الشفا
وفيما رأت عينا حليمة من رأت ... تبنيك هو الأحظى شفاء من استشفى
ولو لم يجبك البدر لما دعوته ... لما شئت لم ينفك نصفين أو نصفا

فقد تضمنت هذه الأبيات وبطريقة موجزة بعض ما أتى به كتاب الشفا في فصوله المتفرقة.

وبعد أن ينتهي الشاعر من سرد معجزاته صلى الله عليه وسلم يقول :

إلى معجزات أنجم الجو دونها ... نموا وحسنا وارتفاعا ومصطفا
فلا الدهر يحصيهن عدا ولو غدت ... مدادا لياليه وأيامه صحفا

فمن قرأ هذين البيتين تأكد عنده تأثر صاحبهما بالفصل الأول من الباب الثاني من كتاب الشفا. وهو فصل يتعرض فيه القاضي عياض إلى ما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم. من خصائص ومعجزات. ويقول : إلى مالا يحويه محتفل. ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك. ومفضله به إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة. ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول.

ومن ذلك قول بن محمد العلوي :

والى اسمه ضم اسمه شرفا له ... من قبل حيعله المنادي المسمع

فلا يخفى ما بين هذا البيت من صلة وثيقة بتفسير القاضي عياض في الشفا لقوله تعالى :

(ورفعنا لك ذكرك) حيث يقول :

هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه. وشريف منزلته عنده وكرامته عليه. بأن شرح قلبه للإيمان والهداية. ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة. إلى أن يقول : وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه.

ويقول الشاعر في نفس القصيدة :

وبه توسل الأنبياء إلى الـــذي ... حازوه من سر النبوة أجمع
أسرى الإله به وأودع صـــدره ... في ستر جنح الليل أشرف مودع
حلى الزمان به كما حلي الربى ... بالروض اثر الساريات الهمع
لله أكمل خلقة وخليقــة ... منحا لصفوة هاشم ومجمع
بحر إذا ورد العفاة وان بـــدا ... فالبدر ماضي عشره والأربع
يغشى الهياج إذا التظى متبسما ... والبيض تلمع والفوارس تدعي
والخيل تائر نقعها من نسجه ... وجه الغزالة مدرج في برقع

فلا تكاد هذه الأبيات تخرج عما في كتاب الشفا. من إجلال وإكبار وإعظام. وإشادة بما خصه الله به من كرامة الاسراء. والصلاة بالأنبياء إلى غير ذلك مما تعرض له في فصوله المتفرقة من عجائب كرمه ونوادر شجاعته وسمو خلقه. وحسن صورته الشريفة.

ويختم الشاعر قصيدته الطويلة بأبيات يقول فيها :

إني بمدحك أستجير وانني ... منه لفي الحصن الحصين الأمنع
فأمنت طارقة الحوادث وانثنت ... عني دواهم كل خطب مفظع

ومن قرأ هذين البيتين لم يشك في أن صاحبهما قد تأثر بمجالس الشفا. وبما جربه حفاظه ومدرسوه من أنه حصن حصين وحرز منيع تتقى به المصائب. ويعتد به في الأزمات والشدائد. وما ذلك إلا لما اشتمل عليه من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم. والإشادة بقدره. فكان كل مدح له صلى الله عليه وسلم. جديرا بذلك.

ومن ذلك قول مولود ابن أحمد الجواد اليعقوبي :

قد انقضت بانقضاء الرسل حجتهم ... وللهدى حجج ما تنقضي الحججا

وقول محمد بن عبد الرحمان الحسني :

وآياته تبقى مدى الدهر بعده   وما بقيت للرسل معجزة بعد

فليس هذان البيتان إلا نظما لقول صاحب الشفا في الفصل الأخير من الجزء الأول :

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم. وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لاتبيد ولا تنقطع. وآياته تتجدد ولا تضمحل.

ومن ذلك قول مولود أيضا :

أليس للعبد أن يسمى اسم سيده   يسمى اسمه درجا قد فاق من درجا

فليس هذا البيت إلا إشارة إلى الفصل الذي خصصه القاضي عياض في كتاب الشفا لذكر تشريف الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم. بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى.

ومن ذلك قول محمد بن عبد الرحمان الحسني :

وقبلت فكري اثر نعل محمد   ولو جئت مغناه أقبله فما

فياليت خدي كان موطىء نعله   وصدري ضريحا جامعا منه أعظما

ولا يخفى تأثر صاحب هذين البيتين بقطعة القاضي عياض المذكورة في الشفا والتي يقول فيها :

وعلى عهد ان ملات جوانحي   من تلكم الجدرات والعرصات

لأعفرن مصون شيبي بينها   من كثرة التقبيل والرشفات

ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي في نونيته الرائعة :

دنا في ذلك المرأى دنوا   من الرحمان ما يدنوه دان

وذاك القرب تقريب اصطفاء   وليس عن المسافة والمكان

ففي هذين البيتين إشارة إلى تفسير القاضي عياض للدنو الوارد في الاسراء وتأويله بالاجتباء والاصطفاء.

رجوع علماء الصحراء في مؤلفاتهم وبحوثهم
الى كتاب الشفا

ولم يكتف علماء الصحراء بتدريس كتاب الشفا، والتبرك به وعقد الحلقات والمجالس للاستماع إلى أبوابه وفصوله وختمه في المواسم الدينية، وفي الظروف الخاصة، وإنما أضافوا إلى ذلك أيضا الرجوع إليه والاعتماد عليه في كثير من المسائل والقضايا التي ألفوا فيها.

وأود التعرض لذكر بعض الشيوخ الأجلاء الذين تحملوا مسؤولية الدعوة، وأسهموا إسهاما كبيرا في حركة التأليف بالصحراء، فكان كتاب الشفا من مصادرهم التي رجعوا إليها في السيرة والفقه والتصوف وغير ذلك.

ومن هؤلاء سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي الذي تقدمت الإشارة إلى إجازته بكتاب الشفا، فقد جاء في نوازله أنه سئل عن امرأتين قالتا كلام تحقير وتنقص بالغ في سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل هما مرتدتان أو عليهما الأدب.

فأجاب أنهما كافرتان وحدهما القتل، ولا تقبل توبتهما لأن ذلك سب للنبي صلى الله عليه وسلم، مع أنهما كانتا مسرتين بالكفر، وذلك زندقة يجب فيها القتل ولا تقبل فيها التوبة أيضا ثم قال ليعزز هذه الفتوى، وليحيل السائل على المصدر الذي اعتمده فيها.

وكفرهما أمر ضروري لا يستدل عليه عند أهل الأصول، لكن لما غطت غشاوة الجهل قلوب العوام، احتاجوا إلى الاستدلال عليه، فأقول :

نص القاضي عياض في كتاب الشفا على أن من عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام أي قبيح، لا يليق بمنصبه ومنكر من القول، حكمه حكم الساب يقتل لأنه زندقة وكفر إلى آخر كلامه في هذا الصدد.

وسئل عن من قال أعاذنا الله من قوله (يحرق أم النبي) صلى الله عليه وسلم، فأجاب بأن قائل ذلك كافر يقتل ولا تقبل توبته، ويحرق بالنار قال وقد أفتى

أبو بكر بن العربي فيمن قال أن أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار، بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول : «**إن الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**»، وأي أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار. يقول سيدي عبد الله قلت : بل أعظم في الايذاء والجسارة الدعاء عليه بذلك. إذ الردة تدور على انتهاك حرمة الربوبية والنبوءة والملكية. فكل من أضاف نقصا إلى أم النبي صلى عليه وسلم بهذا اللفظ أو إلى بنته أي بلفظ بنت النبي فهو كافر حلال الدم والشاك في كفره أقرب إلى الكفر من الايمان.

ويختم هذه الفتوى بحديث فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها. ويقول وكل من آذى النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر بنص الشفا. قال ولا يعترض على هذا بقول خليل. وفي قبيح لأحد من ذريته فإنه إنما فيه الأدب الشديد. لأن محل الأدب إذا قصده في نفسه كما يدل عليه كلام الشبرخيتي. أما إذا قصد الجهة الشريفة كما هو مقصود هؤلاء الشياطين فكفرو زندقة. كما يدل عليه كلام الشفا.

وسئل عن نساء نظرن لوحا به بول صبي لم يمس نفس الحروف. فأمرت كل واحدة منهن الأخرى بالمبادرة إلى غسله. وأخذته إحداهن فناولته صبيا فغسله هل هذا توان يوجب الردة أم لا .

فأجاب ان لاردة فيه إذا لم يحصل في ذلك توان بين. يظهر منه الاستخفاف بحرمة القرآن العزيز بل إما أن يكون لاتواني في ذلك أصلا أو توان غير بين. ويختم جوابه قائلا.

وإذا احتمل الأمر كونه ردة أولا لم تكن فيه ردة كما في الشفا للقاضي عياض.

ومنهم الشيخ سيدي المختار الكنتي. فقد ألف كتاب نزهة الراوي وبغية الحاوي في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم. وخصائصه ومعجزاته وما يجب له من إجلال وتعظيم. وما رافق مولده الكريم من خوارق وآيات. وما خص به من الأنباء بالمغيبات وعقد فيه مقارنة بين معجزاته صلى الله عليه وسلم ومعجزات

غيره من الأنبياء. وتحدث عن الاسراء بروحه وجسده. وما منحه الله من المناجاة والرؤية.

وعقد عدة فصول في جوده وشجاعته ونجدته وحيائه وتواضعه. وحلمه وخوفه من الله تعالى. وتعرض لعقوبة سبه وتنقصه صلى الله عليه وسلم.

وختم الكتاب بحكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وما للعلماء فيها من أقوال وما لها من فضائل ومزايا.

وقد حاذى الكنتي في هذا الكتاب القيم كثيرا من الأبواب والفصول التي خصصها القاضي عياض في الشفا لنفس الغرض.

وقد عزا إليه في بعض فصول الكتاب وتجاوزه في كثير منها. ليسند إلى نفس المصادر المذكورة في الشفا.

وقد يذكر القاضي عياض حديثا دون عزوه إلى الكتاب المخرج فيه. مكتفيا بالإشارة إلى أنه في الصحيح. فيذكر الكنتي الكتاب الذي أخرجه. وقد يزيد على ذلك تعليقا أو ما يشبه أن يكون شرحا للحديث.

وبالاختصار. فقد اشتمل الكتاب على كثير مما في الشفا. وحاذاه في عدة أبواب وفصول. وأضاف إلى ما فيه إضافات وزيادات. مما رجع فيه إلى غيره من كتب الحديث والسير. ودلائل النبوة والخصائص.

ومن أمثلة ذلك الفصل الذي تعرض فيه لوجوب قتل سابه صلى الله عليه وسلم. ورد توبته فقد استهله بما استهل به القاضي عياض حديثه في الموضوع حيث يقول : «فمن سبه صلى الله عليه وسلم. أو تنقصه قتل ولا تقبل توبته لأن ذلك من باب الحد والتأديب لامن باب الكفر والتعذيب. فيقتل سدا لذلك الباب. وحسما لتلك الأسباب. المؤدية للبعد عن رب الأرباب واغضاب النبي الأواب. فيكون القتل حينئذ حدا لا كفرا. كما ورد عن كثير من السلف بخلاف ما إذا سب الله. فإنه تقبل توبته إذا تاب. وعلم ذلك من نيته. لأن الله تعالى لا يدركه نقص ولا يتأذى بنقص بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإنما هو بشر مثلنا يتأذى

به البشر. وليس من حقه علينا إذا يته. فيقتل المتنقص له حدا ان تاب وكفرإِن لم يتب. فيكون قتله حينئذ حدا لاردة. حسما لهذا الباب وقطعا لتلك الأسباب».

وبعد أن قطع بوجوب قتله وعدم قبول توبته. وأشار إلى أن القتل يقع عليه حدا إن تاب. وكفرا إن لم يتب. وأنه إن تاب نفعته توبته في الآخرة. إلا أنها لا تدرأ عنه الحذ والتاديب. وذكر الخلاف في تحتم قتله حالا. وفي وجوب استتابته بدأ بتلخيص ما في كتاب الشفا من أدلة الكتاب والسنة وأقوال العلماء في قتله ورد توبته وعذره. فذكر قوله تعالى :

«ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة. وأعد لهم عذابا مهينا». وعلق على هذه الآية الكريمة فقال : «واللعنة من الله هي ابعاد الملعون من رحمته واحلاله في وبال عقوبته». ونقل قول القاضي عياض في الموضوع : «إنما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر هو القتل.

واستدل على عدم قبول توبته ورد عذره بقوله تعالى : «قل أبالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم».

وينقل قول عياض : قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأورد من أدلة السنة ما أورده القاضي عياض من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : من لكعب بن الأشرف.

فإنه يؤذي الله ورسوله. ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين. وعلل بأذاه له فدل أن قتله له لغير الاشراك بل للأذى إلى غير ذلك من الأدلة التي ساقها في هذا الموضوع اعتمادا على ما في كتاب الشفا.

وقد ذكر في نهاية هذا الفصل بعض الإرادات التي أوردتها الشافعية على أدلة المالكية في عدم قبول توبة سابه صلى الله عليه وسلم. وذكر تعقيب ابن الخطيب القسطلاني على القاضي عياض في هذا المجال.

ومن ذلك الفصل الذي خصصه للحديث عن الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم. فصدره بمقدمة يقول فيها :

«اعلم أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وردت صريح بنص الكتاب. وأن الله وملائكته يصلون عليه **قبل بعثته بل قبل وجوده**، فوجبت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

ويلاحظ التشابه بين هذه المقدمة وبين مقدمة القاضي عياض لنفس الغرض حيث يقول : أعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه. وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب. وأجمعوا عليه.

وقد استعرض الكنتي ما تضمنه كتاب الشفا من أقوال العلماء في هذا الموضوع فذكر منها ما يلي :

1) قول مالك بوجوبها مرة في العمر.

2) قول القاضي أبي الحسن بن القصار أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان : وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك.

3) قول القاضي أبي بكر أن الله افترض على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما. ولم يجعل ذلك لوقت معلوم. فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها.

4) قول أبي جعفر الطبري أن مجمل الآية عنده على الندب مدعيا الاجماع على ذلك.

5) قول الشافعية بوجوبها في الصلاة إلى غير ذلك من الأقوال التي استعرضها في هذا الصدد.

ولم يكن الكنتي من أولئك الذين يتقبلون الأقوال ويسلمون الآراء والمذاهب دون مناقشة ولا تمحيص. ولذا فهو ذو حرص شديد على تتبع هذا الموضوع وتقصيه. ورد كل ما يستوجب الرد في نظره. ومن أمثلة ذلك ما يلي :

1) رده على ابن جرير الطبري حيث يقول ـ الكنتي ـ :

وأما ما ادعاه من الاجماع على استحبابها. فغير مسلم. بل هو معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية الصلاة في الفريضة. أما بطريق الوجوب على

مذهب أبي حنيفة والشافعي. واما بطريق الندب وهو مذهب مالك. وأما بطريق السنة، وهو مذهب أحمد. ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف.

2) دفاعه عن القاضي عياض حيث يقول :

وقد عاب غير واحد على القاضي عياض في الشفا نصه على وجوب الصلاة عليه. وما أنصفوا في العيب عليه. ورد قوله لأن مبنى تأليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم، وأدى حقوقه. والقول في وجوب الصلاة عليه من غرض المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم إلى أن يقول : وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

3) ميله إلى مذهب الشافعية في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، في الصلاة :

وقد ذكر أقوال العلماء الذين أخذوا بذلك. ونقل ما اعتمدوا عليه من الأدلة، مما لا يتسع الوقت لعرضه، وفي ذلك يقول :

وأما من شنع على الشافعي فإنه ذهب في غير مذهب، لأن الشافعي لم يخالف نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة. بل القول بذلك من محاسن مذهبه، وأحق بالتشنيع منه القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله في الصلاة التي هي رأس العبادة.

ومنهم الشيخ محمد القصري الايدليبي، صاحب النوازل. فقد سئل في نوازله عن قول البوصيري :

وبت ترقى إلى نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وما هي هذه المنزلة التي أشار إليها، وهل هي المناجاة أو الرؤية أو الدنو والتدلي المذكور في الآية الكريمة وعن حقيقة ذلك وهل هو قرب مكاني أو معنوي.

ولا يخفى ما يحتاج إليه جواب مثل هذا السؤال من إطلاع على نقول العلماء وآرائهم، والمام بعقائد أهل السنة ومذاهبهم في التفويض والتأويل.

وبما أن صاحب السؤال صدره ببيت البوصيري فقد أجابه القصري بما لشراح البردة في هذا البيت. فاستعرض أثناء ذلك أقوال المفسرين والمحدثين وائمة العلم حول الاسراء بالجسد والروح وحول الرؤية والدنو الوارد في الاية الكريمة.

وأكد للسائل أن الدنو الوارد في الآية الكريمة مؤول بدنو الرضا والقبول. ورفع الدرجة والمقام المحمود واشراق أنوار المعرفة والاجتباء والاصطفاء كما تؤول يات الصفات وأحاديثها التي لابد فيها من التأويل أو من التفويض بعد صرفها عن الظاهر المستحيل.

(من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة. قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان. وتعجيل المأمول).

وختم جوابه بما ختم به القاضي عياض فصول الاسراء في كتاب الشفا. فقال - القصري - قال القاضي عياض رحمه الله :

(اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله. فليس بدنو مكان ولا قرب مدى. بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه. وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته. ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتؤول في قوله : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان. قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل مادنا بنفسه من الحق تدلى بعدا. يعني عن درك حقيقته. إذ لادنو للحق ولا بعد. وقوله قاب قوسين أو أدنى. فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل على هذا. كان عبارة عن نهاية القرب. ولطف المحل. وإيضاح المعرفة. والاشراف على الحقيقة من محمد (ص). وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له. ويتأول فيه ما يتأول في قوله :

وهكذا وجد القصري في كلام القاضي عياض ما يدعم جوابه. وما يرضي ميله في التأويل الذي هو أحد مذاهب الأشاعرة فيما لا بد من صرفه عن ظاهره.

وخير من يعتد بنقله ورأيه في ذلك القاضي عياض رحمه الله.

ويرد عليه سؤال آخر حول المحفظة الخاصة بالمصحف والمعروفة في الصحراء بالجيرة. هل لها حرمة المصحف أم لا ؟

فيجيب بضرورة تعظيمها واضفاء هالة الاحترام عليها قياسا على وجوب تعظيم أمكنة النبي صلى الله عليه وسلم. ومشاهده ويقول قال القاضي عياض رحمه الله : «ومن اعظامه واكباره اعظام جميع أسبابه واكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم أو عرف به.

ويلخص في هذا الموضوع ما نقله القاضي عياض في الشفا من قصة أبي محذورة التي طالت طولا زائدا فقيل له ألا تحلقها ؟ فقال لم أكن بالذي يحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده. وما روى من مبالغة خالد بن الوليد رضي الله عنه في الحفاظ على شعراته صلى الله عليه وسلم. وما نقل عن الإمام مالك من استحيائه أن يطأ تربة المدينة المنورة بحافر دابة إلى غير ذلك مما اشتمل عليه هذا الفصل من كتاب الشفا.

ويعلق - القصري - على ذلك قائلا : إذا علمتم هذا اتضح لكم من باب الاحروية وجوب تعظيم جفيرة المصحف. لأن آية من كتاب الله تعالى أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم.

ومنهم العلامة زين (5) بن محمد بن أحمد الشمشوي اليدالى الذي ألف كتابا يدافع فيه عن الطريقة التيجانية ويرد على خصومها ومنتقديها. ويذكر فضائل أهلها وذويها ويستشهد لذلك بتلقي أجلاء العلماء لها. ورضاهم بحال أهلها.

(5) هو زين بن محمد ابن احمد اليدالي المتوفى سنة 1358 هـ. بلغت تاليفه المائة اشهرها نظمه في تفسير القران وشرحه لمختصر خليل ونظمه لشمائل الترمذي، وكتابه المسمى المواهب الربانية في اعتقاد احسن المذاهب بالتيجانية، وقد اشار في هذا الكتاب الى انه ليس تيجانيا ولم يأخذ اي ورد من اورادها ولكنه الف في الدفاع عنها انتصارا الحق.

وقد اعتمد في هذا التأليف الهام على الكتاب والسنة، وكتب أئمة السلف من محدثين ومفسرين ورجال فقه وتصوف. فكان من بين الكتب التي رجع إليها أكثر من مرة كتاب الشفا.

وأذكر من ذلك على سبيل المثال الفقرة التي يشير فيها إلى أن الحال والماضي والمستقبل حالات عارضة للزمان بالقياس إلى ما يختص بالجزء منه. إذ الحال معناه زمان حكمي هذا. والماضي زمان هو قبل حكمي هذا. والمستقبل هو زمان بعد زمان حكمي هذا. فمن كان حكمه أزليا محيطا بالزمان. وغير محتاج في وجوده إليه. وغير مختص بجزء من أجزائه لا يتصور في حقه حال ولا ماض ولا مستقبل. فالموجودات من الأزل إلى الأبد معلومة له في كل وقت.

فقد ساق هذه الفقرة ليعيد إلى الأذهان أن تأخر الزمان و بعد الأوان لا يمنع من خصه الله بالمنح الربانية أن يصل إلى أفضل مما وصل إليه سابقوه. ومثل لذلك بوجوب النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وآدم بين الروح والجسد وقال : إلى غير ذلك مما ذكره القاضي عياض في الشفا.

ومن أمثلة ذلك أيضا افتتاحه الحديث عن علم النبي صلى الله عليه وسلم واطلاعه على الغيب بقول عياض في الفصل الذي خصصه لذلك :

الأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها، واتفاق معانيها.

ويورد أثناء حديثه في هذا الصدد كثيرا مما أورده القاضي عياض من اخباره صلى الله عليه وسلم بالأمور التي ستكون والتي صحت وشوهدت. فكانت من دلائل نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم.

ويذكر في هذا المجال كذلك الحديث الذي أورده القاضي عياض في الشفا بسنده إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حيث يقول :

«قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. مقاما فما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. قد علمه

صحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء. فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه. والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم. من قائد فتنة إلى أن تقضي الدنيا. يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا. إلا سماه لنا باسمه أو اسم أبيه **وقبيلته.**

ويذكر بعد هذا قول أبي ذر :

«لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما».

وينهي الكلام في هذا الموضوع قائلا : إلى آخر ما نقله القاضي عياض في كتاب الشفا.

ومنهم شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم نياس (6) الذي حمل مشعل الدعوة المحمدية في غرب إفريقيا منذ حوالي منتصف القرن المنصرم إلى السنوات الأخيرة منه. وكان داعية عظيما يعتمد فيما يعتمد من أساليب الدعوة إحياء الدراسات الحديثية. وتدريس السيرة النبوية وافشاءها ونشرها من خلال مؤلفاته ومحاضراته ودواوينه الشعرية التي تلقتها ملايين المسلمين بقبول منقطع النظير.

وكان تأثره بكتاب الشفا واضحا في كثير من هذه الدواوين والقصائد. التي تعتبر كل واحدة منها درسا قيما من دروس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. ودلائل نبوته ومعجزاته. ولولا ضيق المقام. لأوردت نصوصا رائعة من هذه القصائد.

وقد عرفت إفريقيا ومنذ منتصف القرن الهجري الماضي مختلف التيارات الفكرية. وفشت فيها النحل المستوردة. وبدأ دعاة البدع والأهواء ومروجوا الشبه

---

6) الشيخ ابراهيم نياس هو شيخ الإسلام الداعية الكبير الذي بلغ اتباعه في غرب افريقيا عجم وعرب اكثر من ثلاثين مليون.

وقد لعب دورا عظيما في نشر الاسلام وحارب الوثنية وقضى عليها، وحاربته الكنيسة فهزمها وقد ترك عدة مؤلفات ودواوين في مختلف العلوم وفي السيرة النبوية، وامداح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اضفته في هذه الدراسة الى علماء الصحراء مع انه سينغالي لصلته الوثيقة بعلماء شنقيط، ولان له فيها اتباع كثيرين.

يشيعون مقالاتهم ويفشون ضلالاتهم حتى بلغت الجرأة بأحد المنتمين للعلم وقد فقد رشده وصوابه أن يعترض على أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم. ويطعن في خصوصيته على سائر الأنبياء الكرام. غير عابىء بمحكم القرآن وصحيح السنة. واجماع السلف والخلف.

فما كان من شيخ الإسلام إلا أن بادر بالرد على هذه المقالة الشنيعة. وألف فيها كتاب (نجوم الهدى الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى).

وهو كتاب قيم يشير في مستهله إلى أفضليته صلى الله عليه وسلم. فيقول:

الحمد لله الذي فضل بعض النبيئين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات. وجعل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم كلا وكلية. ومقامه فوق المقامات فهو بالنص والاجماع أفضل وأكمل المخلوقات. وسيد ولد آدام ورحمة الخلق حتى أرباب النبوات والرسالات. وعلى آله وصحبه وأمته خير أمة أخرجت للناس بنص الذكر والآيات.

وبعد هذا الاستهلال يأتي بمقدمة يذكر فيها أسباب تأليف الكتاب فيقول:

أما بعد. فإني منذ عدة سنوات أسمع مقالا ينسب لبعض أهل الملة الإسلامية. وجعلته في عداد الخرافات. وعزمت ألا أبل قلمي برد تلك الترهات. حتى شاع وذاع. وأكثر أهل العصر أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني. وما زخرف لهم رؤساؤهم من الغي والضلالات. والمقال انه ما ثم دليل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم. أفضل من جميع الأنبياء أرباب الحقائق والمعجزات. فخفت أن يصغي العوام الجهلة إلى تلك الخزعبلات. فقيدت لهم جوابا مختصرا قدر همم أهل العصر. وما اتصفوا به من قلة المبالاة. فقلت ان التفاضل بين الأنبياء مذكور في القرآن العزيز. ومحمد أفضل الأنبياء والمرسلين. وهذا أوضح من النهار. ولا يحتاج للدلالات.

قال:

فكيف يصح في الاذهان شيء   متى احتاج النهار إلى دليل

وحيث أن المخاطبة مع غبي من الأغبياء، نكتب مجاراة مع غباوته، بنصب الدلائل والآيات فنقول :

نص القرآن أن محمدا رحمة للعالمين، وصح أنه الشفيع فيهم يوم القيامة وسيد ولد آدم، وآدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة، وأنه خاتم النبيئين وإمامهم ودينه أفضل الأديان وأمته أفضل الأمم وكتابه أفضل كتاب نزل من السماء . وأنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وله الوسيلة وعظمه الله بما لم يعظم به غيره، ورفع ذكره وفتح له وغفر له وأذهب الرجس عن أهل بيته، وأسرى به وأقسم بحياته وعصره وبلده وأعطاه الكوثر، وبقيت آياته مستمرة ونسخ دينه الأديان وبعث إلى كافة الخلق.

وبعد هذه المقدمة الموجزة المستقاة من الكتاب والسنة، والتي تكاد تكون كل كلمة فيها تلخيصا لفصل مستفيض من فصول كتاب الشفا، يشرع في دحض المقالة الشنيعة ويبدأ في استعراض الأدلة النقلية والعقلية، والبراهين التي لاتدفع على أفضليته صلى الله عليه وسلم، وخصوصيته على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم صلوات الله تعالى وسلامه.

وقد اعتمد فيما اعتمد من كتب الحديث والتفسير ونقول الأئمة كتاب الشفا.

وهكذا نجده في بداية حديثه عن أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم، واستعراضه الأدلة العقلية والنقلية، يفتتح ذلك بالمقارنة التي عقدها القاضي عياض في كتاب الشفا، والتي تتلخص في أن مقام الخليل هو الطمع في المغفرة لقوله : «والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين»، والحبيب مقامه في ذلك (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، والخليل مقامه الطلب، لقوله : ولا تخزني يوم يبعثون)، ومقام الحبيب الاعطاء من غير طلب، يوم لا يخزي الله النبيء والذين آمنوا معه)، والخليل قال : (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، والحبيب قيل له (ورفعنا لك ذكرك) والخليل قال : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) والحبيب قيل له : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

أهل البيت ويطهركم تطهيرا). والخليل قال : (إني ذاهب إلى ربي سيهدين). والحبيب قيل فيه : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) الآية.

وبعد هذه المقارنة التي ذكرها القاضي عياض في كتاب الشفا. يضيف شيخ الإسلام مقارنة أخرى بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وبين موسى عليه السلام. مشيرا إلى أن مقام موسى عليه السلام المجيء إلى الميقات. ومحمد صلى الله عليه وسلم. مقامه الاسراء بجسده وروحه. ومناجاة الكليم عند الطور. ومناجاة الحبيب فوق العرش وفوق الفوق. وكلام الله لموسى كان وحيا منه تعالى إليه. وكلامه لمحمد صلى الله عليه وسلم كان عيانا. وجواب موسى في طلب الرؤيا لن تراني. والنبي صلى الله عليه وسلم. قال عنه تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى). وقال تعالى عن موسى : (وخر موسى صعقا) وقال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (ما زاغ البصر وما طغى). وحكى الكلام الذي كلم به موسى فقال : (وما تلك بيمينك يا موسى) الآية.

وكتم مناجاة الحبيب وأبهمها بقوله : (فأوحى إلى عبده ما أوحى).

ويأبى شيخ الإسلام إلا أن يختم هذه المقارنة بالحديث الذي أورده القاضي عياض في هذا الصدد حيث يقول عن ابن عباس قال : «جلس ناس من الصحابة يتذاكرون فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم. حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم خليلا. وقال أخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما. وقال آخر عيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر آدم اصطفاه الله. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال قد سمعت كلامكم وحجتكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك. وموسى نجي الله وهو كذلك. وعيسى روح الله وهو كذلك. وآدم اصطفاه الله وهو كذلك. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر. وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر. وأنا أول شافع وأنا أول مشفع ولا فخر. وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المومنين ولا فخر. وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر.

وقد ورد اسم القاضي عياض مرتين في هذا الكتاب الأول في شرف نسبه صلى الله عليه وسلم. حيث يقول قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

(وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه، مما لا يحتاج إلى إقامة دليل ولا بيان، مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم وأفضل سلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) اهـ.

والثانية في ذكر أخذ الميثاق على الأنبياء والرسل أن يومنوا به ويتبعوه وقد ذكر فيها أنه كثيرا ما ينقل عن كتاب الشفا حيث يقول :

(وأما ما عهد الله له من قدم نبوته وذكره فقد روى القاضي عياض رحمه الله من ذلك في كتاب الشفا أخبار كثيرة، وكثيرا ما أنقل منه) اهـ.

وأشير هنا إلى أن صنيعه في هذا الكتاب، أن ينقل بعض ما في فصول كتاب الشفا، ويتبعه بعدة نقول وبحوث هامة لاتترك مقالا لقائل.

تلك شخصيات علمية ذات نفوذ روحي وشهرة واسعة في الصحراء، تحملت مسؤولية الدعوة وأدت دورا تاريخيا في نشر العلم والمعرفة ومحاربة البدع والأهواء والضلالات معتمدة في ذلك على الكتاب والسنة وتراث السلف وكتب الدعوة التي عنيت بإقامة الأدلة والبراهين على صدق الرسالة المحمدية ونبل غايتها ومقاصدها وما خص الله به صاحبها من دلائل النبوة وعجائب المعجزات، وما امتاز به صلى الله عليه وسلم، من سيرة لم تتوفر لغيره من الأنبياء والرسل الكرام عليه وعليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

وكان لكتاب الشفا في هذه الكتب مكان الصدراة فاعتد به علماء الصحراء، وخاضوا به معركة الجهاد والدعوة ودرسوه وعقدوا له المجالس ورجعوا إليه واستناروا به في منهجية التوجيه والإرشاد.

وليس ما اشتمل عليه هذا البحث من أسماء العلماء والتآليف المتأثرة بالشفا الا نماذج وأمثلة تعطي للقارىء الكريم لمحة عن الدور الذي لعبه هذا الكتاب في تاريخ الدعوة الإسلامية في الصحراء.

وهو موضوع تستحيل الاحاطة به في مثل هذه الدراسة المقتضبة.

فقه القاضي عياض من خلال
كتاب التنبيهات

الأُستاذ : محمد صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

فقه القاضي عياض من خلال كتاب التنبيهات

1 - ان للندوات والمناقشات العلمية ما يعود بالفائدة على الفكر والثقافة، وعلى التحصيل العلمي بصفة عامة، أكثر مما للدراسة الأكادمية والمراجعات الذاتية التي يمارسها أولو العلم في مدارسهم أو مكاتبهم.

وقديما قال المثل العربي : (مناقشة اثنين، خير من مراجعة حمل وقرين) لذلك كانت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية وفي شخص السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية تستحق كل تنويه وتقدير حينما سبقت الى سن هذه السنة الحسنة وخلق القدوة المباركة أمل كل مثقف متعطش الى رواية عملية لإحياء التراث المغربي الإسلامي وهي تسير من فكرة مجردة إلى واقع ملموس معاش.

ولا ننسى أبدا ونحن على أبواب هذه الندوة المباركة ندوة القاضي عياض أحد أئمة المغرب الإسلامي الأعلام وما كان من أثر محمود لندوة إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه في السنة الفارطة، وما انبثق عنها من ايجابيات بناءة ومن حصيلة علمية أثلجت صدور جميع رجال الفكر والثقافة الذين تتبعوها سواء من قريب أو من خارج قاعة الندوة، وأصبح يترأى لكل مهتم بعملية إحياء التراث الإسلامي في هذا البلد الأمين، أن تحقيق هذا الحلم أصبح قاب قوسين أو أدنى منا جميعا ولكي لا أطلق العنان للقلم أعود إلى الموضوع وأقول.

1 ـ من هو القاضي عياض :

القاضي عياض هو أحد طليعة الرعيل الأول من علماء المغرب الذين تخلد اسمهم وطار ذكرهم على اختلاف الأجيال والأعصار حتى شاع بين الأجيال من العلماء قديما ما معناه (لولا القاضي عياض ما ذكر المغرب الأقصى).

وهذا المثال ونحوه يجعل من القاضي عياض مفخرة ما بعدها مفخرة في تاريخ المغرب العلمي والثقافي. وجاء في رسالة مركزة صدرت عن ولده محمد واعتمدها كل الباحثين من بعده للتعريف بالقاضي عياض ما يلي :

أنه ولد بمدينة سبتة في منتصف شهر شعبان سنة 476 هـ وأنه عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض استقروا بفاس وكان جده عمرون هذا رجلا خيرا صالحا حافظا للقرآن حج عدة مرات ثم انتقل من فاس إلى سبتة ليكون قريبا من أخوين له كانا ببلاد الأندلس وهما عيس والقاسم ابنا موسى بن عياض فاستحسن الإقامة بسبتة وأسس بها دارا ومسجدا وحبس جزءا منها مقبرة ولا يزال هذا المكان إلى الآن ينسب لأسرة عياض كما يعرف بالمنارة (1).

ولما كان للفقهاء في دولة المرابطين الكلمة العليا والمنزلة السامية فقد كان القاضي عياض رحمه الله من بين أولئك النجوم اللامعة التي لا تغيب عن ذكرهم الشمس فقد ولي القضاء بمدينة سبتة وفي الأندلس وكان قايد المدينته حارسا لها قيما على شؤونها ورعايتها مهيب الجانب ومكث في وظيفته إلى أن توفي وهو بوظيفته القضاء بمدينة تادلة بناحية بني ملال سنة 544 هجرية ودفن بمراكش (2) بباب إيلان وقبره لا يزال معروفا إلى الآن ويقصده الزوار وهو أحد قبور سبعة رجال المشهورة بمراكش رحمه الله ورحمنا جميعا.

---

1) أحمد صقر تحقيق الإلمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص 3 طبعة دار التراث.

2) خلاصة تاريخ سبتة لمحمد السراج ص : 56.

وإذا أدركنا أن القاضي عياض كان يوزع أوقاته طول حياته إلى ثلاثة أجزاء جزء لخطة القضاء وجزء للتأليف وجزء لتدريس ما يؤلفه من كتب. أدركنا إذ ذاك مدى ضخامة هذا الإنتاج ومدى سعته واتساع أفقه وذلك بالنظر إلى تسوية حصة وقت التأليف مع حصة الوقت المخصصة لتعاطى خطة القضاء أو المخصصة للتدريس (3).

2 ـ الفكر السلفى وكتاب التنبيهات :

من البديهيات المسلم بها لدى الباحثين والمفكرين في كل عصر وزمان أن أي مؤلف أو كتاب يقود إلى تغير ملحوظ في سير التاريخ أو يحدث ضجة ملحوظة داخل مجتمع ما فإنه يكون نتيجة عوامل وظروف متعددة تهيىء لصدوره وظهوره فلا يمكن مثلا أن نقول أن كتاب الموطأ للإمام مالك أو صحيح البخاري لإمام المحدثين ظهرا فجأة ودون مقدمات أو دوافع اجتماعية خلقتها البيئة التي كان يعيشان فيها قبل أن يشرعا في تأليف كتابيهما بخصوص الإمام مالك مثلا كانت هناك محاولات في موضوع الموطأ وكانت هناك ارهاصات باشرها غير الإمام مالك كوصية الخليفة عمر ابن عبد العزيز لقاضيه بالمدينة ابن حزم بأن يضع كتابا يتضمن علم أهل المدينة بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم وكما كتب أيضا إلى الزهرى بنفس الفكرة فقد قال الزهرى أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن. فكتباها دفترا دفترا وبعث إلى كل أرض فيها سلطان دفترا وذلك خوفا من السيل الجارف من موجة التحريف وأهل البدع والتشيع التي عنت الوسط الإسلامي حينذاك إلى غير ذلك من الأعمال الأخرى التي برزت في الوسط الإسلامي في المدينة المنورة.

هذا كله مهد الظرف الملائم لظهور كتاب الموطأ مالك الذي جاء يملأ الفراغ المهول الذي كان سائدا ويسجل ما ثبت من علم أهل المدينة مدينة رسول

---

3) أحمد صقر : تحقيق الألماع.

الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا. ونفس الشيء ينطبق على صحيح الإمام البخارى رضي الله عنه وارضاه فقد كان في زمنه من كثرة الروايات وتسلل الوضاعين إلى حلقات علم الحديث مع اتساع رقعة الإسلام وترامى ربوعه ما يستلزم الحزم في تحرى الحديث وتمييز حسنه من عليله وصحيحه من موضوعه مع التصدى لرجال السند والبحث في تراجمهم والتعمق في متون الحديث مع مطابقتها لأصول الشريعة العامة.

وقبل تناول كتاب التنبيهات بنظرات لا ننسى أن نعرج على أول وأهم مصادر الفقه المالكى وهى المدونة فالمدونة التي تتألف من جملة المسائل الفقهية التي أفتى بها مالك أو أفتى بها تلميذه ابن القاسم فيما لم يثبت عن مالك فيه شيء هي نفسها كانت نتيجة ظروف خاصة استلزمت ظهورها وجمعها فأسد ابن الفرات الذى باشر جمعها حاول أن يجمع فيها ما تشتت في زمانه من فتاوى واراء فقهية كما حاول أن يضمنها الا فتراضات التي شاعت في الفقه الحنفى آنذاك والتي عرضها على ابن القاسم بعد رجوعه من العراق يستطلع فيها رأي هذا الأخير ويسجل أجوبته عليها على ضوء خط المذهب المالكي.

وبعد ذالك أصبحت المدونة التي أعاد ترتيبها الإمام سحنون أصل أصول مذهب مالك.

واقتصر الناس بعد ذلك على هذا الأصل وأصبحوا يتداولونه ويتدارسونه ويتناولوه بالشروح والتحليلات بل ويحفظونه عن ظهر قلب تعبيرا عن تفوقهم في التحصيل الفقهي وإثبات المقدرة الطالب منهم على الإلمام بفروع وأصول الفقه المالكي.

غير أنهم اختلفوا فيما يتعلق بطريقة ومنهجية هذا الاعتماد للمدونة فقد نقل المقرى في كتابه أزهار الرياض عن القاضي عياض نفسه.

إن القدماء من رجال الفقه نهجوا في تدريس المدونة ودراستها والرجوع إليها منهجين اثنين هما المنهج العراقي ونسب للعراق لأن فقهاء العراق والذين وصفوا

بأن مدرستهم مدرسة رأي قبل أن تكون مدرسة أثر قد أخذوا به وثانيها المنهج القروى نسبة إلى القرية وهو منهج مادون أهل العراق ويراد بهم أهل القيروان وفاس والأندلس وكان يطلق عليهم هذا الوصف من قبل العراقيين باعتبار أنهم أقل حضارة وأعرق بداوة.

على أن الفارق بين المنهجيين هو أن المنهج العراقي ركز على اعتبار نصوص المدونة أساسا للتشريع يمكن أن يقاس عليها وتبنى عليها التفريعات الأخرى المماثلة أو المتماثلة وذلك تسهيلا لمهمة الفقيه أو رجل التشريع وسحبا للنصوص التشريعية على الأشياء والنظائر من وقائع الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي المتعدد المشارب والمختلف العادات والأعراف التي تختلف من قطر إلى قطر وذلك على طريقة تحرير الدلائل عند الجدليين وأهل النظر من الأصوليين.

أما المنهج الآخر وهو المنهج القروى فقد اعتمد المدونة من حيث البحث عن ألفاظها وتحقيق ما احتوته بواطن الأبواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكتاب من اضطراب مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع الاثار وترتيب أساليب الأخبار وضبط الحروف على حسب ما وقع في السماع وافق ذلك عوامل الاعراب أو خالفها.

فهذه كانت سيرة القوم رضى الله عنهم إلى أن عم التكاسل وصار رسم العلم كالماحل ويشهد لما قلناه تصرف العلماء بعد هذه الفترة مثل التونسى في تعاليقه واللخمي في تبصرته (4).

على أننا كدارسين لتراثنا الفقهى وهذا هو بيت القصيد في هذا البحث المتواضع لا نستطيع أن نستقر على رأي معين يحدد بمقتضاه إلى متى استمر كل من المنهجين المشار إليهما وبالخصوص المنهج القروي الذي يهمنا نحن كأفارقة وما هى المنعطفات بالضبط التي تعرضت لها هذه المدرسة وهل اتجهت إلى الأعلى أم

4) المقري : أزهار الرياض الجزء 3 ص : 22.

الى الأسفل أي هل ارتفعت في توجيهاتها الفقهية أم انحدرت إلى الحضيض فأصبحت تعتمد على ترديد ما صاغه الأقدمون.

إذا تتبعنا المقري في تقريره في هذا الموضوع فإن خلاصة ما أورده هو أن الفقيه عياض كان يجمع بين المدرستين السابقتين في تحليلاته.

كما أن المدرسة القروية استمرت حتى القرن السابع أو الثامن ممثلة في العز ابن عبد السلام وتلميذه ابن عرفة والأبى من بعدهما وهو أيضا تلميذ لابن عرفة. أما ما بعد هذه الفترة فلم يعد هناك فقهاء. بالمعنى المنسوب إلى المدرستين السابقتين وإنما أصبح الدارسون يكتفون بترديد ما سجله الأقدمون أو مقابلة المراجع بعضها ببعض أو مراقبة نقلها بأمانة بمعنى أن العطاء الفقهى بمعناه الأصيل كان قد توقف.

هذه المقولة تستلزم أن نتتبع مدى جديتها وصحتها وذلك من خلال المراجعة الدراسية التي يمكن اجراءها على محتويات كتاب التنبيهات الذي نحن بصدده غير أن الوقت الضيق لا يسمح في هذه العجالة ونرجىء ذلك إلى دراسة أخرى بحول الله. ويكفي الآن إلقاء نظرات حول كتاب التنبيهات.

كتاب التنبيهات موضوع هذه النظرات هو من بين المخطوطات التي لم تحظ بعد بروية نور المطبعة وإن كان الكتاب في واقع الأمر هو في طريقة إلى المهتمين بهذا الفن لأنه كما يظهر فقد بذلت مجهودات لإنجاز طبعه. وهو في نسخته المخطوطة يختلف من نسخة إلى أخرى من حيث عدد صفحاته وحجم سعتها وذلك تبعا لطريقة النسخ التي اتبعت بشأنه من جهة أخرى. فالنسخة مثلا الموجودة بالخزانة الملكية بالرباط المسجلة تحت رقم: 554 تتألف من 405 صفحات وهي دقيقة الخط رقيقة الحروف مع كبر حجمها من حيث الورق وتاريخها راجع إلى 11. 1286 هجرية وناسخها المرحوم السيد الهادي الصنهاجي رحمه الله.

وهناك بنفس الخزانة نسخة أخرى بخط أوسع وصفحات أكثر ربما تصل إلى 700 صفحة والنسختان معا بهما بعض البتر بسبب ما تعرضتا له من عوامل التآكل.

وبإلقاء نظرة مجردة على الكتاب تتكون لك صورة صادقة عنه فهو مكتوب بأسلوب سهل السياقة والتعبير وتراكيبه قريبة الفهم وهو شاهد على درجة سلامة أسلوب الفقهاء المتقدمين الذين كانوا يبتعدون جهد الإمكان عن التكلف والتعقيد في العبارة كما أن الكتاب يتألف من جزءين اثنين في كل جزء منهما نصف صفحات الكتاب.

غير أن طريقة توزيع وتنويب الكتاب لا تختلف عن طريقة الأقدمين حيث أنهم كانوا يهتمون بجوهر المعرفة أكثر من اهتمامهم بشكلياتها فلم تكن لديهم بعد طريقة واضحة لعرض جميل لمضامين الكتب ووضع تصاميم لها ففصوله وأبوابه مثلا متداخلة وغير مقسمة بطريقة يسهل معها الرجوع إلى كل فصل فصل أو باب باب على حدة على أني شخصيا قد بدأت في محاولة متواضعة لفهرسة الكتاب ودراسته وفصل أبوابه بعضها عن بعض تميهدا لطبعه إن شاء الله.

والكتاب يبدأ وفق المنهج التقليدي يعرض مسائل العبادات كقواعد الوضوء وشروط الماء الطهور الصالح لطهارة الحدث والخبث وينتقل بعد ذلك إلى مسائل الصلوات وأوقاتها وإلى غير ذلك من العبادات.

ويتفرغ في الجزء الثاني إلى مسائل المعاملات بادئا بعقد باب السلم أحد أنواع البيوعات.

ويختم الكتاب بمسائل العتق والتدبير والمكاتبة وهو كما سبق أن أشرت يعرض هذه الموضوعات بطريقة غاية في الوضوح والتبسيط تخلو منها الكتب الفقهية التي تلت هذا العهد وخصوصا المراجع المتأخرة أمثال كتب الأئمة الرهونى والتسولى والوزانى رضي الله عنهم.

وكما سبقت الإشارة إليه فإن أي مؤلف ذى قيمة أو بال لا بد وأن يكون قد تمحص عن ظروف علمية واجتماعية خاصة استلزمت هذا الظهور.

فكانت التنبيهات أو التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة كما هو الإسم الكامل للكتاب المعول عليه في حل ألفاظ المدونة وحل مشكلاتها وتحرير روايتها وتسمية رواتها وأن السبب في ذلك يرجع إلى أنه جمع بين شرح المعاني وإيضاحها وضبط الألفاظ وذكر من رواها من الشيوخ والحفاظ.

ويقول القاضي عياض في مقدمة الكتاب إن من دواعي تأليفه هو ما شاع في زمانه من الإختلاف في معاني الكتاب وفي روايته أو ما غمض فهمه على دارسها ومراجعها.

وهكذا فكتاب التنبيهات وإن كان كتاب فقه محض إلا أن شخصية مؤلفه الفذة والمتنوعة الاختصاص هي التي طبعته بهذا الطابع الأصيل فقد دارت مؤلفاته رضي الله على ثلاثة علوم الفقه والتاريخ والحديث وحسب رأي الشيخ المقرى فإن الطابع العام لكتبه هو الرواية والدراية سيرا مع مقولة الإمام الزمخشرى رضي الله عنه (العلم مدينة لها بابان الرواية والدراسة) وسعة رواية عياض هي التي احلته المحل الأول في الفقه المالكي وجعلت أبناء عصره يقولون عليه في حل ألفاظ مدونة الإمام سحنون بن سعيد التنوخى وقد أحصاها عياض فوجد بها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أربعة آلاف حديث ومن الآثار نحو ستة وثلاثين ألف أثرو من المسائل الفقهية نحو أربعين ألف مسألة.

وهي التي مكنت له من أسباب التفوق في تأليف كتب الحديث علما وشرحا فقد ألف في شرح كتب الحديث مشارق الأنوار وبغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد وإكمال المعلم بفوائد مسلم كما ألف في علم الحديث الالماع وعلى ضوء ذلك يمكن أن نقول إن كتاب التنبيهات كان زبدة كل هذه الظروف والتفاعلات التي اتسمت بها شخصية مؤلفه.

وعلى عادة القدماء في سرد سند الرواية لكل مقروء أو كتاب وإن لم يكن كتاب حديث بل ولو كانت قصيدة شعرية فإن القاضي عياض يسرد السند بل الأسانيد التي وصلته عنها مدونة الإمام سحنون ومن هذه الأسانيد سندا الإمام الأصيلى وابن عتاب من شيوخ القاضي عياض رضي الله عنهم.

وبما أنه لا يسمح الوقت بعرض مجموع أو جل مواضيع الكتاب للمقارنة او الدراسة أو حتى السرد المجرد فقد وقع الاختيار على موضوع واحد يتعلق بالعقود وخصوصا العقود الفاسدة كما سماها القاضي عياض رضي الله عنه وذلك لشدة ارتباط هذا الموضوع بالواقع اليومي لكل الناس وفي كل الأزمان محاولا ربط نظرات أمامنا القاضي عياض في هذا الموضوع بالذات بما ألت إليه مجهودات رجال الفقه في عصرنا الحاضر. مع إمكان استخلاص ما يمكن استخلاصه في هذا الموضوع.

3 ـ العقود الفاسدة في كتاب التنبيهات :

هكذا عنون القاضي عياض لمجموعة من صور العقود الفاسدة في معاملات البيع وذكر بعد ذلك صورا عديدة يتحقق فيها فساد عقد البيع.

ولدى سردنا لتلك الصور لا يسع المراجع إلا أن يبدى دهشة الإعجاب للأسلوب الواضح والسلس الذي يسرد به القاضي عياض الصور الفقهية والقانونية لمجموعة العقود الفاسدة في البيوعات ناهيك عن شموليتها وكثرتها وجامعيتها ومانعيتها.

ونظرا لغزارة هذا الفصل وحده وخصوبة محتوياته فلم أشأ أن أخرج عنه إلى غيره من فصول الكتاب مكتفيا بسرد عبارات مؤلفه ثم محاولة بحثها ومقارنتها مع أعمال من هذا القبيل ثبتت في المراجع القانونية المعاصرة أو خلت منها.

يقول القاضي عياض رضي الله عنـــه :

كتاب البيوع الفاسدة : الفساد في البيع يكون لعلل كثيرة. ولمسائله وصوره ألقاب وأسماء معروفة ويجمعها ستة أنواع خمسة مما يفسد في نفسه والسادس ما يفسد مما يلحقه من غيره.

فالأول ما كان قمارا، أو خطرا، أو يشمل على بيع الغـرر، والأجنـة، والملاقيح، والمضامين، وحبل حبلة، وبيع الحصاة، والمنابذة، والملامسة، والمزابنة،

والمخابرة. والبعير الشارد. والعبد الابق. ما فيه خصومة. والطير في الهوى والحوت في الماء وبيع ما ليس بمملوك. والرطب باليابس وبيع المريض المدنف. والحامل المقرب وبيعتين في بيعة وبيع الغربان. أو بما رضيه من الثمن. وبيع الثوب في جرابه. وتراب العرامين وغوصة غائص وثمن مجهول وبيع الثمار قبل أن تزهى. والزرع قبل يبسه. وإلى أجل غير محدود وبيع العينات بفيض إلى أجل بعيد وأشباه هذا كله مما يكون الغرر بالحيالة بالبيع. أما في نفسه. أو صفته. أو مقداره أو عوضه أو وقت قبضه الخ.

والثاني : الربا بالتفاضل فيما لا يجوز فيه التفاضل وذلك في الطعام المقتات المدخر للعيش غالبا. أرى الذهب والفضة نقدا كان ذلك أو إلى أجل. والتفاضل مع الأجل في الجنس الواحد في جميع الأشياء.

والثالث : الربا بالنسيئة والتأخير كالعين كله وأجناس الطعومات كلها. كانت من جنس واحد أو مختلفة.

الرابع : ما لا يصح بيعه قبل استيفائه وذلك يختص بالطعام فهذه أربعة أصول في البيوع الفاسدة. ثم قال بعد كلام ويلحق بها نوع خامس لا بد منه وهو ما منع بيعه إما لحرمته أو لخبثه وعدم منفعته فحرمته كالحر وأم الولد والمدبر والمعتق إلى أجل والمصحف والمسلم من الكافر على أحد القولين ولخبثه ولعدم منفعته شرعا كالنجاسات والميتات والخمر والدم والأصنام والخنزير والكلب والقرد وآلات الباطل أو عادة كالديدان أو الجعلان.

وما خرج عن هذه الوجوه فهو جائز إلا أن تقترن به قرائن فساد خارجة عن عقده ونفسه وهو النوع السادس.

السادس : وهو أربعة علل علة بوقت لا يجوز فيه البيع كوقت الأذان والصلاة يوم الجمعة وعلة في المتعاقدين كالسفه والصغر والجنون الخ إلا أن العقد موقوف لإجازة من له النظر. وليس بفساد شرعا وعلة شرط قران البيع كالسلف وغيره من الشروط المؤثرة في البيع أو النكاح أو القراض ونحوها. وعلة تعلق حق

لغير البائع بالبيع كبيع التفرقة وبيع مال الغير بغير أمره وبيع الحاضر للبادى والبيع على بيع أخيه وتلقى السلع وكالمرهون.

وقد يصح دخول هذا في باب الغرر إذ عليته منع قبض العين ناجزا أو الغرر في ذلك.

وفي الرهن هل يفك فيصح البيع أو يعجز عن فكه فيبطل عقد آخر أن ينظر إن كان المعاوضات وهي ثلاثة : عقد ومتعاقدان ومعقود به أو عليه وبه. بمعنى أن كل واحد منهما ثمن للآخر وعوض منه وكلاهما معقود به وعليه. فإذا سلم العقد من وقوعه وقت النهى وهو ما تقدم أو من شرط لا يجوز معه مما ذكر أو مرتبة تفسده كما بين وسلم المتعاقدان من علة الحجر أو التعدى على بيع مالا يملكاه وكانا حائزى الأمر وسلم المعقود عليه أو به من الجهالة لحقيقته وأوصافه أو حاله أو وقت قبضه ومن كونه ما لا يصح بيعه لحرمته أو لخبثه أو كونه لا ينتفع به عادة أو شرعا على ما فسرناه أو من تعدى وسلم لمشترى له حسا كالشارد والطائر في الهوى أو شرعا كالمرهون أو شرطا كالمعين يشترط قبضه إلى أجل بعيد بتغير فيه صح البيع وسلم من العلل.

عقد اخــــر : الفساد في البيع يرجع إلى ثلاثة أشياء ربا وغرر وأكل مال بباطل.

هذه جملة تفسير العقد الأول :

عقد آخر : على معنى كلام ابن عبدوس وهو أن البيوعات الفاسدة على وجهين ما يغلب على فسخه، وما لا يغلب على فسخه. وما يغلب على فسخه ما وقع بشرط فإذا رضي مشترطه اسقاطه صح البيع. وما يغلب على فسخه نوعان ما فساده لعقده كبيع وقت صلاة الجمعة، وبيع التفرقة. والمدبر فهذا فات مضى بالثمن. وما فساده في ثمنه فهذا إذا فات يمضى بالقيمة.

عقد آخر : كل عقد جمع من جهتين ما لا يجوز فيه التفاضل ومعهما أو مع أحدهما ما يخالفه في القيمة من جنسه أو غير جنسه فلا يجوز. كمدبر بمدبر أو مد شعير وعبد أودرهم وثوب بدرهم وعبد أو بدرهم وثوب.

أصل في الشروط مع البيع وهي على أربعة أقسام :

1 ـ قسم منها يقتضيه العقد ولو لم يذكر فلا يضر ذكره كشرط أن يقبض المشترى سلعته مكانها ويدفع الثمن مكانه أو على أنه لا يبقى حق للبائع في البيع.

2 ـ ما هو من صالح البيع وأبيح فيه كشرطه الأجل فيما يجوز فيه الأجل أو الرهن أو الحمل أو الاشهاد أو الزام ضمان الغائب فهذا أيضا جائز لازم إذا اشترط.

3 ـ خارج عن هذين القسمين كاشتراط تحجير بعض منافع الملك والتصرف فيه مثل الا يبيع ولا يهب ولا يسافر بالعبد أو اتخاذ الأمة أم ولد أو تعتق إلى أجل وبيع الثنيا أو شرط عقد آخر بخلاف مقصد البيع وجمعه كالقراض مع البيع أو النكاح أو السلف أو الشركة.

فهذه كلها شروط تبطل البيع. واختلف إذا أسقط مسقط الشرط شرطه هل يصح البيع أم يفسخ على كل حال.

4 ـ الرابع من الشروط ما يجتنب ذكره ابتداء فإذا وقع سقط وصح البيع كقوله : إن لم تأتنى بالثمن إلى أجل كذا فلا بيع بيني وبينك وشرط البراءة من الجائحة. انتهى من كلام القاضي عياض.

سقطت على سبيل الإيضاح نبذة فقط من فصل أو باب عقد البيع الفاسدة للتدليل على ثلاث خصائص.

الخاصة الاولى : وتتعلق بالسبك اللفظى للمسائل الفقهية أو القواعد القانونية كما نسميها في الوقت الحاضر. فالقاضي عياض حين يسرد مثلا الصور القانونية للمسألة. وهي في سياقنا هذا إنما تعنى صور مسألة العقود الفاسدة في البيوع إنما يسردها بشكل جد مقسم وفي غاية التفصيل الدقيق وهي جامعة الجزئيات التي يمكن أن تنضوي تحتها مانعة من دخول الجزئيات التي ليست من جنسها.

فهو يعطيك تقسيما قريبا للفهم وفي متناول المراجع أو المتافي لا تحتاج معه إلى أن يتعرض ذهنك بعد ذلك إلى أي تشتيت في حصر كل صورة ترجع إلى هذا القسم أو ذاك.

وهكذا تلاحظ أن السبك اللفظي للقواعد عند القاضي عياض هو نموذج في التبسيط اللفظي في ميدان تبليغ القواعد الفقهية وهو نموذج كذلك في التقسيم إلى صور جامعة مانعة. وعباراته سهلة قريبة للفهم لا تحتاج إلى أى تأمل أو شرح، خصوصا إذا أدركنا أن المصطلحات التي تتضمنها كانت في عهد القاضي عياض معلومة على كل مستويات المثقفين في ذلك العصر.

الخاصة الثانيــــة : وتقابل الخاصة الأولى التي أشرت اليها وهي التي تتعلق بجوهر الصور الفقهية التي يعرض لها القاضي عياض ففي حين يحتفظ دائما ويعتمد على بساطة اللفظ في الأداء يجنح كذلك إلى سبر الاغوار العميقة للمواضع التي يسرها. فهو يسرها ليس بطريقة واحدة وإنما بطرق متعددة توحى للقارىء بأن الموضوع المطروق أصبح محصورا لا يحتمل أن تنخرم قاعدته فتراه مثلا يسرد القاعدة الأولى من قواعد البيع الفاسدة باعتبار أن الفساد إما ناشيء من ذات المبيع نفسه. وأما لما يلحقه من غيره. ثم بعد ذالك يعدد الصور التي تندرج تحت هذه القاعدة.

ثم لا يكتفي بسرد قاعدة واحدة في الموضوع الواحد وإنما يطلق لقلمه العنان راجعا إلى نفس الموضوع ولكن بتقسيم مغاير ويسميه عقدا آخر.

وفي الحقيقة يمكن أن نلاحظ ونستنتج أن القاضي عياضا وإن كان ينسب بعض هذه القواعد إلى من سبقه من الفقهاء كابن عبدوس وغيره بخصوص هذا الباب الذي نحن بصدده غير أننا لا ندرى إذا كان هؤلاء الأقدمون الذين سبقوه توصلوا إلى وضع مثل هذه القواعد في إطارها الذي سرده القاضي عياض.

والذي يظهر من اسلوبه حين يقول :

عقد آخر على معنى كلام ابن عبدوس إلى آخر هذه القاعدة الخ...

أنه تمعن في كلام ابن عبدوس في هذا الموضوع واستخرج قاعدته الذي سطرها ونحن وإن لم نطلع على كلام ابن عبدوس بنصه حتى يمكننا أن نلم بالموضوع وإلى أي مدى تأثر وأثر بتحقيقات هذا الأخير إلا أنه من مقارنة موضوع عقود البيوع الفاسدة كما سرده القاضي في كتاب التنبيهات وبين نفس الموضوع كما سرد في المدونة الكبرى يتضح أن النسق العياضى هو نسق خاص به ولم يسبق اليه. والله أعلم.

ذلك أن نسق المدونة التي بين أيدينا لا يخرج عن كونه في شكل جزئيات أو نوازل فقهية تسر في شكل سوال يلقى على الإمام ابن القاسم فيجيب عنه بما سمع من إمامه مالك رضي الله عنه أو برايه هو فيما لم يسمع فيه يشا من الإمام ولكنه يقيسه على ما سمعه.

وهذا النسق في السرد لم يكن تطور إلى منهاج القاضي عياض في التنبيهات الذي يتسم بسرد قواعد كلية جامعة مانعة متنوعة الأوجه والصور ومنهاج عياض هذا في الفقه لا يختلف عنه في الحديث حيث اعتبر الباحثون أن نسقه في كتب الحديث وخصوصا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

(5) - جاء صورة حديثة غير مسبوقة من قبل فكان بذلك القاضي عياض سباقا إلى بناء الهيكل الشامخ في الفقه المالكي الذي أصبح منارا يهتدى به فيما بعد وهو ما يمكن تسميته بالخاصة الثالثة في هذا البحث.

الخاصة الثالثة : العمل على اكتمال البناء الفقهي بالكامل كما سلف ذكره ونظرا للتكامل العجيب في شخصية القاضي عياض وكونه نادر زمانه فهو محدث ومؤرخ وأديب عارف بأسرار اللغة العربية وفقيه مجتهد طويل الباع لذلك كان لابدع أن تأتي أعماله في ميدان الفقه والاستنباط كما حفظها لنا كتاب التنبيهات في صورة تشهد على فضل هذا الرجل الفذ في تشييد صرح الفقه

---

5) الدكتور محمد الكتاني - مجلة المناهل - العدد 19 سنة 1980.

المالكي على صورة أجل ما تكون هذه الصورة فتحريراته لقواعد الفقه هي التي استمرت منذ زمانه إلى تاريخنا هذا ولم نتمكن نحن بكل أسف حتى من الحفاظ على المستوى الذي وصل اليه والحرص على عدم النزول دون المستوى الذي خلفه لنا القاضي عياض.

فمراجعنا الفقهية في الوقت الحاضر تعتمد بالأسف على نظريات فقهاء أجانب كالفقهاء الفرنسيين أو الالمان وتنقل عنهم قواعد ونظريات تتسم بالعصور وعدم التركيز والإحاطة في حين لو كنا على صلة بما خلفه لنا القاضي عياض واضرابه لكنا في مستوى أكمل وأشمل.

ويكفي للدلالة على هذا أن المجموعة المدنية المغربية (العقود والإلتزامات المغربية) الراجعة لسنة 1913 خالية من الترتيب والتنسيق والشمولية التي تحلى بها كتاب التنبيهات وبالأخص في باب العقود أو البيوع حيث لا نلاحظ مثل هذا التصنيف والترتيب والتحليل الذي يأخذ الفقه بنظرة تاريخية خاضعة لتأثير الزمان والمكان. وهو ما أهله جزاه الله خيرا ليكون قدوة حسنة ومثالا يحتذى.

رحلات عياض

الأُستاذ : حيرت منصور

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلات عياض

مقدمة :

الترحال من شيم ذوي الطموح، من الرجال الذين عرفهم التاريخ، وكان لهم كبير التأثير في مجتمعاتهم، وبليغ الأثر في أوطانهم وشعوبهم، وذلك لأنهم إما أن يرحلوا عن بلدهم طلبا لمزيد من العلم، وأملا في الالتقاء بالأفذاذ من العلماء، وإما فرارا من ضيم جائر، والتجاء إلى موطن فيه الاطمئنان والأمان، وإما رجاء نيل قسط من الراحة والاستجمام، يعود للنفس بعده نشاطها، وللجسم صحته وحيويته.

قال (ص) : «سافروا تصحوا وتغنموا».

وقال الإمام الشافعي (تـ 204 هـ) :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه — وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
فالأسد لولا فراق الغاب ما تنصت — والسهم لولا فراق القوس لم يصب

ومن الأقوال المأثورة : «الحركة ولود والسكون عاقر».

وقد استرعى انتباهي - وأنا استعرض حياة القاضي عياض - أن تنقلاته خارج بلدته سبتة لم تكن تنقلات عشوائية غير هادفة. بل كانت كل رحلاته من أجل تحقيق هدف معين، لذلك أحببت أن اتناول بشيء من التفصيل، وحسب ما يسمح به المقام، أهم الرحلات التي قام بها عياض خارج سبتة، ولأن ابين اسبابها وأهدافها ونتائجها.

ويمكن تقسيم الرحلات التي قام بها عياض خارج بلدته سبتة من حيث الغرض منها إلى ثلاثة أنواع :

1) الرحلات الدراسية

2) الرحلات الوظيفية

3) الرحلات السياسية

أولا : الرحلات الدراسية :

رحلة عياض الأولى إلى الأندلس

بدايتها : خرج القاضي عياض من سبتة متوجها إلى الأندلس يوم الثلاثاء منتصف جمادي الأولى سنة 507 هـ فوصل إلى قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الثانية سنة 507 هـ وبذلك يكون قد استغرق في طريقه حوالي 15 يوما.

وبما أن عياضا لم يكتب سيرته الذاتية بنفسه فإننا لا نجد في المراجع التي ترجمت له أي معلومات عن المدة التي قضاها في الطريق إلى قرطبة.

نهايتها : رجع أبو الفضل عياض من رحلته حيث دخل سبتة ليلة السبت 7 جمادى الثانية سنة 508 وبذلك يكون قد قضى حوالي سنة كاملة في الديار الأندلسية.

الاهتمام بها : نظرا للمكانة السامية التي كان عياض يحتلها في بلده، فقد كانت رحلته محط اهتمام بالغ من طرف رجال الدولة المرابطية. وخير دليل على ذلك أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كتب إلى قاضي الجماعة بقرطبة ابن حمدين رسالة يوصيه فيها بعياض خيرا، وأن يمد إليه يد المساعدة قصد تحقيق الأهداف التي توخاها من زيارته للأندلس، ومما جاء في كتابه : «وفلان ـ يعني عياض ـ أعزه الله بتقواه وأعانه على ما نواه، ممن له في العلم حظ وافر، ووجه سافر، وعنده دواوين اقفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال، وقصد تلك الحضرة ليقيم أود متونها ويعاني رمد عيونها، وله إلينا مائة مرعية أوجبت الإشادة بذكره والاعتناء بأمره وله عندنا مكانة حفية تقتضي مخاطبتك بخبره، وانهاضك

إلى قضاء وطره، وأنت إن شاء الله تسدد عمله وتقرب أمله وتصل أسباب العون له إن شاء الله».

قلائد العقيان ص : 111)

أهدافها : كان من عادة العلماء في عصر القاضي عياض، أن يشدوا الرحال إلى من هو أعلم منهم قصد الاستفادة من حلقاتهم الدراسية، والتأكيد من صحة المتون المنسوبة إليهم، يعرضون مالديهم من نسخ على الأصول التي يحتفظ بها أصحابها عندهم، وأكبر دليل على ذلك ما نقله صاحب أزهار الرياض عن ابن خاتمة قال : «ووجد - يعني القاضي عياض - الراحلين إليه - يعني أبا علي الصدفي - قد نفدت نفقات بعضهم، ومنهم من ابتدأ كتابا لم يتمه، فأخذ أكثرهم في الرجوع إلى مواطنهم وتربض بعضهم» (أزهار الرياض ج 3. ص : 8).

وكان من بين اهداف القاضي عياض :

أ) التأكد من سلامة المنهج النقلي ومن كماله.

وقصد أبي الفضل عياض الى هذا الهدف واضح في عنايته البالغة بالتوسع في الرواية والقراءة، فنراه يقرأ كتبا جديدة لم يقرأها ببلده، وبمقابلة كتبه بالأصول الصحيحة والبحث عن أصول العلماء الخطية المسندة (المناهل عدد 19 ص : 22).

ب) تصحيح منهج التفكير وإقامة أسسه على قواعد ثابتة فلم يكن غــرض عياض الأساسي من رحلته أن يرى وجوه الشيوخ وإنما كان يعني - بعد أن سلم له المنهج النقلي - أن يقابل أفكارهم فيزنها بما تعلمه في بلده من أفكار (المناهل عدد 19 ص : 22).

إن هدف الرحلة كان واضحا جليا قبل أن يسافر القاضي عياض، ليس بالنسبة له وحده بل كذلك بالنسبة لمن عاشره من علماء وولاة، فقد جاء في كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى ابن حمدين، وهو يتحدث عن عياض : «وعنده دواوين أقفال، لم تفتح لها على الشيوخ أقفال. وقصد تلك الحضرة ليقيم أود متونها ويعاني رمد عيونها».

نتائجـهـا : 1) زار القاضي عياض خلال هذه الرحلة قرطبة ومرسية التي وصل إليها يوم الثلاثاء 3 صفر سنة 508 هـ وقد اشار ابن خاتمة إلى أنه زار المرية أيضا (أزهار الرياض ج 3 ص : 10).

2) اتصل بكبار شيوخ الأندلس، ومنهم : ابن عتاب المتوفى سنة 520 هـ وكان آخر الشيوخ الأكابر علو إسناد وسعة رواية، وكانت الرحلة في زمانه إليه، واعتماد أصحاب الحديث عليه، وقد كتب للقاضي عياض بخط يده إجازة قال فيها : «ولما رأيت ما هو عليه الفقيه أبو الفضل المذكور، خصه الله من الفضل والخير والديانة والعلم والفهم، وأخذه من كل العلوم بأوفر نصيب، أجزت له جميع ما رويته (التعريف ص : 107).

- **أبو محمد بن حمدين التغلبي :** قاضي الجماعة بقرطبة (تـ 508 هـ) الذي قال في حقه ابن خلكان : «ناهيك من رجل كثير الرعي لأهل المعارف، مؤمن بره إلى ظل وارف.. أقام وأقعد، وأدنى وأبعد، وأنحس وأسعد، فتقلصت به الظلال وفاءت وحسنت به الأيام وساءت».

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي القرطبي المشهور **بابن الحاج** (تـ 529 هـ) الذي كان من جلة الفقهاء، وكبار العلماء، معدودا في المحدثين والأدباء، بصيرا بالفتيا، رأسا في الشورى» (الصلة 2 : 550 هـ).

- **أبو علي الصدفي :** (توفي 514 هـ) وكان عالما بالحديث وطرقه، عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته، بصيرا بالمعدلين منهم والمجرحين.. وكان حافظا لمصنفات الحديث قائما عليها، ذاكرا لمتونها وأسانيدها ورواتها، وكتب منها صحيح البخاري في سفر، وصحيح مسلم في سفر.

ذهب عياض للقاء أبي علي الصدفي في مرسية إلا أن هذا الأخير كان مختفيا عن الأنظار بسبب توليه القضاء كرها. وعندما علم أبو محمد بن منصور قاضي الجماعة بمراكش باختفائه وبعدم تمكن عياض من ملاقاته، بعث بكتاب يعفي بموجبه أبا علي الصدفي من منصب القضاء، كما أرسل كتابا إلى عياض

يخبره بذلك، وحينئذ ظهر الشيخ الجليل الصدفي، مما سمح لعياض بالاتصال به حيث (سمع عليه الصحيحين والمؤتلف والمختلف، ومشتبه النسبة، لعبد الغني (تـ 409 هـ) والشهاب للقضاعي (تـ 454 هـ) وغير ذلك، وكتب عنه فوائد كثيرة، وعارض بأصوله وأجاز له جميع رواياته) (أزهار الرياض ج 3، ص : 9).

نظرة أعلام الأندلس إلى عياض : ورغم أن عياضا كان يقصد من رحلته الاستزادة من العلم والاتصال بالشيوخ الكبار، بصفته لا زال طالب علم في بداية الطريق، فقد كان محط الاحترام والتقدير من طرف علماء الأندلس، الذين استقبلوه بحفاوة بالغة، حيثما حل وارتحل في شرق البلاد وغربها، فقد حز في نفس أبي علي الصدفي أثناء اختفائه ألا يتمكن عياض من اللقاء به، وكان يتحين الفرص لإيجاد السبيل للقائه، فقد قال له بعد أن اجتمع به : «لولا أن الله يسر خروجي بلطفه لكنت عزمت أن اشعرك بموضع، يقع عليه الاختيار من بلاد الأندلس، لا يؤبه لكوني فيه، ترحل إليه، وأخرج مختفيا إليه بأصولي، فتجد ما ترغب، لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك واخفاق رغبتك» (التعريف ص : 8).

وكان القاضي ابن حمدين اثناء رحلته إليه يقول له : «وحقي يا أبا الفضل إن كنت تركت بالمغرب مثلك».

وقال له الفقيه أبو محمد بن أبي جعفر : «ما وصل إلينا من المغرب أنبل من عياض».

كما قال أبو الحسن بن سراج عندما اراد أن يرحل لزيارة بعض الأشياخ : «لهو أحوج إليك منك إليه».

غادر عياض قرطبة عائدا إلى سبتة بعد سنة مليئة بالبحث والتنقيب والدرس والتحصيل وبمقابلات ومقارنات ومجادلات خرج منها عزيز الجانب، عالي الهمة، تاركا وراءه في الأندلس أثرا حميدا، وصيتا ذائعا، وذكرا خالدا، وألسنة تلهج باسمه، ونفوسا تتحسر لفراقه، وقد عبر عن هذا الفراق بالأبيات التالية :

أقول وقد جد ارتحالي لمطيتي ... وزفت على وشك الفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي ... وصارت هواء من فؤادي ترائبي

ولم تبق إلا وقفة يستحثها وداعي للأحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلى وسقى رياها بالعهاد الصوائب
وحيى زمانا بينهم قد ألفته طليق المحيا مستلان الجوانب
إخواننا بالله فيها تذكروا معاهد جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم كأني في أهلي وبين أقاربي

إلا أن أهل بلده بدورهم كانوا ينتظرونه بشوق كبير. ويحمدون الله على عودته إليهم، سالما غانما. فأقبلوا عليه، يرشفون من رحيقه العذب، وينهلون من معينه الصافي، ويستضيئون بنوره الساطع، ويستشيرونه في كل ما ينزل بهم من نوازل. فتولى القضاء فيهم، فكان محمود السيرة، عادلا لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرضى عن القسطاس المستقيم بديلا.

الرحلات الوظيفية

1) رحلة عياض الثانية إلى الأندلس : لم تكن هذه الرحلة من اختيار أبي الفضل وإنما تقرر ترحيله إلى الأندلس ليتولى القضاء بغرناطة، حيث وصل إليه كتاب بذلك في فاتح صفر الخير سنة 531 هـ. فاستجاب عياض للأمر الموجه إليه، فرحل إلى غرناطة، واستقبله أهلها استقبالا رائعا، يليق بمكانته العلمية السامية، وما عرف به من دماثة الأخلاق، وحميد الصفات، قال ابن القصير : «لما ورد علينا القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه وبرزوا تبريزا ما رأيت لأمير مؤمر مثله» (أزهار الرياض ج 3 ص : 11).

وقد اشار ابن القصير إلى أن وصول عياض إلى غرناطة كان سنة 530 هـ وهذا مخالف لما ذكره أبو عبد الله محمد بن عياض في «التعريف» من أن ذلك كان سنة 531 هـ وهو التاريخ المعول عليه لأن غير واحد ذكره، ومنهم صاحب الإحاطة. أما ما ذكره ابن القصير فهو منفرد به وربما يكون النباهي قد اعتمد

عليه عندما قال في كتابه : (قضاة الأندلس) : «ومن القضاة بغرناطة في حدود 530 هـ عياض بن موسى ولي قضاء غرناطة فصار يفصل بين الناس بما عهد فيه من عدل واسقامة وتجرد، مما جعل الناس يزدادون محبة له واحتراما.

وزيادة على وظيفة القضاء التي كان يشغلها، فقد كان يقصده طلاب المعرفة ليتزودوا من علمه الغزير، ويتفيأوا بظلاله الوارفة.

لقد جاء عياض إلى الأندلس في رحلته الأولى شابا في بداية العقد الرابع من عمره، ليأخذ من شيوخها العظام، أما الآن فقد عاد إليها وهو في منتصف العقد السادس، كهلا ذا باع طويل في ميدان المعرفة، يقصده الناس طلبا لعلمه، والتماسا لرأيه ومشورته، قال ابن القصير : «ولما استقر عندنا كان مثل التمرة : كلما ليكت زادت حلاوة» (أزهار الرياض ج : 3 ص : 12)، ثم عزل أبو الفضل عن قضاء غرناطة وذلك في رمضان سنة 532 هـ وقد كان تاشفين بن علي والي غرناطة، هو الذي سعى في عزله وذلك بسبب عدله وصرامته في الحق، وزجره لأصحاب الوالي عن الجور والباطل، هذا هو سبب العزل الذي ذكره ابن عياض في التعريف إلا أن الدكتور محمد بن شريفة يظهر أنه شك في صحة هذا السبب فقال : «يبدو أن ما كتبه ولد القاضي عياض لا يخلو من غرض، أما المصادر التاريخية فهي - فيما رأيت - مجمعة على الأطناب، في مدح تاشفين والتنويه بعدله واستقامته واتباعه لأمور الشريعة». (التعريف ص : 11 حاشية : 55).

ومع ذلك فإنني لا استبعد أن يرتكب تاشفين أو اصحابه مخالفات تستدعي من القاضي عياض الوقوف في وجوههم، باعتباره قاضيا لا يخاف في الله لومة لائم، كما تصفه بذلك المصادر المترجمة له.

أ - فإذا علمنا أن تاشفين في هذه الحقبة كان يخوض حربا ضروسا ضد النصارى في الأندلس، وأنه - كقائد عسكري - قد يرى في مثل هذه الظروف أن الغاية تبرر الوسيلة فهو يرى في القاضي عياض المراقب المتشدد، الذي لا يحيد عن العدل مهما كانت الظروف ولهذا علمنا أيضا أن تاشفين جاز من الأندلس إلى المغرب سنة 532 هـ وأنه ربما خاف من صرامة عياض على خلفه، إذا علمنا كل

ذلك لم نستبعد أن يسعى تاشفين إلى صرف أبي الفضل عن القضاء في نفس السنة التي عبر فيها هو إلى المغرب.

ب ـ أما فيما يتعلق بعدل تاشفين واستقامته واتباعه لأمور الشريعة، فيكفي أن أنقل بعضا من أعماله عن كتاب (الاستقصا) لنرى أن تاشفين كان يميل إلى الشدة والحلو أيضا.

ـ (في سنة 531 هـ دخل الأمير تاشفين مدينة كركي بالسيف، فلم يبق بها بشرا).

ـ (وفي سنة 532 هـ جاز الأمير تاشفين من الأندلس إلى المغرب بعد أن غزا مدينة اشكوينة ففتحها عنوة، وحمل من سبيها إلى العدوة ستة آلاف سبية). (الاستقصا ج : 2 ص : 69)

وبفصل القاضي عياض عن وظيفته، تكون رحلته الثانية قد انتهت عاد بعدها إلى سبتة التي تولى فيها القضاء مرة أخرى سنة 539 هـ.

2) رحلته إلى مدينة داي :

من خلال الاطلاع على المصادر التي تترجم للقاضي عياض، نجد أنه قد رحل إلى مدينة داي، وهي المدينة المعروفة الآن بمدينة بني ملال، إذ لا زالت هناك عين في بني ملال تدعى عين داي، وقد كان ماء العين يجري بجدول يسمى وادي داي، إلا أن هذه المصادر تختلف في نوعية وطبيعة هذه الرحلة وكذا في تاريخها.

فهناك من يرى أن رحلة القاضي عياض إلى مدينة داي، لم تكن سوى مجرد مرور منها إلى مراكش، وأن ذلك كان سنة 543 هـ وهو التاريخ الذي رحل فيه عياض إلى مراكش.

يقول ابنه أبو عبد الله في (التعريف) عن القصيدة التي نظمها عياض في داي : (وله رضي الله عنه ما قاله ببلد داي عند توجهه لحضرة سيدنا أمير المؤمنين» (التعريف ص : 98).

والذين يرون أن القاضي عياض لم يكن مارا فقط بداي وإنما ولى القضاء بها يختلفون في تاريخ وجوده بها.

يقول صاحب (الاستقصا) والصحيح أنه ولي القضاء بتادلة. ثم دخل مراكش» (الاستقصا ج 2 ص : 114 ـ 115).

ويقول صاحب السعادة الأبدية) : «وبذلك تغير عليه عبد المؤمن فغربه واستقصاه بالبادية من تادلة ثم منها إلى مراكش» (السعادة الأبدية ص : 42).

وإذا علمنا أن أبا عبد الله يذكر في (التعريف) أن أبا الفضل أنهض إلى الحضرة العلية) بتاريخ 25 جمادى الثانية 543 هـ وأنه مر بمكناس ندرك أن تولية القاضي عياض للقضاء بداي حسب (الاستقصا) و (مفتاح السعادة) كان في حدود (543 ـ 544) غير أننا نقرأ في (أزهار الرياض) ما يلي : «ومن نظم الإمام عياض ما أنشده الإمام بن رشيد قال : «أنشدني أبو عبد الله محمد بن مسعود بن الحسن التادلي الفقيه ـ للقاضي عياض ـ رحمه الله. وقالها حين ولي القضاء بمدينة داي ببلاد تادلا سنة 541 هـ».

ثم ذكر القصيدة وهي :

أقمرية الأدواح بالله طارحي ... أخا شجن بالنوح أو بغناء
فقد أرقتني من هديلك رنة ... نهيج من برحى ومن برحاء
لعلك مثلي يا حمام فإنني ... وخرق بعيد الخافقين قواء
تصفق فيها الرياح لواقع ... كما ضعضعتني زفرة الصعداء
يذكرني سح المياه بأرضها ... دموعا أريقت يوم بنت ورائي
ويعجبني في سهلها وحزونها ... خمائل أشجار ترف رواء
لعل الذي كان التفرق حكمه ... سيجمع منا الشمل بعد ثنائي

فمن خلال مقدمة هذه القصيدة يتبين أن القاضي عياضا كان يمارس القضاء بداي سنة 541 هـ. وبما أن ابنه أبا عبد الله أشار في التعريف إلى أن أباه خرج من سبتة سنة 543 هـ قاصدا مراكش فهذا يعني أن أبا الفضل بعد أن تولى القضاء في داي مدة رجع إلى سبتة ثم بعد ذلك رحل إلى مراكش.

ولم أجد ـ فيما اطلعت عليه من مراجع ـ أي معلومات عن الفترة التي قضاها عياض في داي إلا القصيدة السالفة الذكر التي يمكن أن نستشف منها أن عياضا مكث بداي مدة طويلة لدرجة أنه احس أثناءها بالغربة وبالحنين إلى سبتة، وهذا يتنافى مع القول بأنه مر فقط من داي في طريقه إلى مراكش.

الــرحــلات الــسـيـاسـيـة

1) رحلته إلى سلا :

قام عياض بهذه الرحلة السياسية ـ إن صح هذا التعبير ـ سنة 540 هـ فعندما قتل تاشفين بن علي بوهران وسقطت تلمسان حاصر عبد المومن كلا من مدينة فاس، ومدينة سبتة، إلا أنه فشل في دخول سبتة نظرا للدفاع المستميت الذي أبداه أهلها، وعندما سقطت مدينة فاس أمام جيش عبد المومن وسمع أهل سبتة ما حل بها من دمار، وتقتيل، وتشريد، فكروا في مبايعة عبد المومن حفاظا على أنفسهم ومدينتهم من الهلاك، فقرروا إرسال وفد من أعيان المدينة، يلقون الأمير الموحدي، وهو في طريقه من فاس إلى مراكش.

وصل الوفد الذي كان يتقدمه القاضي عياض إلى سلا حيث ضربت لعبد المؤمن خيمة على شاطئ أبي رقراق، وعلى مقربة من قصر ابن عشرة، يستقبل فيها القبائل التي كانت تتوارد عليه لتقديم الولاء والطاعة، فاستقبل عبد المؤمن أبا الفضل بما يليق به من حفاوة وترحاب، مبديا ابتهاجه العظيم ببيعة أهل سبتة إياه وانضمامهم إليه، وقد عاد عياض من هذه الرحلة وقد حقق الهدف الذي من أجله شد الرحال إلى سلا، وهو إبعاد شبح الحرب والفتنة عن مدينته وأهلها.

2) رحلته إلى الجزيرة الخضراء :

ثارت سبتة على عبد المؤمن الموحدي عدة مرات، إذ كلما لاحظ أهل سبتة كثرة الفتن داخل البلاد، ووجود معارضة قوية للموحدين أعلنوا ولاءهم للمرابطين، وتمردهم على الموحدين لأن المرابطين ـ في نظرهم ـ لهم الحق في الإمامة بالأصالة، فعندما سمع أهل سبتة بثورة ابن هود، قاموا بقتل عامل الموحدين على

سبتة ومن معه، وأشعلوا النار في الحامية الموحدية، وتتحدث كتب التاريخ، عن كون عياض، كان يقود هذا التمرد، وأنه قام برحلة إلى الجزيرة الخضراء، كان يهدف من ورائها إلى لقاء ابن غانية، الذي كان لا يزال متمسكا بالولاء للمرابطين. وفعلا فقد ابحر عياض إلى ابن غانية، والتقى به وبايعه، وطلب منه أن يرسل معه واليا على سبتة، ثم عاد عياض من رحلته ومعه يحيى بن أبي بكر الصحراوي عاملا على سبتة من قبل ابن غانية.

3) رحلته إلى مــراكـــش :

إن آخر رحلة قام بها عياض هي رحلته إلى مراكش، وذلك بأمر من عبد المومن بن علي بعد أن تبين له أن بقاء عياض بين أهله في سبتة يشكل خطرا كبيرا على نظام الموحدين لأن أهل سبتة، وربما بتوجيه من عياض، نقضوا بيعتهم للأمير غير ما مرة، خاصة إذا علمنا أن ابن غانية لا يزال في ذلك الوقت خارجا عن ولاء الموحدين مما جعل إمكانية ربط الاتصال بينه وبين أهل سبتة قائما إذ سبق لعياض - كما اسلفنا - أن عبر إلى ابن غانية بعد ثورة سبتة على الموحدين ورجع بوال من قبله على المدينة.

ولم يطل المقام بعياض في مراكش، حيث رحل رحلته الأبدية التي لا رجوع منها وذلك سنة 544 هـ.

لقد كانت أول رحلة لعياض، هي التي قام بها إلى الأندلس، وهو في عنفوان شبابه يملأ قلبه طموح كبير، وآمال عراض، وينظر إلى المستقبل نظرة ملؤها التفاؤل واليقين بغد مشرق. كانت رحلة فتحت له أبواب الشهرة والمجد، وأظهرته علما من أعلام الفكر، ونابغة من نوابغ العصر. ثم ختم عياض حياته برحلته إلى مراكش وهو شيخ قد وهن عظمه واشتعل رأسه شيبا وهي رحلة أقبل عليها عياض مرغما وشعور اليأس يملأ نفسه، والخوف مما تأتي به الأيام يسيطر على كيانه، لقد كانت حياته حافلة بالأعمال العظيمة، والتنقلات الكثيرة الهادفة والمواقف الحرجة، حياة افتتحت برحلة الشمال، واختتمت برحلة الجنوب.

مــــراجــــع الــــبــــحــــث

1) التعريف بالقاضي عياض ـ لولده أبي عبد الله ـ تحقيق الدكتور محمد بن شريفة
2) أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري ج 3 .1 4
3) النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص : 87.
4) وفيات الأعيان لابن خلكان ج 3 ص : 483.
5) المعجب ـ لعبد الواحد المراكشي ص : 331.
6) قضاة الأندلس للنباهي ص : 101.
7) الديباج المذهب لابن فرحون ص : 168.
8) السعادة الأبدية لمحمد الفتحي المراكشي ص : 38
9) قلائد العقيان للفتح بن خاقان ص : 221.
10) الصلة لأبي القاسم خلف بن بشكوال ج : 2 ص : 429.
11) المعجم لابن الابار ص 425.
12) العبر لابن خلدون ج : 6 ص : 458.
13) شذرات الذهب لابن العماد ج 4 ص : 138.
14) الإحاطة لابن الخطيب ج 2 ص : 223.
15) مقدمة ترتيب المدارك ابن تاويت ج 1.
16) المورد ـ المجلد الثامن العدد الثاني.
17) المناهل ـ العدد 19.
18) بغية الملتمس للضبي ص : 437،
19) تذكرة الحفاظ للذهبي ج 4 ص 1304.
20) فهرس الفهارس عبد الحي الكتاني ج 2. ص 183.
21) النجوم الزاهرة ـ للاتابكي ـ ج 5. ص : 285.

عياض من خلال حياته الطلابية
ومحنته السياسية

الأُستاذ : أحمد بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

عياض من خلال حياته الطلابية ومحنته السياسية

يعدّ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض نموذجا للمسلم الصالح ومثالا للعربي الصميم، والعالم الفاضل، والقاضي العادل، وهو يعتبر أيضا مفخرة أمته ومأثرة وطنه، وزين عشيرته.

ثم هو فوق هذا وذلك عالم من علماء الإسلام كبير، وشيخ من شيوخ العلم المغاربة جليل، وجهبذ من جهابذة المحدثين في اعتبار المغاربة والمشارقة على السواء، وفطحل من فطاحل السنة النبوية الغراء، وهو في الفقه علم من أعلام المالكية المشار إليهم بالبنان، وهو لغوى ضليع، وأديب اقتدر أن يمتلك البراعة في النظم والنثر، وأن يأخذ بحظ وافر من الإجادة فيهما معا.

ذلك هو عياض بما كان عليه من كرم محتد، ونبالة خلق، ورجاحة عقل، وغزارة علم، يشهد له بكل ذلك عارفوه من شيوخ وتلاميذ وأصحاب، ويذكره به مؤرخوه ومترجموه ويخبر عنه به السابقون اللاحقين، ويصدق فيه المتأخرون الأولين، ويشتهر به عند الخاصة والعامة، فيقع الإجماع عليه عند الاعلام والإغفال، فكأنما كان أبو عبادة البحتري يعنيه بقوله :

وذوو الفضل مجمعون على فضلك ما بين سيد ومسود

عرف العالمون فضلك بالعلم وقل الجهال بالتقليد

وعياض بفضله وعلمه جدير بأن تعقد له مثل هذه الندوة. تعرف به تعريفا يشيد بفضله وينوه بعلائه.

كيف ابتدأ عياض حياته الطلابية :

خرج عياض إلى الوجود، ومعه استعدادات عقلية صالحة. فيها ذاكرة محصلة حافظة. وذكاء لماح ثاقب. وفكر رزين حصيف. في سجية سليمة نقية كانت أساس سجاياه الكريمة. إلى ملكات طيبة أخر. وكان معه نهم لا يشبع من العلم، وشغف عظيم بالعرفان. وأتيح له أن يكون مسقط رأسه مدينة سبتة التي كانت مركزا ثقافيا ممتازا على عهده. يلتقي فيها حملة العلم ورجال الفكر المقيمون والمارون من غرب إلى شرق ومن شرق إلى غرب. فتهيأ له بذلك أن يترعرع في مناخ علمي. ساعد ملكاته القوية أن تشتد وتتقوى. ومكنه أن يصبح ذلك العالم الكبير الذي ذهبت شهرته في الآفاق وطار صيته في الأرجاء. ويغدو علما من الأعلام الذين تفخر بهم الأوطان.

ابتدأ عياض حياته العلمية طالبا ناجحا. عرف فيه أشياخه الجد والاجتهاد. وجودة الفهم. الحريص على الاستفادة والتحصيل. فأولوه عنايتهم الكبيرة. واهتموا بإفادته وتربيته. فما أوشك أن يبلغ الثلاثين حتى اشتهر أمره كعالم واعظ وذاع خبره كفقيه ومحدث. ومؤرخ. وعالم عربية سيكون من شأنه ما يكون.

والذي يعرف تراثه الثقافي. ومخلفه العلمي. وتركته العرفانية التي جهد فيها الجهد كله. وأنصب نفسه فيها نصبا يوقن أن فراسة أولياء أمره وأشياخه فيه تحققت بعد اجتهاده.

كانت التربية الإسلامية تولي التربية الروحية كامل عنايتها وتجعل لها في منهاجها مكانتها اللائقة بها. فكان تعليم القرآن الكريم مما تهتم به في الدرجة الأولى. فما يكاد الطفل المسلم يدخل في طور العقل والتمييز حتى يأخذوه بحفظ كتاب الله عز وجل. واستظهاره في الكتاب الذي كان معدا لذلك.

وكان المغرب الأقصى أحرص الأقطار الإسلامية، وأشدهم عناية بهذا الأمر، وأكثرهم جدا فيه.

وكما هي عادة المغاربة في التربية والتعليم، وكما جرى عليه شأنهم في البداية بتحفيظ القرآن، فإن أبا الفضل عياضا دخل الكتاب ليحفظ كتاب الله ويعيه، ولقد كان نجباء العلماء يفرغون من حفظه قبل سن العاشرة كما حكى عن العديد منهم، فوجد من بينهم من انتهى من حفظه في تمام السابعة كالذي أخبروا به عن الحكيم بن سيناء ومنهم من أتم حفظه في الثامنة كالجلال السيوطي ... الخ ومن المظنون بمترجمنا أن يكون وعي القرآن في صدره وهو دون العاشرة لما كان يتمتع به من حافظة قوية الإمساك، ولم تصلنا الأخبار عنه وهو في الكتاب، ولم يبلغنا شيء من أخباره وهو في هذا الطور من أطوار حياته، فظننا ظنا ما يمكن أن يكون بناء على قرائن الأحوال.

وغاية ما في الأمر أن مترجميه أخبروا عنه بعد هذا الطور أنه قرأ القرآن بروايات مختلفة، وكان شيخه في القراءات المقرىء الكبير الشيخ عبد الله بن ادريس ابن سهل المتوفى سنة 515 هـ، كما أخذ قراءة حمزة عن الشيخ عبد الله بن محمد النفزي المتوفى سنة 538 هـ وجد عياض في تعلم العربية فدرس أمهات كتبها وجيد متونها على أشياخ نحارير، وتحققها عن علمائها المتقين، وكان فيما درسه من كتبها : إيضاح الفارسي وجمل الزجاجي، وشرحه لابن فضال، ومقتضب المبرد، والكافي للنحاس، والواضع للزبيدي، وفيما قرأه من كتب العربية، فصيح ثعلب، وأمالي القالي، وأدب الكاتب للقتبي، وكامل المبرد.

وقد كانت هذه الكتب من جملة ما يتخرج به الطالب في علوم اللسان العربي آنذاك ولا شك أن القاضي عياضا قرأ العديد من أمثال هذه الكتب، والزم الغفير من أشباهها واهتبل عياض بالفقه الذي كان عمدة الثقافة الدينية على عهده، والذي كان رجاله من أهل الحل والعقد والمشورة عند أمراء الملثمين فعل منه ونهل.

ومن الطبيعي أن حياة فاضلة حياة الفقهاء في الدولة المرابطية. لا بد أن تولد في النفوس تنافسا. وتطلعا إلى المستقبل.

يدفع إلى السمعة الطيبة. والعمل الحسن. ويحث على انتزاع الشهرة الخالدة. والصيت الذائع. ولا غرابة في هذا. فقد ورد في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم قال :

«من يريد الله به خيرا يفقهه في الدين» - البخاري كتاب العلم - وقد كانت مدونة سحنون احدى الأمهات التي درسها عياض دراسة تحرير وإتقان. وناظر عليها إمام الأشياخ. ولقد أمعن عياض في الفقه امعانا جعله علما من أعلام المذهب المالكي. وشيخا من أشياخه الكبار. ويخبر كتابه - ترتيب المدارك - عن إحاطته الواسعة بالفقه المالكي وتبحره فيه. تلك الدراسة التي يعتبر فيها الترتيب من أوسع الكتب في طبقات المالكية ومن أكثرها استيعابا بالتراجم من اقتـــــدوا بمالك. وتمذهبوا بمذهبه. ومن أشدها منهجية وتدقيقا في إيراد الأخبار. ووصف الأحوال مع التصون عن ذكر مالا ينبغي والتنزه عن سرد مالا يليق.

واعتنى بأصول الفقه. وتتلمذ فيها على جلة الأشياخ عرف منهم قاضي سبتة عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم اللخمي المتوفى سنة 458 هـ. والفقيه محمد بن داود بن عطية القلعي. ويدل جدل عياض المنبث في طائفة من كتبه وفتاويه وترجيحاته على تمكنه من علم الأصول وثبات قدمه فيه.

ويشهد نضاله عن عقائد أهل السنة ودبه عن آرائهم على سعة علمه بالملل والنحل وإطلاعه على الأقاويل الإعتقادية. والآراء النحلية. كما يدل على علمه بأساليب الجدل. وقوة عارضته فيه. ولا يكون هذا وذلك منه إلا عن علم بالأمر ونظر طويل فيه.

وتخبرنا المراجع أن عياضا صاحب المتكلم البارع عبد الغالب بن يوسف السالمي المتوفى عام 516 وقتا مديدا أيام مقامه بسبتة. وتنبئنا أن منهاج أبي الوليد الباجي كان واحدا من الكتب الجدلية التي اهتم عياض بقرائتها.

ويقف بنا الكلام هنا عند عياض المحدث لنخبر عن شأنه في علم الحديث الذي كان واحدا من أعلامه.

وطودا شامخا من أطواده. ونظرة واحدة في كتابه - الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. الذي يعتبر من أجل الكتب في علوم الحديث وأقومها. ومن أدق المؤلفات في طرق النقل والرواية تكفي في صحة ما ذكر.

لقد حرص عياض على أن يعد في رجال الحديث العظام. واجتهد في أن يخدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - مدفوعا الى ذلك بنزوع ديني قوي عنده. ومحبة في نبي الإسلام كانت تغمر قلبه. وتغمر جوانحه. كما أهلته ملكاته الصالحة وخلقه الرصين ليكون محدثا ثبتا. وعالم سبتة ضابطا موثوقا.

لقد درس عياض كتبا أصولا في السنة. وأمهات متعددة في الحديث وعلومه. كان منها : موطا الإمام مالك. والصحيحان للبخاري ومسلم. وبضغ النسائي. وكتاب الضعفاء والمتروكين له. وكتاب الطبقات لمسلم. والمؤتلف والمختلف للدار قطني. ومشكل الحديث لابن فورك. والإكمال لابن ماكولا. وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلام. وغريبه لأبي سليمان الخطابي. ولقي أشياخا جلة في علم السنة كان فيهم أبو علي الصدفي. وابن العربي المعافري واضرابهما من المحدثين.

واستفاد عياض من كتب الحديث التي درسها. كما انتفع بالأشياخ الذين قرأ عليهم فأصبح واحدا من أعلام السنة الذين يشار إليهم بالأيدي. وتعقد عليها الخناصر. واستكمل عياض طلبه للعلم برحلته التي تغرب فيها عن وطنه ثلاثة عشر شهرا. وأقام فيها فترة بقرطبة. وأخرى بمرسية. ولقي جملة من الأشياخ الكبار. كان فيهم : ابن عتاب. وابن حمدين. وابن الحاج. وأبو علي الجياني. وشريح. وابن شبرين. وأبو جعفر بن بشتغير. وأبو القاسم بن الأنقر. وأبو زيد بن منتيل. وأبو عبد الله المحارزي.

والواقع أن أبا الفضل عياضا لم يستهدف من رحلته هذه التزيد من العلم أكثر مما قصد الى توثيق معرفته. والوقوف على المناهج الدراسية التي كان هؤلاء الأعلام يجرون عليها. ويسيرون على سننها.

ولقد كانت رحلة عياض العلمية محط انظار الناس، وهو يعزم الإنطلاق فيها. فوجد من العلماء الذين عرفوه، من رأى فيه أنه يكبر من أن يرحل إلى علماء لا يزيدون عليه علما ومعرفة. ووجد من الأشياخ الذين شد إليهم الرحلة من أجله عن أن يرحل الى عالم كان أخبره، بعزمه على الرحيل إليه.

جاء في التعريف لولده، محمد، ص 106، ما نصه :

« وأخبرني - رحمة الله عليه - (يريد ابن عمه أبا عبد الله الزاهد) أن أبا الحسين ابن سراج قال له - وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ : (لهو أحوج إليك منك إليه) واهتبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين برحلة هذه، فأمر بكتابة وصية في شأنه إلى ابن حمدين قاضيه بقرطبة، جاء فيها :

(وفلان - يعني القاضي عياضا - أعزه الله بتقواه، وأعانه على مانواه، ممن له في العلم حظ وافر، ووجه سافر، وعنده دواوين اغفال، لم تفتح لها على الشيوخ أقفال، وقصد تلك الحضرة ليقيم أود متونها، ويعاني رمد عيونها، وله إلينا ماتة مرعية أوجبت الإشادة بذكره والإعتناء بأمره، وله عندنا مكانة حفية، تقتضي مخاطبتك بخبره وإنهاضك إلى قضاء وطره، وأنت إن شاء الله تسدد عمله، وتقرب أمله، وتصل أسباب العون له إن شاء الله) ا هـ من قلائد العقيان للفتح بن خاقان، 116.

واكترث بالأمر وزيره أبو القاسم بن الجد، فأوصى به إلى ابن حمدين وصية يقول في ثناياها :

(... وممن رأى أن يقتحم نحوك ظهري لجة ومحجة، ويقرن في أم كعبة فضلك بين عمرة وحجة، ويرحل إلى حضرتك المألوفة مهاجرا، ويعتمدها في طلب العلم تاجرا، فلان - يعني القاضي عياضا - وله في الفضل مذاهب يبهرج عندها الذهب، وعنده من النبل ضرائب لا يفارق زندها اللهب، وستقربه فتستغربه، وتخبره فتكبره إن شاء الله)، ا هـ من القلائد، ص : 115.

واستقبله أبو علي الصدفي مكرما له. حفيا به. وكان وقت أن رحل إليه مستخفيا حتى إذا خرج من اختفائه. ولقيه عياض. وسمع عليه. واستفاد منه. قال له يوما وهو يحادثه :

«لولا أن الله يسر خروجي بلطفه. لكنت عزمت أن أشعرك بموضع يقع عليه الاختيار من بلاد الأندلس. لا يؤبه لكوني فيه. ترحل إليه. وأخرج مختفيا بأصولي. فتجد ما ترغب. لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك. وإخفاق رغبتك» ا هـ من التعريف المذكور. ص : 8.

من هذه الجولة السريعة يمكن أن نستنتج - بعد التأمل في بعض مؤلفاته - أن القاضي عياض كانت صلته وثيقة بمذهب الأشعرية. وبكتبهم وقراءته لمؤلفاتهم. وكذلك وصفه للباقلاني وأبي بكر بن فورك في كتابه - ترتيب المدارك - بقوله... من أئمتنا ... دال دلالة واضحة على أنه أشعري المذهب. ومناقشته العميقة لآراء المعتزلة والفرق الاعتقادية الإسلامية على اختلاف مذاهبها : الفلاسفة. والصوفية. والخوارج. تطلعنا على أن الرجل كان ذا معرفة واسعة. وثقافة عالية بالمذاهب الإعتقادية وآراء أصحابها.

قد يجر الحديث - وقديما قيل : «الحديث ذو شجون يجر بعضه بعضا» إلى السرد على ما حيك حول محمد المهدي الموحدي. من أن علماء المغرب في عهد الدولة المرابطية لم تكن لهم معرفة بالجدل والمناظرة. بدعوى أنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا له في مناظرته التي دعاه إليها الأمير المرابطي علي بن يوسف، وأن التجسيم كان غالبا عليهم في الإعتقاد. فجاء ابن تومرت بعقيدة التوحيد. وسمى أتباعه بالموحدين تعريضا لخصومه من رجال الدولة والفقهاء. فنقول : - وبكل إيجاز - لعبة سياسية صنعها محمد المهدي بن تومرت وأذاعها أنصاره لتوطيد نفوذهم السياسي.

والغريب في هذا كله هو أن أبا زيد عبد الرحمان بن خلدون المؤرخ البارع والعالم الفاضل. كان من ضحايا هذه الفكرة حيث أورد في تاريخه : العبر

ج 2 ص 226 ما نصه : (وانطوى هذا الإمام - يعني محمد المهدي بن تومرت - راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم. وشهابا واريا من الدين. وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم. واستحسن طريقهم في الإنتصار للعقائد السلفية والذب عنهم بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة.

وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث. بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل. والأخذ برأيهم فيه. اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت..) اهـ كلام ابن خلدون.

وعمدتنا في هذا السرد ملخصه في النقط التالية :

أولا : إن المدرسة التي أنجبت عياضا كانت على علم تام بالجدل والمناظرة. وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري. وأن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب.

ثانيا : الدراسة التي قام بها عياض لهذه المادة. والاحتجاجات المتكررة في كتابه : الشفاء الجزء 2 ص 277 تحقيق أسامة الرفاعي - بآراء أبي الحسن الأشعري. والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك. وأبي المعالي إمام الحرمين الجويني . حجة تفند هذا الزعم وتبين لنا بوضوح. بأن هذا العلم كان متداولا أيام المرابطين الذين أنكره عليه خصومهم الموحدون.

ثالثا : نحن لا نذهب بعيدا. حتى نكون محتاجين إلى الاستشهاد بالدراسة التي قام بها عياض. والعلماء الذين تلقاها عليهم. وبأيدينا نص المناظرة التي دارت بين يدي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش عندما جهر محمد المهدي بدعوته وكثر انتقاده. للحكام.

ونصها كما رواها ابن خلكان في كتابه : وفيات الأعيان. ج : 6 ص : 49 ط دار الثقافة - بيروت .

(قال الملك علي بن يوسف لعلماء بلده : سلوا هذا الرجل ما يبغي بنا ؟ فانتدب له قاضي المرية ـ واسمه محمد بن أسود.

فقال : ما هذا الذي ينقل عنك من الأقوال في حق الملك العادل الرحيم، المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه ؟ قال ابن تومرت : أماما نقل عني فقد قلته، ولي من ورائه أقوال. وأما قولك، أنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد إلى الحق. فهل بلغك ياقاضي أن الخمرة تباع جهارا، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى... وعدد من ذلك شيئا كثيرا، فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه، وأطرق حياء، ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في الملك لنفسه، ولما رأوا سكوت الملك، وانخداعه لكلامه، لم يتكلم أحد منهم، فقال مالك بن وهيب : ـ وكان مشاركا في جميع العلوم، وله تحقق كثير من أجزاء الفلسفة، وكان كثير الاجتراء على الملك ـ : أيها الملك، إن عندي لنصيحة، إن قبلتها حمدت عاقبتها، وإن تركتها لم تأمن غائلتها، فقال الملك ما هي قال : إني خائف عليك من هذا الرجل، وأرى أنك تعتقله وأصحابه، وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكتفي شره، وإن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك ثم لا ينفعك ذلك) اهـ كلام ابن خلكان.

هكذا نرى شخصية العلماء تقف في وجه من يريد التحدى، ونحن وإن أوردنا هذا الحوار فهو يوقفنا على مشاركة علماء الدولة المرابطية في العلوم الفلسفية وغيرها حتى لا يبقى لمدع أن يقول :

(إن علماء المرابطين كانوا على جهل تام بعلم الجدل والمناظرة)

محنة عياض السياسية :

ترعرع عياض واكتمل على عهد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، وأظل الناس عهد ابنه علي بن يوسف، وقد شد عياض من العلم ما أهله للتلقي من كبار الأشياخ وفحول العلماء، واشتهر عنه آنذاك من الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة ما طرق أسماع الكبار، وقرع آذان المسؤولين حتى إذا عزم عياض الرحلة

عن بلده سبتة. بعد إن استنفد ما عند علمائها إلى البقاع الأندلسية للقاء من بها من الفطاحل والفحول. وكان ذلك بالضبط سنة سبع وخمسمائة. كان رجال دولة الملثمين. قد علموا بقصده فاهتبلوا بالأمر. حتى أن الأمير علي بن يوسف أصدر باسمه كتابا إلى ابن حمد ين قاضي الجماعة بقرطبة يوصي بعياض خيرا. كما مر بنا نص الرسالة آنفا. إذن كانت نباهة عياض قد بلغت مبلغا حرك ذوى الشأن في دولة المرابطين أن يهتموا برحلته العلمية وأن يكترثوا لها ذلك الاكتراث. كأنهم كانوا يصطنعون للمستقبل. ويهيئونه ليكون لهم نصيرا. ولدولتهم ظهيرا ثم مالبثوا أن استقضوه بعد العودة من رحلته الميمونة لبلده سبتة سنة 515 هـ. ثم بغرناطة سنة 530 هـ. ثم بسبتة مرة أخرى سنة 539 هـ. ومارس أبو الفضل عياض القضاء بصرامة تضاهي خشونة المرابطين وتعاطاه بحزم يوازى سياستهم المتزمتة الحادة حتى أنه أقام الحد على أديب كبير الشأن مخشى اللسان وهو الفتح بن خاقان الذى دخل مجلسه وهو سكران. وفي هذه الواقعة التي أخبر عنه ابنه في التعريف. ص : 112 يقول :

ومن نوادر أخباره التي اضطره الشرع إليها إقامته حد الخمر. على الفتح ابن خاقان. وذلك أنه قصد إلى مجلس قضائه مخمرا. فتنسم بعض شهود المجلس منه رائحة الخمر. فأعلم القاضي بذلك. فأمر به. فاستثبت في استنكاره. وحده حدا تاما. وأخبرني بعض أصحابنا قال له : بعث أبوك إلى الفتح بن خاقان. بعد أن أقام عليه الحد. صحبتي ثمانية دنانير. وعمامة. وأخبرني بعض أصحابنا. أنه أخبره بعض أصحاب الفتح بن خاقان. أن الفتح قال له بعد إقامة الحد عليه. عزمت على إسقاط اسم أبي الفضل من كتابي الموسوم : ـ بقلائد العقيان ـ قال . فقلت له : لا تفعل. وهي نصيحتي. فقال لي : وكيف ذلك ؟ قال : فقلت له : قصتك معه من الجائز أن تنسى. وأنت تريد أن تخلدها مؤرخة. فقال لي : وكيف ؟ قلت له : كل من نظر في كتابك. يجدك قد ذكرت من هو مثله ودونه في العلم والصيت. فيسأل عن السبب. فيقال له : فيتوارث العلم بذلك الأصاغر والأكابر. قال : فتبين له ذلك وعلم صحته) من التعريف.

ونحن نستطيع أن نستخلص من هذه القصة ـ إذا افترضنا أنها صحيحة تاريخيا ـ أن عياضا كان شديدا في الحق. وفي إقامته حدود الشريعة : لا يتساهل في ذلك أبدا. ولا تأخذه فيه لومة لائم.

إن منزع عياض في الدين كان منزعا فقهيا عمليا. وأن دخيلته في الاعتقاد كانت دخيلة سنية سلفية. وهو ما كان ليقبل بنظرية الإمام المعصوم الذي لا يغوى ولا يضل. وهو ماكان ليصدق بما يراه الموحدون الذين يريدون أن يقيموا أمرهم. على أساس المهدوية. فمن المنتظر إذن أن يناهض عياض ابن تومرت. وأن يقاوم أتباعه مبديا صفحته في ذلك دون تستر ولا خجل. وحدث ذلك حينما نهض عبد المومن في غزوته الكبرى الطويلة التي استغرقت مدتها سبع سنين. وانتهت بالإستيلاء على المغربين : الأوسط والأقصى. فإذا كان عبد المومن يجوس خلال الديار في غزوته هذه. بلغ به السير إلى سبتة. يريد الاستحواذ عليها فإذا هي تقوم على بكرة أبيها في وجه جيوشه. وتنبذ إليه بزعامة عياض وتدبيره. وفي ثورة عياض هذه على الموحدين وتمرده عليهم. يقول ابن خلدون في تاريخه : ج 6. ص 230 ط بولاق مصر القاهرة 1384 هـ.

(واستمر عبد المومن على حاله. فنازل سبتة. وامتنعت عليه. وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر. وكان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه) اهـ كلام ابن خلدون.

وانتكس أمر الموحدين بعد أن هاج بهم الثوار الذين كان في مقدمتهم الثائر بن هود المعروف بالماسي. فتمردت سبتة مرةأخرى على الموحدين. بعد أن أعطت اليد بعد التمرد الأول. ولم يغب عياض عن هذه الحركة الثانية. ولم يقعد عنها. بل شارك فيها بالطريقة التي حكاها ابن أبي زرع في القرطاس ج 2 ص. 143 فقال :

(وفي خلال هذه الأيام قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة. وكان قيامهم عليهم برأي قاضيهم عياض بن موسى. فقتلوا من بها من الموحدين. وعمالهم وأحرقوهم بالنار. وركب عياض البحر إلى ابن

غانية بالبيعة. وطلب منه واليا. فأرسل معه الصحراوي. فدخلها وأقام بها أياما. فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن إليهم كتبوا إلى الصحراوي وإلى سبتة يستنصرون به. فأتاهم فبايعوه. واجتمعوا عليه. وقاتلوا عبد المومن وهزموه. ثم كانت الكرة عليهم. وهزمهم وقتلهم وسباهم وهرب الصحراوي وراسل عبد المومن يطلب منه الأمان. فأمنه وأتاه. وبايعه وحسنت طاعته. فلما رأى ذلك أهل سبتة سقط في أيديهم. وندموا على صنعهم. وكتبوا بيعتهم إلى عبد المومن. وأتى بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين. فعفى عنهم وعن القاضي عياض. وأمره بسكنى مراكش) اهـ كلام ابن أبي زرع.

وبعد هذا ألقى عياض السلم للموحدين. ورضخ لواقع الأمر. ونزل عند حكمهم. بل أنه استقضوه ببادية تادلة. استرضاء منهم له. وتظاهرا بالثقة فيه. وولى عياض لهم. تقية منه ومجاملة.

وبعد. فهل نرى في سلوك عياض مع الموحدين تأثرا ومستسلما شيئا من التذبذب الذي لا يليق به كعالم ديني عرف بصلابته في الحق وخشونته فيه. والتزامه بالمواقف التي يرى أنها في جانب الصواب. أم أن عياضا تأول في موقفيه معا. وسلك في الحالين مسلكا لكل منها وجه وتبرير ؟

لقد تولى مؤلف الإستقصا الدفاع عن عياض. وبرر موقفه في الحالين تبريرا لعله كان عين ما ارتآه عياض.

إذ.ثار في وجه الموحدين. ونفس ما ارتآه عندما دخل في طاعتهم. فقال في الجزء الثاني من ص : 103 ط دار الكتاب - الدارالبيضاء.

وأعلم أن ما صدر من القاضي عياض - رحمه الله - في جانب الموحدين دليل على أنه كان يرى أن لاحق لهم في الأمر والامامة. وإنما هم متغلبون. وهذا أمر لاخفاء به كما هو واضح.

ولما كانت شوكة عبد المومن لازالت ضعيفة. وتاشفين بن علي أمير الوقت لازال قائم العين. امتنع القاضي عياض - رحمه الله - من مبايعة عبد المومن ودافع

عن سبتة، إذ لا موجب لذلك، لأن بيعة تاشفين في أعناقهم، وهو لا زال حيا، فلا يعدل عن بيعته إلى غيره بلا موجب.

وأما ما غالط به المهدي - رحمه الله - من أن المرابطين مجسمـــة، وأن جهادهم أوجب من جهاد الكفار، فضلا عن أن تكون طاعتهم واجبة سفسطة منه عفا الله عنا وعنه. ولما قتل تاشفين، وفتحت تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المومن بايعه القاضي عياض حينئذ، وقبل صلته، لأن من قويت شوكته وجبت طاعته. ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام المآسي عليه، واجتماع قبائل المغرب على التمسك بدعوته، رجع القاضي عياض بأهل سبتة عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الإمامة بطريق الأصالة، ولم يأخذ بدعوة المآسي، لأنه ثائر أيضا.

هذا مع ما كان ينقل عن المهدي من أنه غلبت نزعة خارجية عليه، وأنه يقول بعصمة الإمام، وذلك بدعة، فتكون امامته وامامة أتباعه مقدوحا - فيها من هذه الحيثية لكن حيث حصل التغلب والإستيلاء وجبت الطاعة.

فالحاصل أن ما فعله القاضي عياض أولا وثانيا وثالثا كله صواب موافق للحكم الشرعي، فهكذا ينبغي أن تفهم أحوال أئمة الدين وأعلام المسلمين، رضي الله عنهم ونفعنا بعلومهم) ا هـ كلام الناصري.

فأما العنف الذي صدر من سكان سبتة إزاء ولاة الموحدين، فإن صاحب الإستقصا يرجح أنه صدر نتيجة للهيجان الذي حركته الفتنة، التي من شأنها أن لا تخضع لناه ولا آمر، وأنه لا دخل للقاضي عياض في التحريض عليه.

يقول صاحب الاستقصا في جـ 2 ص : 103 عن هذا العنف موشكا أن يبرأ عياض من تبعته مقاربا أن يبعد عنه المسؤولية فيه :

(وأما القتل والتحريق الذي صدر من أهل سبتة فالظن بالقاضي عياض - رحمه الله - أنه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه، لكن العامة تتسرع إلى مجاوزة الحدود، لا سيما أيام الفتن، وذلك معروف من حالهم والله الموفق) ا هـ كلام الناصري.

ويسكت ابنه محمد في كتابه. التعريف عن هذه الأحداث فلا يقول فيها شيئا بل أنه يخبر عن أبيه أنه كان من المسارعين إلى الإستجابة لدعوة الموحدين. والمبادرين إلى الدخول في طاعتهم فيقول في ص : 12 من التعريف :

(... ثم بادر - يعنى أباه عياضا - بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدين. والإعتصام بحبلهم المتين. فأقره أمير المومنين أدام الله نصره على ما كان عليه. وصرف أمر بلده إليه. وخاطبه بالتنويه. وحظى عنده وشكر بداره وسبقه. ثم رحل إليه فاجتمع به بمدينة سلا عند توجهه دام تأييده إلى محاصرة مراكش فأوسع نزله وأجزل صلته. ولقي منه برا تاما. وإكراما عاما. وانصرف على أحسن حال) اهـ كلام صاحب التعريف.

وإذ وسعه أن يسكت عن مشاركة أبيه في أحداث سبتة. فإنه لم يسعه أن يسكت عنها جملة. ولا أن يصمت عما وقع فيها من الثورة على الموحدين. فاهتم حين تحدث عنها بأن يبرأ أباه منها. وأن يخبر أنه لم يرض بما كان كراهة الفتنة. كما حدث عن أبيه أنه كان شفيعا في الثوار عند الموحدين الذي عثوا بعد أن ملكوا. ورحموا بعد أن قدروا فقال في ص : 12.

(.. إلى أن ثارت الفتنة وقام البلد. والله يعلم أن ذلك كان من غير رضى منه. كراهة في الفتنة الدنيوية والآخروية. وبقي يدبر أمره إلى أن دخل الصحراوي البلد. وهو حينئذ بخارج الجزيرة الخضراء. زائرا ومدافعا ليحمي بن غانية. ثم انصرف وأقام على تولي الأحكام بين الناس. وهو مع ذلك يسمع حديث رسول الله. ويدرس الفقه. واشتد الحصار بالبلد.

فسعى في استعطاف الموحدين - أدام الله أمرهم - وتلطف في استلطافهم. والاعتذار عن الكائنة إلى أن عفوا عما كان. وأخذوا بالصفح والغفران) اهـ كلام ابنه محمد.

والذي يظهر أن ابنه محمدا أراد أن يسدل الستار على ما كان من أبيه في أحداث سبتة. وما كان له أن يفعل غير ذلك إلا أن يريد بنفسه وبأهله السوء.

فأمسك أن يخبر عن تمرد أبيه على أمراء الموحدين تقية ومداراة أن يكن تقربا وزلفى.

وتشير الأيدي إلى الموحدين تتهمهم بدم عياض. وتومىء الأصابع إلى أنهم دبروا قتله في خفاء، ومعارضة عياض للموحدين بتلك الشدة التي بلغت المواجهة بحد السيف، مدعاة لهم أن يقضوا على حياته متى أمكنتهم الفرصة منه. ومعاودة التمرد عليهم سبب يجرئهم على سفك دمه حين تواتيهم الظروف. وما علمنا في طلاب الحكم إلا أنهم لا يغفرون زلات الذين يقفون في طريقهم. وما عهدنا فيهم إلا أنهم يفتكون بمن يحاول الحيلولة بينهم وبين ما يبتغون. وقليل منهم من كان يعفو. ونادر فيهم من يتغمد ويصفح ويستصلح المخالفين عليه.

ويمكن أن يكون رجال الموحدين قد سلكوا هذا المسلك مع عياض. وإن لم يرضوا عنه رضى لاسخط معه. وقد يكون كلام ابنه أبي عبد الله محمد في التعريف ص : 12 ـ 13 ـ مما يستأنس به في هذا الصدد. وذلك حين يقول :

«ثم نهض إلى الحضرة العالية ـ أدام الله حراستها ـ في يوم الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة صحبة الشيخ أبي يحيى ابن الجبر. وتحت بره إلى أن وصل ظاهر مكناسة. وبه الشيخ المعظم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتي فلقي منه من البر ما استغربه كل من شاهده. واستبعده كل من سمعه. وأصحبه كتبا إلى الحضرة. فوصلها والحال متغيرة عليه. فأقام بها تحت رقبة. إلى أن اجتمع بسيدنا أمير المومنين دام نصره. وكان منه ـ رحمة الله عليه ـ من الكلام المنظوم والمنثور ما استعطفه به. حتى رق له. وعفا عنه على أبروجه وأجمله. وأمره بلزوم مجلسه.

وأظهر تقريبه ومحبته. وكان يسأله فيستحسن جوابه. فأقام على تلك الحال. ومنزلته تزداد عنده كل يوم سموا ورفعة» هـ كلام ابنه. بل أن ابن خلدون أخبر في تاريخه ج 2 ص : 230 أنهم ولوه خطة القضاء في بلاد تادلة. وما كانوا ليسندوا إليه ولاية القضاء ـ إن صح ذلك ـ إلا استصلاحا له. واستدراجا لامالته إليهم.

ولكن سوء الظنة بما يتعلق بموت عياض ظل يتردد في النفوس. ويحوك في الصدور. ويجول في الخواطر. والناس مولعون باتهام الساسة. مسارعون إلى تصديق ما يرمون به من اتهامات. وفي صدد اتهام الموحدين بدم عياض. ودم شيخه ابن العربي المعافري. قبلت تلك العبارة المسجعة التي تقرفهم. والتي أوردها النباهي في المرقبة العليا. ص : 95 فقال :

(... فجرت عليهما محن - يريد عياضا وابن العربي - وأصابتهما فتن - يعني في ظل الموحدين - ومات كل واحد منهما مغربا عن أوطانه. محمولا عليه من سلطانه. وقال بعضهم : سم ابن العربي. وخنق اليحصبي) اهـ كلام النباهي.

ونحن لا نبرىء الموحدين من دم عياض ولا نلصق بهم تهمة قتله. لأن حجتنا في اتهامهم أو تبرئتهم غير قائمة.

وأعرج هنا على بعض ما قيل في موت عياض من الأخبار الواهية التي أتى بها بعض مترجميه الذين لم يتحروا التحقيق. فذكروا في تاريخ موته وأسبابه مالا يعول عليه. كالذي حكاه عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الكبرى ج 1 ص : 15 من أن هلاك عياض كان بدعاء أبي حامد الغزالي. وأن ذلك حدث يوم دعا عليه بسبب افتائه بإحراق الاحياء. وفحوى هذا الخبر تعطي أن عياضا هلك قبل سنة خمس وخمسمائة بهذه الدعوة المستجابة. والخبر هنا يكذب نفسه بنفسه. لأن عياضا لم يمت إلا في العقد الخامس من القرن السادس.

وثمة خبر آخر في موت عياض يشبه الخبر السالف. ويضاهيه في الوهي والوهن وعدم الصدق. وذلك ما قيل من أن محمد ابن تومرت أمر بقتله بدعوى أنه يهودي في السر. ويقول هذا الخبر :

إن أهل بلده كانوا أشهادا في ذلك بآية أنه كان لا يخرج في أيام السبوت.

وبالمناسبة تجدر الإشارة إلى هذا الدعاء الذي زعمه بيادق الموحدين في القاضي عياضا - المسلم الحقيقي - اتهم بأنه يهودي. بدعوى أنه كان لا يخرج يوم السبت - لانشغاله بتصنيف كتابه - الشفا.

وهذا رغاء لا يمكن أن يصدر حتى من بسطاء الناس. فضلا أن تصدق به الطبقة الواعية في الدولة الموحدية. ولا علينا سواء كان هذا الإدعاء صحيحا تاريخيا. أو مختلقا للنيل من أعراض الناس. والنقص من علو مكانتهم - على نحو ما يفعله الجاهلون - فإنه يصور لنا لونا من ألوان المحن والمصائب التي تعرض لها عياض عند ما أصبح في قبضة الموحدين. وكان يجمل بهؤلاء أن يترفعوا عن مثل هذه السفاسف و يبعدوها عن رجل شهد له أهل عصره بسموه وتقدسيه. وأجمعت الجماعة المسلمة - التي لا تتفق على ضلال - على تعظيمه وتكريمه.

وعلى كل حال. فسنة الله في خلقه. أن الضعيف - على أي شكل كان - يذهب أمام القوة كائنة ما كانت.

والشاعر العربي كان حكيما إذ يقول :

تعوي الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الضاري

وكيفما كان الأمر فإن ابن تومرت قضى نحبه سنة أربع وعشرين وخمسمائة أي قبل أن يموت عياض بعشرين سنة. والخبر وارد في إظهار الكمال لتراجم سبعة رجال للفقيه السيد عباس التعارجي. ص : 96 ط فاس.

ومما قيل في أسباب موت عياض مما يشبه أن يكون مينا وكذبا ما زعموا من أنه مات مسموما من قبل يهودي.

ولكي نفتح آذاننا لسماع هذا الخبر ينبغي أن يصل إلينا أن اليهود كان لهم بالمغرب في هذه الفترة دور خطير فيما يجري من الأحداث. وأن يكون على هذا العهد بالمغرب منظمة سرية تعمل على اغتيال الشخصيات الإسلامية. ذات الشأن الخطير عليهم. وما كان لليهودي على هذا العهد شأن يذكر ولا كان لهم دور يبلغون به هذه المبالغ.

ونحن نربأ برجال الموحدين عن أن يدسوا يهوديا يعمل بوحيهم على اتيان هذا الفعل الدنيء والخطير، لأنهم يملكون من القوة والسطوة والجاه والسلطان فوق أن يستعينوا في ذلك بواحد من اليهود ؛ فليدخل هذا الخبر أيضا في جملة الأكاذيب التي راجت في موت عياض وأسبابه.

ومهما خفيت الأسباب عنا في موت عياض - بعد التحري في استقصاء الجزئيات - فأغلب الظن أنه قضى نحبه على يد الموحدين الذين - هم أنفسهم - عملوا على كتمانها وإخفائها. لأن شخصية أبي الفضل عياض. وما كان يتمتع به من سمعة طيبة وأخلاق حسنة. عند الخاص والعام. لا يمكن أن يذهب دمه هدرا دون أن يحدث ذلك قلقا واضطرابا في نفوس الناس. خصوصا وهم - أي الموحدون - يريدون - من غير شك - هدنتهم وهدوءهم حتى لا يصدر منهم ما يقلق راحتهم.

وعمدتنا في هذا أن غربة القاضي عياض من بلده سبتة إلى مراكش كانت سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة هجرية. وأن وفاته سنة أربع وأربعين وخمسمائة كما هو مسطر في كتب التراجم إذن فيكون - رحمه الله - قضى سنة واحدة في منفاه. ثم التحق بالرفيق الأعلى.

وهذه السنة الأخيرة قضى معظمها في بادية تادلة كما أشرنا إلى ذلك عند كلام ابن خلدون.

فعلى هذا ما هو الوقت الذي استرجع فيه القاضي عياض مكانته. وازداد رفعة وسموا عند عبد المومن الموحدي. وصار في صحبته. ومن بين خاصته كما جاء في خبر ابنه محمد الذي يقول في كتابه : التعريف. ص : 13.

(وخرج صحبته - يريد عبد المومن إذ خرج يغزو دكالة - فمرض بعد مسير مرحلة. فأذن له في الرجوع. فرجع إلى الحضرة. فأقام بها مريضا نحوا من ثمانية أيام. ثم مات - عفا الله عنه - ليلة الجمعة - نصف الليل - التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة. ودفن بها في باب إيلان داخل السور قدس الله روحه ونور ضريحه).

رحم الله عياضا. لقد عاش كريما.
ومات كريما. والسلام عليه يوم ولد.
ويوم يموت. ويوم يبعث حيا.

القاضي عياض المجدد

الأستاذ : محمد الهريم

بسم الله الرحمن الرحيم

القاضي عياض المجدد

الحمد لله الذي بعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها وحفظها بأساطين الحفاظ وجهابذة الأئمة. يحوطون هذه الملة بتدعيم أركانها. وتبيين أحكامها.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي يحمل علمه من كل خلف عدوله. ينفون عنه تحريف الغالين. وانتحال المبطلين وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بنصرة دينه فكانوا من الفائزين.

أما بعد. فإن من المواضيع التي تناولها أبو العباس المقري في كتابه (أزهار الرياض) في أخبار القاضي عياض ـ استطرادا ـ موضوع : التجديد والمجددين. وقد أثار هذا العنوان انتباهي بمناسبة ندوة القاضي عياض. الأمر الذي جعلني أفكر في أن اقتبس منه عنوانا لكلمة أساهم بها في هذه الندوة. خصوصا وأن كتاب أزهار الرياض. من المراجع المهمة عن تاريخ وحياة القاضي عياض. فالعلاقة بذلك قائمة بين عنوان التجديد والمجددين وأخبار القاضي عياض.

وعنوان التجديد والمجددين يرتبط أيضا ارتباطا متينا بمفهوم هذه الندوة العلمية وبمغزاها وملتمساتها إذ هي نفسها تجديد.

لذلك اخترت لعنوان هذه الكلمة المتواضعة :

القاضي عياض المجدد

إن موضوع التجديد والمجددين طرقه العلماء عند شرحهم للحديث الذي رواه أبو داوود والحاكم والبيهقي كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورفعه : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» قال الحافظ زين الدين العراقي وغيره : سنده صحيح.

فصار موضوع التجديد والمجددين من المباحث العلمية التي يتناولها العلماء على مر الأيام والعصور بالمنظوم والمنثور. فشرحوا معنى التجديد وتكلموا على المجددين في كل عصر. وبينوا الشروط والأوصاف التي يجب أن تتوفر فيمن يتشرف بهذا اللقب.

والإمام جلال الدين السيوطي ممن تناول هذا الموضوع في منظومته التي سماها تحفة المجتهدين بأسماء المجددين أوردها آخر كتابه المسمى (بالتنبئة لمن يبعثه الله على رأس كل مائة). ونصها المنقول هنا مأخوذ من كتاب (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض).

قال الإمام جلال الدين السيوطي :

الحمد لله العظيم المنة ... المانح الفضل لأهل السنة
ثم الصلاة والسلام نلتمس ... على نبي دينه لا يندرس
لقد أتى في خبر مشتهر ... رواه كل حافظ معتبر
بأنه في رأس كل مائة ... يبعث ربنا لهذى الأمة
منا عليها عالما يجدد ... دين الهدى لأنه مجتهد
فكان عند المائة الأولى عمر ... خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعي كان عند الثانية ... لما له من العلوم السارية
وابن شريح ثالث الأئمة ... والأشعري عده من أمه
والباقلاني رابع أو سهل أو ... الأسفرايني خلافا قد حكوا

والخامس الحبر هو الغزالي	وعده ما فيه من جدال
والسادس الفخر الإمام الرازي	والرافعي مثله يوازي
والسابع الراقي إلى المراقي	ابن دقيق العيد باتفاق
والثامن الحبر هو البلقيني	أو حافظ الأنام زين الدين
وعد سبط المليق الصوفية	لو وجدت مائته وفية
والشرط في ذلك أن تمضي المائة	وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه	وينصر السنة في كلامه
وأن يكون جامعا لكل فن	وأن يعم علمه أهل الزمن
وأن يكون في حديث قد روي	من أهل بيت المصطفى وهو قوي
وكونه فردا هو المشهور	قد نطق الحديث والجمهور
وهذه تاسعة المئين قد	أتت ولا يخلف ما الهادي وعد
وقد رجوت أني المجدد	فيها ففضل الله ليس يجحد
وآخر المئين فيها يأتي	عيسى نبي الله ذو الآيات
يجدد الدين لهذي الأمة	وفي لصلاة بعضنا قد أمه
مقررا لشرعنا ويحكم	بحكمنا إذ في السماء يعلم
وبعده لم يبق من مجدد	ويرفع القرآن مثل ما بدي
وتكثر الأشرار والاضاعة	من رفعه إلى قيام الساعة
وأحمد الله على ما علما	وما جلا من الخفاء والعمى
مصليا على نبي الرحمة	والآل مع أصحابه المكرمة

في هذه الأرجوزة سطر الجلال السيوطي أسماء المجددين حسب ترتيب القرون من القرن الأول الهجري إلى القرن الثامن. كما أن غيره من العلماء اهتم بهذا الموضوع سواء منهم من تقدم على عصر الإمام السيوطي أو من جاء بعده فتكلموا على المجددين منذ القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر. ونصوا على أوصاف وشروط المجدد. وجعل بعضهم من شروط المجدد أن يكون مجتهدا.

ونقل الزرقاني في شرح المواهب أنه لا يشترط أن يكون المجدد مجتهدا. ومن استقراء لأسماء المجددين نجد أكثرهم مقلدين.

أما الأوصاف والشروط التي يجب أن يتصف بها المجدد فهي وإن ذكرت بمناسبات مع تفصيل فإني أذكرها مجملة اختصارا من التطويل.

فقد نصوا على أنه لا يكون المجدد مجددا إلا إذا كان عالما بالعلوم الدينية، ناصرا للسنة قامعا للبدعة مشهورا مشارا إليه. قد عم علمه أهل الزمن يحيي ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما. كثير التصانيف والفتاوي ينتفع الناس بعلمه وتآليفه.

ونصوا على أن من اتصف بشيء من تلك الأوصاف عند رأس المائة فهو المراد. وأن الأمر في ذلك إنما هو بلغة الظن. كما نص العلماء على أن المجدد يتعدد. فلفظ من في قوله صلى الله عليه وسلم. عامة فهي تقع على الواحد والجمع وتعم الفقهاء وغيرهم فإن انتفاع الأمة يكون أيضا بأولي الأمر وأهل الحديث والقراء والوعاظ. كما أنها تعم علماء كل الأقطار فتعم العلماء المشارقة والمغاربة والأسويين والأفارقة.

وأما التجديد فقد بين العلماء المقصود منه بأنه إحياء للعلوم الإسلامية بالدرس والبحث والتأليف وتمهيدها وتيسيرها وتقريبها وصقلها مما علق بها مما ليس منها. والعمل على تبليغها وبيان أحكامها. وإيجاد الحلول للمشاكل والقضايا التي تعترض الأمة الإسلامية في حياتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ونشر التراث الفقهي وإبراز تفوقه على القوانين الوضعية. ودراسة ما يواجه العالم الإسلامي من مسائل مستجدة وبيان حكم الشريعة منها على هدي الكتاب والسنة. وقمع البدع ومواجهة الأفكار والمبادئ الهدامة بما يجب من الصرامة.

هذه حقيقة التجديد حسبما نص عليه العلماء إنها آية على صلاحية الشريعة الإسلامية للحياة واستجابة أصولها لتجدد الزمن وأقضية الناس.

ومن الأنسب وندوة القاضي عياض معقودة، وهي تدخل في نطاق التجديد. أن استعرض بعض ما سطره العلماء في حق صاحب هذه الندوة، وأوجز ذلك اختصارا من التطويل.

فقد نصوا على أن القاضي عياض، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، حافظا لمذهب الإمام مالك رضي الله عنه، شاعرا مجيدا خطيبا بليغا، وكان له عناية كبيرة بجمع الحديث وتقييده وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء والتفطن والفهم، وكان عميد أولياء الله بالبلاد المغربية ممن أجمع على فضله وعلمه علماء الفقه وأكابر الصوفية، وممن يتبرك بدعائه وكتبه، وكان كثير التخشع في صلاته مديما للتفكير والعبرة قواما للحق لا يخاف في الله لومة لائم، زاهدا ورعا قوي العقيدة محبوبا عند العامة والخاصة، يلبس الملابس الرفيعة ويركب المراكب الحسنة وكانت أوقاته كلها معمورة بكثير من الطاعات ووظائف العبادات، عني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، واجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجازه مائة شيخ، وقال أبو محمد بن أبي جعفر : (ما وصل إلينا من المغرب أنبل من عياض).

وقال العلماء في حقه : (لولا عياض ما ذكر المغرب)، وقالوا أيضا : (لولا الشفا ما ذكر عياض).

وانتهت مدائحهم فيه إلى أن قالوا عنه : إنه رياض، ونصوا على أنه كان كثير التأليف يدل على ذلك كثرة تآليفه، وكتب مع ذلك كتبا كثيرة بيده، وكتبه دالة على ما له عند الله من الكرامة والعناية، فمن تأمل انتفاع المسلمين به شرقا وغربا علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية.

فمن كتبه كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم، أبدع فيه كل الإبداع، حمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقا وغربا.

وكتاب (مشارق الأنوار)، وهو كتاب مفيد جدا في شرح غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وهو (كما قيل : (كتاب لو وزن بالذهب كان قليلا في حقه).

وأنشد بعضهم في ذلك :

مشارق أنوار تبدت بسبتـــــة وذا عجب كون المشارق بالغـــــرب

وكتاب التنبيهات، وكتاب ترتيب المدارك. وغيرها من الكتب التي عم انتفاع المسلمين بها.

فكتب هذا الإمام كلها مبنية على التحقيق معروفة بذلك كما حازت عند أهل العلم تقديمها على غيرها مما هو في نمطها. وبالجملة فإن الله تعالى جعل هذا الإمام جمالا للإسلام وصدرا في أوليائه الأعلام وينبوع المعرفة ومعدن الإفادة ومجدد عصره بما وهبه من الأوصاف الحميدة التي تحلى بها من سبقه ومن جاء بعده من أعلام المجددين.

وبعد. فبهذه الكلمة المتواضعة. أرجو أن أكون قد وفيت حقا من حقوق هذا الإمام المجدد ووفقت فيما رمته من إثارة موضوع التجديد والمجددين. ووافقت الصواب في تحلية هذا الإمام بلقب المجدد فهو أحق بهذا اللقب وبكل تشريف وتمجيد صادعا بذلك في هذا الجمع العام الذي ضم علماء أعلام من أمة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وإذا كان الوقت لم يسمح لي باتمام البحث بذكر المجددين من المالكية وغيرهم وما يتعلق بهذا الموضوع من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر. وبالنص على مراجع ما تقدم فإني سأضيف كل ذلك بحول الله ليكون البحث تاما وجامعا والسلام.

مشارق الأنوار للقاضي عياض
مبحث في التوثيق

للدكتورة : عائشة عبد الرحمان

ـ مـدخـــل

(1) المشارق من عهد القاضي عياض إلى أبي عبد الله الطراز.
(2) المشارق في مخطوطات الرباط والقرويين.
(3) مطالع الأنوار. في مخطوطات القرويين والرباط ومكناس.
(4) ابن الصلاح ومشارق الأنوار. متى وصلت إليه ؟
(5) قضية مشارق أنوار عياض. ومطالع ابن قرقول.

بسم الله الرحمن الرحيم «وسلام على عباده الذين اصطفى»

مشارق الأنوار للقاضي عياض
مبحث في التوثيق

مدخل

تلقيت الدعوة الكريمة لهذه الندوة وأنا في شغل بكتاب (مشارق الأنوار للقاضي عياض) يشدني إليه منذ عرفته.

صحبتي للقاضي عياض متصلة منذ وعيت. فقد كان لي من ذخائر تراثه مدد لكل مرحلة من عمري الطويل : في صباي الغض. كان كتابه (الشفاء) المبارك. يتلى بدارنا في مجالس الذكر. زادا لوجداننا وريا لقلوبنا وأرواحنا. وفي مرحلة الطلب. اتصلت به من قرب في قراءتي على والدي العارف بالله العالم القدوة. رضي الله عنه. صحيح مسلم وما عليه من شرح شيخ الاسلام النووي. العامر بإكمال القاضي عياض. ثم في صحبتي لشيخي الإمام الأستاذ أمين الخولي. نضر الله وجهه. أقرأ عليه فيما جمعه من مصادر ترجمته المحررة للإمام مالك رضي الله عنه. ومنها كان كتاب ترتيب المدارك. في مخطوط منه استعاره الاستاذي من صديقه الحاج بنشقرون. نزيل القاهرة.

وألفت بعد ذلك أن ألقى القاضي عياضا فقيها إماما وحافظا نظارا ومصنفا ومعلما قدوة. فيما أدرس مع أبنائي طلاب الدراسات العليا بالقرويين. من الحديث وعلومه. وما نحقق من ذخائر تراثه.

من هذه الذخائر (مقدمة ابن الصلاح لعلوم الحديث) حيث مرت بي، أثناء تحقيقها، نقول في متنها عن القاضي عياض، وحواش وطرر ثمينة من إكماله والماعه ومشارق أنواره، عمرت بها هوامش المخطوط الذي اعتمدته أصلا للنص المحقق، وأجدت علي في فهم مسائل دقيقة من فقه الحديث، إضافة إلى ما قرأته فيها للجلة من شراح كتاب ابن الصلاح.

والتمست سعة من الوقت فقرأت (مشارق الأنوار) فكأني اهتديت إلى كنز ثمين مضنون به على أهل العلم في هذا الزمان.

وتوثقت صحبتي للقاضي عياض فيه، فكتبت عنه في الموسم الماضي بحثا لمجلة المناهل الغراء، طال حتى شغل منها نحو مائة صفحة، وما استطعت مع ذلك أن أقدم فيه سوى قبس فحسب، من مشارق الأنوار.

اليوم أصل ما انقطع من حديثي عن المشارق، وأنا مرهفة الحس بقربي من القاضي عياض في مثواه، أتمثل طيفه النبيل المهيب بيننا ونحن نحتشد للاحتفال بذكراه، فيأخذني الخشوع إذ أتحدث عن ـ مشارقه في حماه، وإنما أقبس من أنواره وأرفع إليه نجواي :

عياض، لك الخيرات أطلعت للورى مشارق أنوار الهدى بالمغـــــارب
فجد لي بنور من سناك يحوطنـــي فأسرى وحبلي في الدجى فوق غاربي

ماذا عساي أن أقدم إليه، وعنه، في هذا الحفل المشهود، سوى تجردي فيما بقى لي من ثمالة العمر، لخدمة كتابه الجليل، أتقرب بها إلى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وأقضي بها بعض ما علي لأمتي من تكاليف الجهاد في الموقع العلمي، وللقاضي عياض من حق البر والوفاء ؟

واحتشدت لخدمة المشارق بالمدخر من حصاد عمري الطويل في المدرسة الاسلامية، فجمعت جملة من المصادر ومظان المراجع، خطية ومطبوعة، عكفت في

شهور الصيف الماضي على مطالعتها. ودونت منها ما أودعته خزانتي بمصر ريثما أعود إليها. ولم يكن في حسابي أني على موعد من هذا اللقاء الحافل. في مراكش الأصلية العريقة. مثوى الأئمة السبعة الأبرار : عياض وصحبه العلماء الأولياء رضي الله عنهم.

ه ه ه

توثيق كتاب المشارق. كان له بطبيعة الحال. المكانة الأولى من الأهمية والاعتبار. ولست بمستطيعة في هذه العجالة من الوقت. الوفاء بمبحث التوثيق في غيبة أصولي ومدوناتي منها. فضلا عما لا يزال يشغلني من تقصي الوثائق واستكمال المراجعات والمقابلات.

ورأيت مع ذلك. أنني مسئولة عن تقديم ما وقفت عليه في مبحث التوثيق. تنبيها على ملابسات خطيرة حفت بكتاب المشارق ولعلها جارت عليه. وتذكيرا بما نحمل من أمانته الصعبة. وما فرطنا فيه من أمرنا.

ه ه ه

(1) المشارق، من أصل عياض إلى نسخة الطراز

الطبعة الفاسية التي بين أيدينا من كتاب المشارق. ليس فيها ذكر للأصل أو الأصول المشار إليها على هوامش الكتاب. كتبها (مصححه) دون تصريح كذلك. باسم من قام باعداد النص وتصحيحه. بتكليف من السلطان المولى حفيظ. رضي الله عنه.

حسبت أن ذلك مما يمكن الوصول إليه عندما أفرغ لمقابلة المطبوعة على المخطوطات التي في خزائننا من المشارق. ومضيت فيما كنت بسبيله من تقصي ما جاء عن المشارق في كتب القدامى والمحدثين.

ه ه ه

أول من ذكر كتاب (مشارق الأنوار للقاضي عياض) مؤلفه نفسه. بإحالته عليه في كتابه (الإلماع في تقييد الرواية وضبط السماع) في باب التصحيح والتمريض لما يظن به الخطأ في المروى. دون التجاسر على تغييره وإصلاحه. قال :

«ومن وقف على ما رسمناه من ذلك في كتابنا المسمى بمشارق الأنوار على صحاح الآثار. شهد له بصحة ما ادعيناه».

وذلك ما في خطبة المشارق.

وذكره كذلك في إجازة نقلها الشهاب المقرى في (الأزهار 349/4) من نسخة من الشفا بخط العلامة عبد الرحمن ابن القصير. أبي جعفر الأزدي الغرناطي. تلميذ القاضي عياض. عليها إجازة بخط القاضي. لتلميذه أبى محمد عبد المنعم بن أبي بكر يحيى ابن النفيس الحميري. الغرناطي. وأخيه عبد المولى وأبيه يحيى. جميع رواياته ومسموعاته ومجموعاته. وسمى منها : كتاب الشفا. وكتاب ترتيب المدارك. وكتاب بغية الرائد. وكتاب مشارق الأنوار على صحائح الآثار. وكتاب المقاصد الحسان. وكتاب الاعلام.

الاجازة كتبها القاضي عياض في سابع محرم من سنة 532 هـ. وهو وقتئذ بغرناطة. قاضيها فلنكن على ذكر من ذلك ونحن نتتبع مسار كتابه مشارق الانوار الذي أحال عليه في الالماع - وهو من كتبه التي قرئت عليه ورويت عنه - وذكره في ما أجاز من كتبه.

٥ ٥ ٥

بعد وفاته رحمه الله في مراكش سنة 544 هـ. كتب ابنه القاضي أبو عبد الله محمد : (التعريف) بوالده. وفي باب تواليفه رتبها في مجموعات ثلاث :

الأولى لما أكمله وقرئ عليه في حياته. ذكر منها : «الشفا.والاكمال. والتنبيهات. وترتيب المدارك ـ قال : ولم يسمعه ـ والاعلام. والالماع وشرح حديث أم زرع. وكتاب خطبه. ومعجم شيوخ ابن سكرة. والغنية».

الثانية لما تركه في مبيضاته : «كتاب مشارق الأنوار على صحيح الآثار. ستة أجزاء ضخمة. وكتاب نظم البرهان في جزء. ومسألة الأهل المشترط بينهم التزاور. في جزء.

والثالثة : لما لم يكمله. ذكر منها ستة كتب آخرها كتاب «سر السراة في اداب القضاة» قال : «رأيت هذه الترجمة بخطه. ولم أجد من هذا الكتاب شيئا ولا وقفت له على خبر».

فمن الذي أخرج كتاب المشارق من مبيضته التي تركها القاضي عياض في ستة أجزاء ضخمة. كما قدرها ولده ؟

الشهاب المقرى في روضة النسرين من كتابه «الأزهار : 345/4» نقل ما في «التعريف» عن كتاب مشارق الأنوار. وعقب عليه بقوله :

«وهو من أجل الدواوين وأنفعها. ويقال إن القاضي أبا الفضل توفي ولم يخرجها من مبيضاتها. فخرجها بعده الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز».

تتبعت هذه المقولة المرسلة وبصيغة تنم عن الشك أو التوقف ـ فلم أجد في ترجمة أبى عبد الله محمد بن سعيد الطراز الغرناطي بالتكملة (659/2) إشارة إلى مشارق الأنوار أو عمله فيها. غير أني وجدت المؤرخ الثبت الثقة «ابن عبد الملك المراكشي» قال في ترجمة الحافظ أبي عبد الله الطراز. بالذيل والتكملة (210/6) :

«وكان شديد العناية بشأن الرواية كثير الاهتمام بلقاء حملة العلم. ممن أطال الرحلة في طلبه بالأندلس والعدوة. ضابطا لما قيد وروى. ثقة فيما يحدث به. من أبرع الناس خطا وأنبلهم تقييدا. حافظا للحديث عارفا رجاله. ذا حظ صالح من الأدب وعلوم اللسان والتاريخ. فصيحا بليغا. وقد تقدم في رسم أبي إسحاق بن قرقول. ذكر أثره الكريم وعمله النافع في الافادة بتصحيح مشارق الأنوار من مصنفات القاضي أبي الفضل عياض. فراجعه ان شئت».

وشئت أن أراجع ما في رسم ابن قرقول. إراهيم بن يوسف «فأسفت لوقوعه فيما لم يصل إلينا من الذيل والتكملة.

وجاء في ترجمة الطراز بالإحاطة (3 / 41) نقلا من صلة ابن الزبير. بعد الإشادة بعلمه وفضله : «وكان كاتبا نبيلا ثقة فيما روى. عدلا فيمن يرجع إليه فيما قيد وضبط لإتقانه وحذقه. كتب بخطه البارع كثيرا وترك أمهات حديثيه اعتمدها الناس بعده وعولوا عليها وتجرد آخر عمره إلى كتاب المشارق تأليف القاضي أبي الفضل عياض. وكان قد تركه في مبيضته في أنهى درجات النسخ والادماج والإشكال واهمال الحروف... (فجد) حتى استوفى ما نقل منه المؤلف. وجمع عليه أصولا حافلة وأمهات جامعة من الآغربة وكتب اللغة. فتخلص الكتاب على أتم وجه وأحسنه. وكمل من غير أن ينقص منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله».

• • •

الحافظ النبيل الأستاذ أبو عبد الله الطراز الغرناطي مولده باتفاق سنة 585 هـ بغرناطة. وبها توفي. أجزل الله مثوبته. في شوال سنة 645 ه. أي بعد مائة سنة وأكثر. من وفاة القاضي عياض رحمه الله. بمراكش سنة 544 هـ.

فمن أي طريق وصلت إليه مبيضة المشارق ؟

رجعت إلى مدوناتي من تجريد لتراجم تلاميذ القاضي عياض. وفيهم إثنان من شيوخ الطراز :

القاضي أبو محمد ابن الضحاك الغرناطي (606 هـ) ذكر ابن الزبير في شيوخه أبا الفضل عياض بن موسى. وفي الرواة عنه الأستاذ المحدث أبا عبد الله ابن سعيد الطراز. أجاز له إجازة عامة.

- وأبو الحسن الشقوري، علي بن أحمد بن علي بن عيسى القرطبي (536 - 610 هـ) ذكر ابن الزبير في ترجمته، في صلة الصلة : روى عن أبي الفضل عياض وحدث عنه الأستاذ المحدث أبو عبد الله الطراز.

وفيمن جردت من شيوخ الطراز كذلك، عدد غير قليل ممن رووا عن جلة من تلاميذ عياض. يذكر في تراجمهم أنهم صحبوه، ولازموه، ورووا عنه كثيرا من مؤلفاته. لكن دون تعيين لما رووه عنه، إلا فيما ندر.

كما أن من تلاميذ عياض، من صرح في تراجمهم بأنهم صحبوه في غرناطة أو أخذوا عنه بها، دون تصريح بحملهم المشارق.

ورجعت إلى ما بين أيدينا من النزر اليسير من برامج الشيوخ وفهارس المرويات والأسانيد، فوجدت عددا من مصنفات القاضي عياض، ليس المشارق من بينها.

ولفتني وجود مبيضة المشارق بغرناطة، لدى أبي عبد الله الطراز في القرن السابع للهجرة. فهل تركها القاضي عياض هناك عندما صرف عن قضائها ؟ الاحتمال غير مستبعد. يؤنس إليه أنه كتب الإجازة بالمشارق، في المحرم سنة 532. وقتئذ كان بغرناطة قاضيها، وله فيها مجالس سماع حافلة. ثم صرف عن القضاء حين (انفصاله عنها زائرا لأهله، فصرف عن قضائها وهو غير مقيم بها، في شهر رمضان المعظم سنة 532 هـ) كما ذكر ابنه في (التعريف).

وكان ما كان من ابتلائه بالفتنة، ثم استدعائه إلى مراكش، وبها توفي في جمادى الآخرة سنة 544 هـ.

وفي مثل الظروف السياسية والدينية العصيبة لحركة انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين وما امتحن به القاضي عياض فيها، لا يبعد أن يتصدى

بعض صحبه ومريديه لحماية تراثه الجليل من النازلة الجائحة. وبخاصة ما كان منه في مبيضته كمشارق الأنوار.

•••

بعد نحو قرن. تجرد الأستاذ الحافظ أبو عبد الله الطراز. لإخراج الكتاب من مبيضته في غرناطة. على أصح منهج وأنبل مسلك. فرجوت أن أجد في المخطوطات المغربية من مشارق الأنوار. ما هو من أصل الطراز.

(2) المشارق في مخطوطات الرباط والقرويين :

بدأت بالاطلاع على مخطوطات الخزانة العامة بالرباط. ومنها ما هو في تجزئة اثنين. كالمطبوعة. وما هو في تجزئة ثلاثة. وأربعة. وستة. كتجزئة المبيضة. في أصل عياض. أطلت النظر في مخطوطين منها :

التي في تجزئة ستة. قطعة في 135 صفحة. مرقمة حديثا من 1 ـ 135 رقمها (97 ق).

وهي في انتهي درجات البلى. ما كانت لتقرأ لولا عملية ترميم تماسكت بها.

الخط أندلسي قديم دقيق. من خط القرن السابع تقديرا. مداداها صمغي باهت. ميزت فيه عناوين الأبواب والقصول بقلم مغلظ. والمواد بمداد أحمر باهت. المتن من أولها إلى صفحة 97 تتمة للجزء الخامس. يبدأ بحرف العين والواو وما يليه من (فصل الخلاف والوهم). وينتهى بآخر حرف السين والياء. وما بعده من فصل الخلاف والوهم. ويقابل في المطبوعة. من صفحة 126 ـ 233 من المجلد الثاني.

في صفحة 98 من المخطوط. ما نصه :

يبتدىء الجزء السادس من كتاب مشارق الأنوار على صحائح الآثار. مما يشكل من الأمهات الثلاث في المتون والأسانيد. وإيضاح ذلك بالتبيين وتجويد

التقييد. تأليف عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. فيه تقييد البقاع والأسماء والكنى من حرف السين. وحرف الشين والهاء والواو والياء. والأبواب الثلاثة التي بها التمام والختام تجاهها على اليسار من أعلى الصفحة. طرة بخط النسخة. طمست بعض كلماتها وبقي هذا المقروء منها :

«... أبي عبد الله بن .. عن الأستاذ المحدث المقيد (أبى عبد الله) بن سعيد الأنصاري، وأجازها... من ذرية الفقيه المالكي.. عيسى.. عن مؤلف (الكتاب) الإمام القاضي... المسند. فريد عصره وخاتمة علماء مصره. أبي الفضل ابن عياض رضي الله عنه... اياه جميع رواياته وتواليفه. ومن أصل أبى عبد الله بن سعيد نقلت كتابي بحضرة مسودة المؤلف التي اعتمدها ابن سعيد المذكور. وغيره وخبطوا في كثير منها عشواء وساروا في الظلام. وإن كان لهم فضل التقدم والمعول في طائفة من ... مشكلها عليهم. وسترى في كتابي هذا كثيرا مما أخلوا به وأغفلوه. وتحيروا فيه فصحفوه وغيره. وتقف عليه ظاهرا للعيان مبينا بغاية التبيان. بحسب ما هدى الله إليه وأعان عليه. قاله محمد بن الجمالي رحم الله أبويه». اهـ.

هذه إذن قطعة نادرة من مخطوط للمشارق. لروا عن الأستاذ المحدث المقيد أبى عبد الله ابن سعيد الأنصاري بسنده إلى مؤلفه الإمام القاضي أبى الفضل عياض. نقلها محمد بن الجمالي من أصل الأستاذ. بحضور مسودة المؤلف التي اعتمدها في تجزئة ستة.

أبو عبد الله ابن سعيد الأنصاري نعرفه. هو الطراز. فمن «غيره» الذين خبطوا في كثير منها عشواء. ممن تعقبهم محمد بن الجمالي. فيما أخلوا به وأغفلوه. وتحيروا فيه وصحفوه ؟

حواشيه على نسخته. مرموز لها بحروف (ز. ع. ف. ق...) وقد ضاع أول المخطوط حيث يبين صاحبه عادة. مصطلحه في الرموز على هوامش النسخة.

وحتى الآن، لم أقف على ترجمة لمحمد بن الجمالي، فقنعت مؤقتا بتلمذته لأبي عبد الله الطراز، وظفرنا بهذه القطعة النفيسة المنقولة من أصل الأستاذ بحضور مبيضة القاضي عياض، وما نبهت عليه طرته من وجود نسخ أخرى من المشارق، مشوبة بتصحيف وتحريف، وتغيير وخطأ، وذلك ما ظهرت الحاجة إليه فيما تابعت من مبحث التوثيق.

المخطوط الآخر الذي أطلت الوقوف عنده، (رقم 390 ق) كتب أعلاه فوق العنوان، بغير خطه :

ولأبي عمرو ابن الصلاح في المشارق :

مشارق الأنوار

البيت يليه العنوان في سطرين :

السفر الأول من كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار تأليف الفقيه .... رضي الله عنه.

ضرب على اسم المؤلف، مقروءا : القاضي أبي الفضل عياض، وكتب على يساره، بخط باهت مغاير لخط العنوان : تخريج ابن قرقول.

وتحته طرة بغير خط النسخة، نصها :

«الحمد لله، الذي يظهر من هذا التأليف أنه مطالع الأنوار لأبي إسحاق ابن قرقول، وهو الذي فهمه الذي ضرب على اسم القاضي عياض فوقه، وكتب الآخر يسرته، تخريج ابن قرقول، قال السخاوي : والظاهر أنه منتزع من المشارق لشيخه، مع التوقف في كونه نسبه لنفسه، وابن قرقول هو تلميذ القاضي عياض مؤلف المشارق» أهـ.

وقفت حيال هذه الطرة. يساورني إحساس بالقلق والحيرة. قبل أن أتابع النظر في المخطوط. الخط أندلسي. من خط القرن التاسع تقريبا. وعليه من توقيعات التملك.

«الحمد لله. ثم لشيخ الإسلام سيدي محمد بن ناصر. بالشراء الصحيح من ورثة المذكور. وبه كتب عبد الله أحمد بن محمد الشتوكي».

وعلى آخر صفحة. بعد المتن. تقييد نصه :

تم السفر الأول بحمد الله وعونه. يتلوه في التالي إن شاء الله. قوله الزاي مع الجيم ثم تقييد سماع. يقرأ منه آخره :

بلغت (مقابلة) بالأصل.

وألقيت نظرة على خطبة المخطوط وفصول منه. فتحيرت في أمره مع الطرة المقيدة عليه. ثم أرجأت فحصه ريثما أطلع على (مطالع الأنوار) التي بدأت. من ثم. توجه إلى قضية لم تكن لي على بال.

• • •

في خزانة القرويين. أطلعت على ست مخطوطات من مشارق الأنوار. كلها من تجزئة اثنين. والموجود منها الأسفار الثواني من المشارق. دون الأول. وتقابل المجلد الثاني من المطبوعة. بدءا وانتهاء. فيما عدا المخطوط رقم (223) فمبتور من آخره. عنيت به بوجه خاص. لما عليه من طرر هامة تتعلق بالتوثيق.

خطه مغربي قديم نسبيا. ويبدوا أنه منقول من أصل نسخة الفقيه الفاسي الأديب الشاعر «أبى الحسن بن محمد الشامي الخزرجي» صاحب الشهاب المقري. نقل في مقدمته للأزهار. وفي الجزء الثالث منها. قصائد مما أنشده من شعره. وفي الجزء الرابع أبيات له في مشارق الأنوار. مما أنشدها أبا العباس المقري بفاس - وقد أرخ وفاة صاحبه الفقيه أبي الحسن. سنة 1030 في نفح الطيب (6 / 59).

أبيات أبي الحسن الشامي في المشارق. مدونة على الصفحة الأولى من مخطوط القرويين. ومعها مما في (أزهار الرياض) بيت ابن الصلاح. وبيت ابن رشيد. عليه.

وهذه صورة ما على الصفحة الأولى من المخطوط. بعد العنوان :

«كاتب هذه كلها. هو السيد أبو الحسن الشامي الخزرجي رحمه الله. وقد ذكر هذه الأبيات المكتوبة هنا مما قيل فيه :

مشارق أنوار تبدت بسبتـــــــة وذا عجب كون المشارق بالغرب
ومرعى خصيب في جديب ربوعها ألا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

قال : البيت الأول لا أعرف قائله. والثاني من... ابن رشيد الفهري رحمه الله تعالى بمنه. وقلت :

فلا عجب قد صح آخر دهرنـــا مشارق شمس (قد طلعن بمغـرب)
وخصب تراب الغرب أحسن نضـرة ونضرة هذا الجزء تربى على الترب

وفي معنى ذلك (أيضا) قلت :

عياض أطاعوك إذا تذكـروا الـ مشارق من نورك للمغـــرب
عياض لك الخيرات أطلعت للورى مشارق أنوار الهدى بالمغارب
فجد لي بنور من سناك يحوطنبي فأغدو وحبلى في الدجى فوق عاتقى
جزا الله عنا كل خيـر ومنـــة عياضا بما أبدى لنا من مشـــارق
به أشرقت شمس الغريب بغربنـا فدانت له تعنو شموس المشـارق
لقد شهدت حقا جميع المهـارق بما حاز من فضل كتاب المشـارق
وان هو منها في العلى وشى معصم وحلية أنوار وتاج المفـــارق
ونخبة أسرار ونجعة قـادم ونزهة أبصار وأنس المفارق

تليها أبيات له في الشفا.

رأيته هنا قد وثق أبياته في المشارق التي أنشدها له المقري. وترك لنا. أو ألقى علينا. المشغلة بتوثيق بيت ابن الصلاح. والأبيات المنظومة عليه مما في (الأزهار : 4 / 345) وتركته إلى حين...

•••

(3) مطالع الأنوار على صحاح الآثار - لأبي إسحاق ابن قرقول في مخطوطتي القرويين والرباط :

وعجلت إلى مطالع الأنوار لابن قرقول. فأطلعت من هذه الجولة مع المخطوطات. على السفرين الأول والثاني. منه : مخطوط القرويين (220) في 218 صفحة من قطع كبير. والخط مغربي قديم. القرن السابع ترجيحا.

السفر الأول من مطالع الأنوار لأبي إسحاق ابن قرقول من تحبيس السلطان المنصور الذهبي وعليها خطه. يليه نص التحبيس لجميع الكتاب المسمى بمطالع الأنوار. المشتمل على سفرين. المقيد هذا على أول السفر الأول منهما. ليقرأ فيه من طلبة العلم. وفرهم الله. بخزانة (السعديين) الشريفة الجديدة التي من آثارهم أيدهم الله. بقبلي جامع القرويين من فاس حرسها الله... قصدوا رضي الله عنهم وأرضاهم. بذلك وجه الله العظيم والتماس أجزل الثواب بدار النعيم. والله سبحانه يجعله من أعمالهم الصالحة المتقبلة. وفيه متأخر أرباحهم في الدار الآخرة المؤملة.

وكتب لهم أيدهم الله تعالى يد قيم الخزانة على حوزه فحازه. في شهر رجب الفرد المبارك عام تسعة وألف.

الورقة التالية لهذا التحبيس. رقمها (2)والكلام أولها موصول بضائع قبله. قدر الصفحة الأولى من طبعة المشارق.

ە ە ە

وينتهى متن هذا السفر الأول. بنص ما في آخر المتن من المجلد الأول لمطبوعة المشارق. من خلاف في نسب «سالم المهرى» في سند البخاري لحديث «ويل للأعقاب من النار» «وقد ذكره مسلم في الطرق الآخر : مولى شداد بن الهاد. غير منسوب».

يليه : كمل الأول من المطالع بحمد الله وعونه. على يد يوسف بن موسى الجمالي لنفسه ثم لمن شاء الله بعده. وذلك في ذى القعدة سنة **اثنتين وثلاثين وستمائة**. فرحم الله كاتبه وقارئه آمين يارب العالمين. يتلوه حرف النون مع الهمزة.

بعده بخط يشبه خط الناسخ ومداده. اسناد نصه :

«أما الموطأ **فحدثنا** به الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين. رحمهما الله. سماعا عليه (كذا) بقرطبة سنة سبع وخمسمائة. عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن محسن بن عتاب. **وقرأت جميعه وسمعته** مرة أخرى. على الفقيه أبى إسحاق ابراهيم بن جعفر اللواتي. وحدثني به عن القاضي أبى أصبغ (عيسى) بن سهل. **وسمعته** على القاضي أبى عبد الله بن عيسى التميمي. إلا ما شككت فيه فأجازنيه. وحدثني بجميعه (عن) الشيخ الحافظ أبى علي الحسين بن محمد الجياني وقد كتب إلى (أبو علي) هنا في إجازته إياي. قال هو وأبو الأصبغ ابن سهل وأبو عبد الله ابن عتاب. قال...).

وانتهت هذه الصفحة الأخيرة من الكتاب. قبل أن يتم السند. نقلته بنصه. لأنه نص إسناد القاضى عياض في المشارق إلى الموطأ. رواية يحيى بن يحيى الليثى. موضعه في المشارق أول (باب ذكر أسانيدى إلى هذه الأصول) عقب خطبة الكتاب وقبل بدء متنه. انتقل هنا إلى هذه الصفحة الأخيرة من مخطوط السفر الأول من المطالع.

وسماع الموطأ في قرطبة، على أبي محمد ابن عتاب وأبي عبد الله ابن حمدين، سنة 507 هـ، وابن قرقول ولد في المرية في صفر سنة 505 هـ كما في ترجمته بتكملة ابن الأبار.

وأما سماع الموطأ وقراءته على القاضي أبي عبد الله ابن عيسى التميمي، فقد أرخ القاضي عياض في (الغنية) وفاة شيخه بسبتة في جمادى الأولى سنة 505، وابن قرقول وقتئذ في مهده بالمرية، لم يبلغ الشهر الثالث من عمره.

* *

ما بقي من خطبة المطالع، أكثرها، لا يكاد يختلف عن خطبة المشارق، إلا في تضمين فقرات بنص ألفاظ القاضي عياض، وتقديم وتأخير، وإضافة تقابل حذف فقرات هامة من خطبة المشارق، كقول القاضي عياض،

(وإذ قد اتسعنا بمقدار ما تفضل الله به وأعان عليه في شرحنا لكتاب صحيح مسلم المسمى بالإكمال، وشذت عن أبواب الحروف نكت مهمة غريبة لم تضبطها تراجمها).

إلى قوله : لا يفهم مراد الحديث إلا بالحاقها ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها).

وختم ابن قرقول خطبة مطالعه بقوله :

(وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة قدره، ويوفيه أهل الانصاف حقه، فإنه نخلت فيه معلومي وبثثته مكتومي وأودعته محفوظي ومفهومي، وسمحت فيه بمصونات الصنادق والصدور، وبمكنونات المهارق والصدور، بما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق، ولا يبوحون بسره إلا لطالبي الحقائق، ولا يرفعون راية إلا لمتلقيها باليمين، ولا يكشفون عنها غاية إلا لثقة أمين، وإلى الله ألجأ في تصحيح عملي ونيتي وإليه أبرأ من حولي وقوتي، ومنه أستمد التوفيق والهداية واياه أسأل العصمة والوقاية، انه منعم كريم ذو فضل عظيم، وقد سميته بمطالع الأنوار على

صحايح الآثار. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإياه استعنت فهو خير معين وأقوى ظهير).

وهذا كما في ختام خطبة المشارق. كلمة بكلمة وحرفا بحرف. فيما عدا إبدال مطالع بمشارق.

وخلت الخطبة. ما بقي منها. من أى إشارة إلى القاضي عياض ومشارقه. وكذلك يمضى المتن كأنه مقطوع الصلة بالمشارق.

والمخطوط مبتور من أوله. وفيه مفتتح الكتاب. فهل في خاتمته. بالسفر الثانى ما يجلو الموقف الغامض المحير ؟

نظرت في المخطوط (369 ك) بالخزانة العامة بالرباط.

عنوانه : السفر الثانى من مطالع الأنوار على صحاح الآثار تأليف الإمام. المحدث الفقيه الحافظ أبى اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم الحمزى. هو ابن قرقول رحمه الله تعالى.

خط النسخة مشرقى قديم. يرجح أنه من خط القرن السابع. عدد صفحاتها 538 غير مرقمة في الأصل. بل ذيلت أواخر الصفحات اليمنى منها برقاص. ثم رقمت حديثا بأرقام مغربية. بالقلم الرصاص.

على وجهها تملكات ثلاثة مختلفة الخطوط غير مؤرخة. يليها بجانب خاتم الخزانة العامة بالرباط. طابع المكتبة الكتانية لمالكها عبد الحي الكتاني بفاس.

وعلى صفحات منها. تقييدات حبوس على زاوية الشيخ أبى يعزى. بخط مغربي بدوى. ومداد صمغى باهت.

على الصفحة الأخيرة منها. بخط النسخة المشرقي : «آخر المطالع. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. وكان الفراغ من نسخه على يد عبد الله وابن عبده. المستغفر من ذنبه. إدريس بن محمد بن أبى (الفرج) بن إدريس بن سفيان التنوخى الحموى عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهم بالخير. بتاريخ سادس عشرى ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستماية».

يليه بخط تعليق :

(ثم كتاب مطالع الأنوار في شرح صحيح الآثار **تأليف القاضي عياض رحمة الله عليه)**.

وبخط مختلف كتب حرف (لا) فوق : تأليف. وأضيف بخط مشرقي. كأنه من خط النسخة : لا. بل هو تأليف أبى اسحاق ابراهيم بن قرقول).

على هوامش مخطوطتى القرويين والرباط. كلتيهما. كثرة من الحواشى بخط مشرقي منسوب. مميزة عما هو لحق لسقط من المتن. بكتابة كلمة حاشية فوقها. موقعة بجملة : كتبها محمد بن الموصلي..

وهو ناظم مطالع الأنوار. ترجمه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة لاعيان المئة الثامنة : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان الموصلى الأصل البعلى المولد نزيل طرابلس (الشام) ثم نزل دمشق. من شيوخه القطب اليونينى والحافظ المزى والشرف البارزى والبدر التبريزى قاضي بعلبك. مهر في الفنون وقال الشعر وصنف التصانيف. ونظم مطالع الأنوار لابن قرقول. والمنهاج في الفقه. وكتب الخط المنسوب. وتصدر بالجامع الأموى للخطابة واتجر في الكتب. توفي بطرابلس سنة (774 هـ).

كما ذكره الشمس السخاوى في (فتح المغيث) شرح ألفية العراقى لعلوم الحديث لابن الصلاح. وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون مطالع الأنوار لابن قرقول ونظم ابن الموصلي لها.

في حواشيه. بخطه المنسوب. على مخطوطتي القرويين والرباط من مطالع الأنوار. مستدركات هامة ودقيقة على المطالع «أكثرها مما جاء في مشارق الأنوار على استقامة وصواب. وفيما يستدركه عليه نقول من خط أبى عمرو ابن الصلاح على نسخته.

× × ×

من تم، بدأت القضية تأخذ مسارا آخر متشعب الدروب بالغ التعقيد :

المطالع وصلت يقينا إلى ابن الصلاح. فهل سبقت المشارق في نسخة الطراز المجودة المتقنة ؟

وهذا الخلط بين مخطوطات الكتابين. ما دواعيه وما آثاره ؟

وما وجه القول المحكى عن السخاوى، على طرة (المخطوط 390 ق) في ابن قرقول ومطالعه ؟

(4) ابن الصلاح ومشارق الأنوار متى وصلت إليه

وأريد لافرغ أولا من مسألة ابن الصلاح والمشارق.

ما قيده الفقيه الفاسي الشاعر «أبو الحسن الشامي على مخطوط القرويين : «البيت الأول لا أعرف قائلة» يهز الثقة في وصول المشارق إلى ابن الصلاح، عند من لا يعرفون صلة له بالمشارق سوى هذا البيت السائر.

وفي الحق أنني على وثوق صلتي بحافظ المشرق الإمام تقي الدين أبي عمرو ابن الصلاح، لا أعلم أنه عانى النظم، ولا مربي فيما قرأت له وعنه، أى بيت من الشعر أثر عنه، غير بيته في المشارق، قلما ذكرت إلا مقترنة به، بحيث صار أشبه بعنوان لها وجرى مجرى الأبيات السائرة.

والشهاب المقرى، في روضة النسرين من أزهار الرياض، ذكر في مشارق الأنوار بيت ابن الصلاح فيها، وكأنه صلة للتعريف بها، ثم عقب عليه ببيت لابن عبد المالك المراكشي، وآخر لابن رشيد، على بيت ابن الصلاح، ثم أبيات أنشده إياها معاصروه، ومنهم صاحبه أبو الحسن الشامي.

ولم يشر إلى مراجعه في أبيات من سبقوا عصره وقد وجدنا أبيات أبي الحسن الشامي على مخطوط القرويين نقلا مما كتبه بخطه.

بيت ابن عبد المالك المراكشي. وجدناه كذلك في ترجمته بأعلام التعارجي : «قال في مشارق الأنوار :

تنادى بأنوار المشارق نخـــوة بمطلعها في الغرب يا شرق غـــرب

وأما بيت أبي عبد الله ابن رشيد الفهرى. فوجدناه أيضا في أصل مصدر له. ومعه بيت أبي عمرو ابن الصلاح.

قال ابن رشيد في رحلته. مصورة بمعهد الأبحاث بتطوان : «أنشدني شيخنا أبو الصفاء. قال أنشدني الإمام أبو عمرو ابن الصلاح لنفسه. في كتاب مشارق الأنوار للقاضي أبي الفضل عياض رحمه الله. وهو أول شعر قاله :

مشارق أنوار تسنت بسبتـــــة وذا عجب. كون المشارق بالغــرب

قلت : وسنح لي بيت ثان شفعت به وتره. وهو :

ومرعى خصيب في جديب ربوعها الا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

وهذا البيت الذى زدته. ينظر فيه إلى قول يصف القاضي عياضا رحمه الله :

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهـــم والظلم بين العاملين قديـــم

جعلوا مكان الراء عينا في اسمــه كى يكتموه. وانه معلـــــوم

لولاه ما فاحت أباطح سبتــــة والروض حول فنائها معـــدوم»

وهذا توثيق لبيت ابن الصلالح في المشارق. فهل وصلت إليه في نسخة أبي عبد الله الطراز المصححة المتقنة ؟ ذلك يقتضي أن نعرف متى وصلت إليه المشارق.

لا خلاف أعلمه. في وفاة أبي عمرو ابن الصلاح بدمشق. في شهر ربيع الأول من سنة 643 هـ. ووفاة أبي عبد الله الطراز بغرناطة. في شوال سنة 645 هـ.

تأخر وفاة الطراز عن ابن الصلاح بسنتين ونصف سنة. لا يمنع احتمال وصول نسخته من المشارق إلى دمشق. لكن يدخل في الحساب أمران :

الأول أن الطراز تجرد آخر عمره لإخراج المشارق من مبيضتها.

والآخر : أن في مقدمة ابن الصلاح نقولا عن القاضي عياض منها ما هو بنصه في الالماع. وما هو في الإكمال. وما هو في المشارق. ثم في النوع الثالث والخمسين (معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب وما يلتحق بها) أفرد ابن الصلاح القسم الثاني منه. لضبط ما في الصحيحين أو ما فيهما مع الموطأ. من ذلك على الخصوص. ختمه بقوله :

«هذه جملة لو رحل الطالب فيها لكانت رحلة رابحة إن شاء الله تعالى. ويحق على الحديثي إيداعها سويداء قلبه... وأنا في بعضها مقلد (كتاب القاضي عياض) ومعتصم بالله فيه وفي جميع أمرى. والله أعلم».

قابلت ما في هذا القسم على مشارق الأنوار. فوجدته فيها نصا. وتحرزت مع ذلك من الحكم بأن (كتاب القاضي عياض) هو المشارق. لاحتمال أن يكرر المنقول. في كتاب آخر كالاكمال مثلا. فتركت الحكم فيها لمن سبقني إلها من أئمة حفاظ السلف.

الحافظ العراقي (806 هـ) في كتابه (التقييد والإيضاح لما أبهم وأغلق من كتاب ابن الصلاح) تعقب نقول ابن الصلاح في هذا القسم بخاصة. وردها إلى (كتاب القاضي عياض : مشارق الأنوار).

وليس الحافظ العراقي. على جلالته بمعصوم من الوهم. فقد يكون ابن الصلاح والقاضي عياض. نقلا من كتب مشتركة بينهما. من المصنفات الحمدة التي يؤول إليها علماء الحديث. لكن يعين (المشارق) دون غيرها. أن يكون المنقول مما انفرد به القاضي عياض «وتابعه ابن الصلاح أو : قلده» كما صرح بذلك الحافظ العراقي في نحو عشرة مواضع من تقييده. ونقله الجلال السيوطي في تدريب الراوى.

والحافظ السخاوى (902 هـ) في فتح المغيث. شرح ألفية العراقي في علوم الحديث لا بن الصلاح. رد كذلك نقولا له عن القاضي عياض. إلى كتا به مشارق الأنوار.

وا بن الصلاح قد فرغ من تصنيف كتا به في علوم الحديث «يوم الجمعة آخر المحرم لسنة أربع وثلاثين وستما ية. وأملاه يوم الأحد ثاني صفر. نقل ذلك من خط المصنف. وعلى أصل تلميذه قاضي القضاة تقي الدين ا بن رزين الحموى الشافعي. في مخطوط من الأصول التي اعتمدتها للنص الذى حققته من مقدمة ا بن الصلاح.

أى أن ا بن الصلاح كان قد فرغ من تصنيف كتا به وأملاه. قبل وفاة أبي عبد الله الطراز بغرناطة. بنحو اثنتى عشرة سنة. على أدنى الحساب.

وقد قالوا إن الطراز إنما تجرد لإخراج المشارق من المبيضة آخر عمره.

وإذا استبعدنا أن تكون المشارق وصلت إلى دمشق في نسخة الطراز قبل سنة 634. فمن المحتمل القريب أن تكون المشارق وصلت في نسخة من النسخ التي نبه ا بن الجمالي في الطرة على نسخته. على ما شا بها من تصحيف وخلل.

وذلك ما نلمح أثره البعيد في موقف حفاظ المشرق. في القرن السا بع للهجرة. من مشارق أنوار عياض. ومطالع ا بن قرقول التي آن لنا أن ننظر في قضيتها. والله المستعان.

(5) قضية مشارق الأنوار ومطالع ابن قرقـــول

مر بنا ما كان من لبس بين المشارق والمطالع في مخطوطاتهما بالر باط والقرو يين.

والطرة على مخطوط المشارق بالر باط (390 ق) تحكى عن السخاوي قولا في ا بن قرقول ومطالعه.

التمست هذه المقولة المرسلة عن السخاوي، فوجدتها في شرح السخاوي لألفية العراقي في علوم الحديث لا بن الصلاح. نقل ما في مقدمة ا بن الصلاح والألفية، من كتب معتبرة في غريب الحديث، ثم أضاف إليها مصنفات جليلة فيه، على الترتيب الزمني فذكر في القرن السادس :

(ومنها كتاب المشارق للقاضي عياض المتوفى سنة 544 هـ وهو أجل كتاب جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، خصه بالموطأ والصحيحين، مع ما أضاف إليه من مشتبه الأسماء والأنساب.

(وينسب لأبى اسحاق ا بن قرقول، تلميذ القاضي عياض، المتوفى سنة 569 هـ، كتاب المطالع، والظاهر أنه منتزع من المشارق لشيخه، مع التوقف في كونه نسبه لنفسه، وقد نظمه الإمام شمس الدين محمد ا بن محمد بن عبد الكريم ا بن الموصلى، فأحسن ما شاء).

قوله في ا بن قرقول : (مع التوقف في كونه نسبه لنفسه) يفيد أن اتهام ا بن قرقول، بلغه عمن تكلموا فيه قبله.

والحافظ السخاوي شمس الدين عبد الرحمن بن محمد من أعيان القرن التاسع، توفي رحمه الله سنة 902 هـ ولم أقف على شيء من تكلم في ا بن قرقول عند الحفاظ المشارقة قبل السخاوي، ويأتي في هذا العرض، أن أئمة منهم اعتبروا بمطالع ا بن قرقول في مصادرهم، ونظمه الشمس ا بن الموصلى، من حفاظ القرن الثامن، وما كانوا ليفعلوا وهم يتكلمون فيه.

مرة أخرى راجعت كتب التراجم المغربية والأندلسية فلم أقف فيها على من نقل عن «ا بن عبد الملك المراكشي» ما كتبه في رسم ا بن قرقول، عن صلته بالمشارق والأثر الجليل للطراز في اخراجها من مبيضتها. وكان ا بن عبد الملك مرجوا لأن يضيء لنا الموقف، بالمعهود من منهجه الدقيق في توثيق أخباره ونقوله، والعناية البالغة بالجرح والتعديل، وإلى اليوم لم أعثر على هذه الترجمة.

غير أني وجدت «ابن القاضي المكناسي» (960 ـ 1025 هـ) قال في ترجمة ابن قرقول بجذوة الاقتباس :

«وقد تكلم فيه بعضهم من جهة كتاب المطالع وهو لابد كتاب مشارق الأنوار للقاضي أبي الفضل عياض كان القاضي قد تركه في مبيضته فاستعارها وجرد منها ما أمكن نقله. لاستعمائها وصعوبتها ثم نقل الناس من كتابه. قال ابن خاتمة : ولم يتصل بنا أنه نسب الكتاب إلى نفسه».

«ابن القاضي» لا شك عنده في أن المطالع هي المشارق. لابد. وان التمس لابن قرقول عذرا فيما كانت عليه مبيضتها من صعوبة واستعماء. ثم ترك الكلمة في صنيع ابن قرقول لابن خاتمة المرى الذى حرص فيما يبدو. في كتابه (مزية المرية) على تبرئة رجل من أبنائها. بها مولده ونشأته. وإليها أول انتمائه وانتسابه.

ويوشك أن يكون المحكى هنا عن ابن خاتمة في القرن الثامن. هو ما قاله السخاوي في القرن التاسع. في فتح المغيث ونقل محكيا عنه في طرة على المخطوطة الرباطية للمشارق. وسبقت الإشارة إلى أني لم أقف على من تكلم في ابن قرقول ومطالعه. من المشارقة. قبل الشمس السخاوي. واستأنست لذلك بموقفهم من الكتابين. وهذا بيانه :

(أبو عمرو ابن الصلاح) تلقى المشارق فأكبرها وعظمها. مع ما رجح من وصولها إليه قبل ظهور نسخة الطراز.

(المطالع) وصلت إليه كذلك. ولا يؤثر عنه رأي صريح فيها. فيما وقفت عليه وإن كان رجع إليها مرة واحدة في مقدمته في علوم الحديث (ص 529) في ضبط محمد بن سلام البيكندي. شيخ البخاري. وهذا الضبط ليس في المشارق. وهو من الإضافات اليسيرة لابن قرقول. نقلها النووي كذلك في مقدمة شرحه لصحيح مسلم.

لكن في المنقول من حواشي نسخة ابن الصلاح من المطالع. ما يرد على المشارق أيضا. ولم يذكرها وهي بين يديه. فهل كانت مما سقط من نسخته ؟ الله أعلم.

وموقف الإمام النووي (676 هـ) من الكتابيْن يلفت النظر : في شرحه لصحيح مسلم. كانت المشارق بين يديه. نقل عنها في مقدمته وفي مواضع عديدة من الشرح. مع ما للقاضي عياض في الإكمال.

وقد يذكر مطالع الأنوار مع المشارق. لكنه في مقدمة شرحه لمسلم. يكثر من نقل ما قاله صاحب المطالع. فيفرده بالذكر دون المشارق. وفيها ما نقله النووي عن صاحب المطالع.

وموقفه من المشارق والمطالع في (تهذيب الأسماء واللغات) أوضح وأعجب :

المشارق كانت بين يديه. نقل منها ضبط القاضي عياض في مادتى (سيج. وطلس).

لكنه نقل في (جفر) معناها عند القاضي عياض في حديث أم زرع. وفي أم أيمن. (والحلة. وغرر) ما قاله القاضي في الإكمال وفي (رفس ما قاله في التنبيهات ولم ينقل فيها ما قاله القاضي في المشارق.

وليس هذا موضع العجب. الذي أعجب له أن يخص صاحب المطالع بنقل ما قاله في مواد : صرى. صلح. ضمن. طوق. عتق. عوج. قين. مسك. مشط... وفي ضبط (الربيع بفت معوذ. ومحرز الدلجى).

ولا ينقل فيها من المشارق وهي أصل المطالع :

وأعجب منه. وأدعى إلى الحيرة. ما في تهذيب اللغات من فصول في أسماء البلدان :

لقد جرى الإمام النووي على نقل ما قاله صاحب المطالع. وأكثر منه. فما يكاد يخلو حرف في أسماء البلدان من قول لصاحب المطالع. والذي فيها لا يخرج عما في المشارق التي لم يذكرها في حرف من بلدان (التهذيب).

وابن الموصلي ناظم المطالع. قبل منتصف القرن الثامن. يستدرك في حواشيه على مخطوطيها بالقرويين والرباط. على صاحب المطالع. فواتا من الضبط. نجده في المشارق. وأوهاما نجدها أيضا في المشارق. ولم يذكر فيما قرأت

من حواشيه أنه قابل على المشارق وقد كانت لديه. حين نظم المشارق التي صرح في منظومته بأنها «أم المطالع».

ثمت مواضع قليلة من نقول النووي من المطالع. ومستدرك ابن الصلاح وابن الموصلي عليها. لم أجدها في طبعة المشارق. فهل هو من اختلاف نسخها. أو هو من إضافات ابن قرقول الموهمة باستقلاله عن القاضي عياض في مشارق أنواره ؟ الله أعلم.

لقد قطعت كل هذه الخطوات وصولا إلى تبين قضية المطالع لابن قرقول. متحاشية جهدي أن أقول فيها برأي. إشفاقا من تبعة ثقيلة تخفف منها من قالوا إن المطالع هي المشارق. منتزعة منها. ثم توقفوا في الحكم على ابن قرقول تحرجا أو حذرا. فكان أن رأيت تقديم ما أنجزته من البحث دون خاتمة. ليوضع في سجل القضية. دون أن أكف عن التماس ما لم أطلع عليه من وثائقها.

ثم كان أن وقفت. بأخرة. على مخطوطات للمشارق والمطالع في مكناس. لم يسعف الوقت في هذه العجالة على السعي إليها من قبل.

في خزانة الجامع الكبير بمكناس. ثلاث مخطوطات من المشارق قديمة بالية أولها مبتور من آخره. والثاني من أوله. والثالث ينتهي بآخر ما في حرف الدال. ويبدو أنها قطع من مخطوط أندلسي قديم. للسفر الأول من المشارق في تجزئة ثلاثة. انصرفت عنها مؤقتا إلى مخطوط في الخزانة من :

(مطالع الأنوار) بالغ القيمة والأهمية في القضية الشاغلة. رقمه (165) عنوانه بخط مشرقي منسوب. ومداد أحمر :

الأول من كتاب مطالع الانوار على صحيح الاثار.

فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب المسلم وكتاب البخاري. رحمهم الله تعالى.

اختصره الفقيه الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن ابراهيم الحمزي المسمى بابن قرقول. مما صنفه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي رحمهما الله تعالى.
وأبينه بمداد أسود. بخط الناسخ. البيتان :

بقدر الجد تكسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
تريد العز ثم تنام ليلا يغوص البحر من طلب اللآلي

ثم بخط توقيع مغربي دقيق. (تحبيس مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن أمير المؤمنين... هذا الجزء الأول من كتاب مطالع الأنوار لابن قرقول. على خزانة الجامع الأعظم في مكناسة. وحازه من له النظر).
وقيد في جمادى الثانية عام 1175 هـ.
المخطوط في 561 صفحة من القطع الكبير رقمت حديثا بأرقام مغربية. وبخط مشرقي منسوب كخط العنوان. من خط القرن السابع مداده أسود. وعناوين الفصول بحروف كبيرة. والفواصل وعلامات الترقيم بالمداد الأحمر. والمتن مضبوط بالشكل. بقلم الناسخ. والنسخة في جملتها غاية في الرونق والاتقان. وأما جلدة المخطوط. فحضرية مغربية. كالمشارق.
ويبدأ بأول خطبة الكتاب.
وآخره ما في فصل الاختلاف والوهم في حرف الكاف. (من الأنساب) ونصه في صفحة 351 من المجلد الأول لطبعة المشارق.
يليه بخط الناسخ :
كمل السفر الأول بحمد الله وعونه. وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم.
كتبه العبد المذنب الفقير. أحمد بن .... مرز بن شروين الأبهاري. غفر الله لهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات .... عشرة رجب سنة تسع وعشرين وستمائة. بدمشق.

ثم بخطه : يتلوه في المجلد الثاني حرف اللام مع الهمزة. قوله : فسيخرجون كأنهم اللؤلؤ. إن شاء الله.

وأوراق المخطوط، رغم قدمه، متماسكة، قويت أطرافها بشريط من ورق ملصق، ولا تخلو من خروم، وعلى هوامشها، غير ماهو من اللحق لسقط من المتن، قدر يسير من الحواشي.

ه ه ه

زودني هذا المخطوط النفيس، بما لم أحتسب من أهم الوثائق في قضية المطالع والمشارق :

● فيها الدليل على أن المطالع وصلت إلى المشرق قبل سنة 629 هـ بوقت لا نحدده لكنه على أقل تقدير، قبل وفاة أبي عبد الله الطراز، بنحو عشرين سنة.

وقرأها الناس قبل ظهور نسخة الطراز المهذبة المتقنة من المشارق، ولعل المطالع كانت أفضل حالا من نسخ أخرى للمشارق، شابها من الخلل والتصحيف، مانبه عليه محمد بن الجمالي في طرته على قطعة تمكروت من نسخته النفيسة النادرة (97 ق).

وخطبة المطالع، تعطينا نموذجا من مستواه في التخريج والتضمين وقد قال ابن الآبار في ترجمة ابن قرقول بالتكملة بعد ذكر مولده ونشأته بالمرية، وسماعه بها من جده لأمه أبى القاسم ابن ورد وشيوخه الذين لقيهم، ومن كتبوا إليه :

«وكان رحالا في طلب العلم حريصا على لقاء الشيوخ فقيها نظارا أديبا حافظا، يبصر الحديث ورجاله، وقد صنف وألف، مع براعة الخط وحسن الوراقة، حدث وأخذ عنه الناس».

ووصول مطالعه مبكرة إلى المشرق قبل نسخة الطراز من المشارق، مما يفسر لنا ما سبق من عرض لموقف المشارقة من

المطالع والمشارق قبل تهذيبها. ووضعها مع الكتب المعتبرة في غريب الحديث. ومشكل اللغات ومشتبه الأسماء والكنى والأنساب. في الصحاح الثلاثة الأمهات.

● ومخطوط المطالع. في هذه النسخة المشرقية بمكناس. هو السفر الأول من الكتاب. فيه النص الكامل لخطبته آثرت أن أرفقها كاملة. مع خطبة المشارق. بهذا المبحث في التوثيق. لأنها التي تفسر لنا ما وقع من لبس واختلاط بين المطالع والمشارق : ليس في خطبة المطالع أدنى إشارة. ولو تلميحا. إلى أصلها في المشارق ولا ذكر للقاضي عياض. ينمى إلى مشارقه مطالع ابن قرقول. من ثم بدأ الوهم الفادح في صلة المطالع بالمشارق. فضرب من ضرب على مخطوطات منهم. ليبدل احدهما بالآخر. وتحير المترجمون والمفهرسون - ونادرا ما ينظرون في متون الكتب - في مطالع ابن قرقول. بين أن يكون صنفه على منوال المشارق. كما في مرآة الجنان لليافعي وفيات سنة 669 - كذا - كما جاء في تعريف المطالع بكشف الظنون. أو ضاهى به مشارق الأنوار. كعبارة ابن العماد الحنبلي في الشذرات وفيات سنة 669 - كذا - أو على مثاله كما قال «بروكلمان».

وان يكون اختصارا للمشارق. كما في تعريف حاجي خليفة بمشارق الأنوار في كشف الظنون.

وأن يكون صنفه على مثال المشارق مختصرا له منها. كما في (الرسالة المستطرفة).

وأن تكون المطالع هي المشارق. لا بد. كما قطع ابن القاضي المكناسي في رسم ابن قرقول بجذوة الاقتباس. وأن يكون (الظاهر أن كتاب المطالع منتزع من المشارق. لشيخه عياض) كما قال السخاوي في (فتح المغيث).

● ● ●

وبقي المتكلم على ابن قرقول، من جهة كونه نسب الكتاب لنفسه، توقف فيه ابن خاتمة والسخاوي فظل الحكم في القضية معلقا، إلا أن يكون ابن عبد الملك المراكشي قد حسمه فيما لم يصل إلينا من رسم ابن قرقول في الذيل.

ولقد حرصت ما استطعت، على التحرج من ابداء رأي في هذه القضية الشاغلة، لكن ما أطلعت عليه من مستنداتها، حملني مسؤولية النظر فيها.

قرأت في كتاب ابن قرقول، ولا أملك إلا أن اعترف بأنه كان بحيث يشتبه بالمشارق، لولا إلفي لها ووثوق صلتي بها.

الوهم يقع حتما من خطبة المطالع وخاتمته، قد خلتا من أي تنبيه أو إشارة إلى أصلها في مشارق الأنوار. وأسقط من فاتحة المشارق، بعد البسملة والحمدلة والتصلية (قال الشيخ الفقيه الحافظ الإمام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ورضي عنه).

وحيث يأتي في متن المطالع، مرات قليلة: قال القاضي عياض، أو: رجحه القاضي عياض، فذلك أدعى إلى إيهام فادح بذكر بضعة أقوال له، وكأن مافي الكتاب ليس له، على حين يأتي في المشارق (قال القاضي رحمه الله) تعقيبا على اشكال أو اختلاف، فلا يكون مظنة إيهام بأي حال، والكتاب كتابه، والمادة له.

وما لابن قرقول في المطالع في زيادات يسيرة، لاتدفع الوهم إن لم ترسخه، إذ لم يجر فيها على نهج السلف في مصنفاتهم على كتب لغيرهم، يميزون دائما بين ما لصاحب الأصل، وما هو من إضافات الشارح أو المختصر.

ويقع كثيرا في المطالع، أن تتغير صيغ التحمل والأخذ عن الشيوخ: تكون في المشارق سماعا للقاضي عياض أو ضبطا وتقييدا على شيوخه، وتأتي في المطالع بالعنعنة، أو بصيغة:

وعند فلان كذا، أو: ضبطه فلان لكذا...

ومع القطع بأن المطالع تخريج ابن قرقول لمشارق الأنوار، أتقى سوء الظن بالرجل والحكم على مضمر قصده ونواياه.

ظاهر أمره عندي أنه بذل جهده لإخراج المشارق من مبيضاتها العصية على القراءة لاستعمائها وصعوبتها وإشكالها. فجرد منها ما أمكن إقامته من متنها وسمى تخريجه بمطالع الأنوار. تمييزا له عن تخريجات آخرين للكتاب. وفي حسابه أن التخريج ليس بحيث يخفى على أهل العلم. فيظنون به الظنون.

وقرأ الناس في كتابه. وصنفوا عليه. وليس في خطبته ولا في متنه. تنبيه على كونه من مشارق الأنوار. فكان ما كان من لبس خطير. وتكلموا على ابن قرقول من جهة كونه جرد مطالعه من مبيضة شيخه. ونسبها إلى نفسه.

وأقول مع ذلك. إن عرض القضية لا يتم بالإحالة على نقولي من بضع مخطوطات. ليست كل ما بقي من نسخ الكتابين في خزائن الشرق والغرب . فضلا عن تقارب حجم المشارق والمطالع. وغير متصور أن أنقلهما فيما لا يحصى من بطاقات المقابلة. وتقييدات الشراح.

إنما السبيل على المومنين. أن تنشر طبعة محققة من المشارق وعلى هامشها النص الكامل لمطالع الأنوار. وعندئذ يتبين الحق وينجلي الصبح لذى عينين.

ولأني على وشك الرحيل. هامة اليوم أو غد. دونت كل ما وقفت عليه من حواش وتعليقات على الكتابين. وما أجريته من مقابلات على ما في كتب السلف من نقولي منهما. أتركها لمن يحمل معي وبعدي. من أبنائي شباب علماء القرويين طال عمرهم أمانة هذا التكليف الصعب. وديعة ووصية وعهدا. فهل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

ملحق ببحث
مشارق الأنوار للقاضي عياض
مبحث في التوثيق

ـ ا ـ خطبة كتاب :
(مشارق الانوار على صحاح الاثار)
للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي
نقلا من طبعة فاس : 1328

ـ ب ـ خطبة كتاب :
(مطالع الأنوار على صحايح الآثار)
لأبي إسحاق ابن قرقول
نقلا من مخطوط الجامع الأعظم
بمكنـــــــــــــاس 165

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

قال الشيخ الفقيه الحافظ الناقد القاضي أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض رحمه الله تعالى ورضي عنه

الحمد لله مظهر دينه المبين، وحائطه من شبه المبطلين، وتحريف الجاهلين، بعث محمدا عليه السلام إلى كافة خلقه، بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وضمن تعالى حفظه فما قدر العدو على إدخال الخلل في لفظه، مع كثرة الجاحد الجاهد على إطفاء نوره، وظهرة المعادي المعاند لظهوره، وبين على لسان نبيه مناهجه وشرعته ما وكل نفي التحريف عنه لعدول أعلام الهدى من أمته، فلم يزالوا رضوان الله عليهم يذبون عن حمى السنن، ويقومون لله بهداهم القويم الحسن، وينبهون على من يتهم بهتك حريمها ومزج صحيحها بسقيمها، حتى بان الصدق من المين، وبان الصبح لذى عينين، وتميز الخبيث من الطيب وتبين الرشد من الغي، واستقام ميسم الصحيح، وأبدى عن الرغوة الصريح، ثم نظروا رحمهم الله بعد هذا التمييز العزيز والتصريح المريح، نظرا آخر في الصحيح، فيما يقع لآفة البشرية من ثقات رواته من وهم وغفلة، فنقبوا في البلاد عن أسبابها، وهتكوا ببارع معرفتهم ولطف فطنتهم سجف حجابها، حتى وقفوا على سرها، ووقعوا على خبيئة أمرها، فأبانوا عللها وقيدوا مهملها، وأقاموا محرفها وعانوا سقيمها، وصححوا مصحفها، وأبرزوا في كل ذلك تصانيف كثرت صنوفها وظهر شفوفها، واتخذها العالمون قدوة، ونصبها العالمون قبلة . فجزاهم الله عن سعيهم الحميد أحسن ما جازى به أحبار ملة، ثم كلت بعدهم الهمم وفترت الرغائب، وضعف المطلوب والطالب، وقل القائم مقامهم في المشارق

والمغارب، وكان جهد المبرز في حمل علم السنن والآثار، نقل ما أثبت في كتابه، وأداء ما قيده فيه دون معرفة لخطيئه من صوابه، إلا آحادا من مهرة العلماء، وجهابذة الفهماء، وأفرادا كدراري نجوم السماء، ولعمر الله إن هذه بعد لخطة أعطى صاحب الشريعة للمتصف بها من الشرف والأجر قسطه، إذا وفى عمله شرطه، وأتقن وعيه وضبطه، فقال عليه السلام في الحديث الصحيح : نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»

وقد كان فيمن تقدم من هو بهذه السبيل من الاقتصار على أداء ما سمع ورأى وتبليغ ما ضبط ووعى، دون التكلم فيما لم يحط به علما أو التسور على تبديل لفظ أو تأويل معنى، وهي رتبة أكثر الرواة والمشائخ، وأما الإتقان والمعرفة ففي الأعلام والأئمة، لكنهم كانوا فيما تقدم كثرة وجملة، وتساهل الناس بعد في الأخذ والأداء حتى أوسعوه اختلالا، ولم يألوه خبالا، فتجد الشيخ المسموع بشأنه وثنائه، المتكلف شاق الرحلة للقائه، تنتظم به المحافل، ويتناوب الأخذ عنه ما بين عالم وجاهل، وحضوره كعدمه، إذ لا يحفظ حديثه، ويتقن أداءه وتحمله، ولا يمسك أصله، فيعرف خطأه وخلله، بل يمسك كتابه سواه، ممن لعله لا يوثق بما يقوله ولا يراه، وربما كان مع الشيخ من يتحدث معه أو غدا مستثقلا نوما أو مفكرا في شؤونه، حتى لا يعقل ما سمعه.

ولعل الكتاب المقروء عليه لم يقرأه قط ولا علم ما فيه إلا في نوبته تلك، وإنما وجد سماعه عليه في حال صغره بخط أبيه أو غيره، أو ناوله بعض متساهلي الشيوخ (1) ضبائر كتب وودائع أسفار، لا يعلم سوى ألقابها، أو أتته إجازة فيه من بلد سحيق بما لا يعرف وهو طفل، أو حبل حبلة لم يولد بعد ولم ينطق.

قوله ضبائر الخ، الاضبارة الحزمة من الصحف وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوم يخرجون من النار ضبائر ضبائر، كأنهم جمع ضبارة وكل مجتمع ضبارة قاله في لسان العرب اهـ مصححه.

ثم يستعار للشيخ كتاب بعض من عرف سماعه من شيوخه أو يشتريه من السوق ويكتفي بأن يجد عليه أثر دعوى بمقابلته وتصحيحه.

ثم ترى الراحل لهذا الشأن الهاجر فيه حبيب الأهل ومألوف الأوطان. قد سلك من التساهل طبقة من عدم ضبطه لكتابه. وتشاغله أثناء السماع بمحادثته جليسه أو غير ذلك من أسبابه. وأكثرهم يحضر بغير كتاب أو يشتغل بنسخ غيره أو تراه منجدلا يغط في نومه. قد قنعا معا في الأخذ والتبليغ بسماع هيمنة لا يفهمان معنى خطابها ولا يقفان على حقيقة خطئها من صوابها. ولا يكلمان إلا من وراء حجابها.

وربما حضر المجلس الصبي الذي لم يفهم بعد عامة كلام أمه ولا أستقل بالميز والكلام لما يعنيه من أمره. فيعتقدون سماعه سماعا لاسيما إذا وفي أربعة أعوام من عمره. ويحتجون في ذلك بحديث محمود بن الربيع وقوله. عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن أربع سنين» .

وروى : ابن خمس . وليس في عقله هذه المجة على عقله لكل شيء حجة.

ثم إذا أكمل سماع الكتاب على الشيخ كتب سماع هذا الصبي في أصله أو كتبه له الشيخ في كتاب أبيه أو غيره. ليشهد له ذلك بصحة السماع في مستأنف عمره.

وأكثر سماعات الناس في عصرنا وكثير من الزمان قبله بهذه السبيل ولهذا ما حدثنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب بلفظه. رحمه الله. وغيره عن الفقيه أبي عبد الله أبيه. أنه كان يقول : لاغنى في السماع عن الإجازة. لهذه العلل والمسامحة المستجازة.

وحدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح عن الحافظ أبى ذر الهروي إجـــازة قال : حدثنا الوليد بن بكر المالكي قال : حدثنا أحمد بن محمد أبو سهل العطار بالاسنكدرية قال : كان أحمد بن ميسر يقول : الإجازة عندى على وجهها خير وأقوى في النقل من السماع الردى. وهبك صح هذا كله في مراعاة صدق الخبر.

أين تحرى المروى وتعيين المخبر ؟ لا جرم بحسب هذا الخلل وتظاهر هذه العلل. ما كثر في المصنفات والكتب التغيير والفساد. وشمل ذلك كثيرا من المتون والإسناد. وشاع التحريف وذاع التصحيف. وتعدى ذلك منثور الروايات إلى مجموعها وعم أصول الدواوين مع فروعها. حتى اعتنى صبابة أهل الاتقان والعلم. وقليل ماهم. بإقامة أودها ومعاناة رمدها. فلم يستمر على الكافة تغييرها جملة. لما أخبر عليه السلام عن عدول خلف هذه الأمة.

وتكلم الأكياس والنقاد من الرواة في ذلك بمقدار ما أوتوه. فمن بين غال ومقصر ومشكور عليم ومتكلف هجوم. فمنهم من جسر على إصلاح ما خالف الصواب عنده وغير الرواية بمنتهى علمه وقدر إدراكه. وربما كان غلطه في ذلك أشد من استدراكه. لأنه متى فتح هذا الباب لم يوثق بعد بتحمل رواية ولا أنس إلى الاعتداد بسماع. مع أنه قد لا يسلم له ما رآه. ولا يوافق على ما أتاه . إذ فوق كل ذي علم عليم.

ولهذا سد المحققون باب الحديث على المعنى وشددوا فيه. وهو الحق الذي أعتقده ولا أمتريه. إذ باب الاحتمال مفتوح. والكلام للتأويل معرض. وافهام الناس مختلفة والرأي ليس في صدر واحد. والمرء يفتن بكلامه ونظره. والمغتر يعتقد الكمال في نفسه. فإذا فتح هذا الباب وأوردت الأخبار على ما ينفهم للراوي منها. لم يتحقق أصل المشروع. ولم يكن الثاني بالحكم على كلام الأول بأولى من كلام الثالث على كلام الثاني. فيندرج التأويل وتتناسخ الأقاويل. وكفى بالحجة على دفع هذا الرأي القائل دعاؤه عليه السلام. في الحديث المشهور المتقدم. لمن أدى ما سمعه بعد أن شرط عليه حفظه ووعيه. ففي الحديث حجة وكفاية وغنية في الفصول التي خضنا فيها آنفا من صحة الرواية لغير الفقيه. واشتراط الحفظ والوعي في السماع والأداء كما سمع وصحة النقل. وتسليم التأويل لأهل الفقه والمعرفة. وابانة العلة في منع نقل الخبر على المعنى لاهل العلم وغيرهم بتنبيهه على اختلاف منازل الناس في الدراية وتفاوتهم في المعرفة وحسن التأويل.

والصواب من هذا كله لمن رزق فهما وأوتى علما إقرار ما سمعه كما سمعه ورواه. والتنبيه على ما انتقده في ذلك ورآه. حتى يجمع الأمرين ويترك لمن جاء بعد النظر في الحرفين. وهذه كانت طريق السلف فيما ظهر لهم من الخلل فيما رووه من إيراده على وجهه وتبيين الصواب فيه أو طرح الخطأ البين والاضراب عن ذكره في الحديث جملة. أو تبييض مكانه والاقتصار على رواية الصواب. أو الكناية عنه بما يظهر ويفهم لا على طريق القطع.

وقد وقع من ذلك في هذه الأمهات ما سنوقف عليه ونشير في مظانه إليه. وهي الطريقة السليمة ومذاهب الأئمة القويمة. فأما الجسارة فخسارة. فكثيرا ما رأينا من نبه بالخطأ على الصواب فعكس الباب.

ومن ذهب مذهب الإصلاح والتغيير فقد سلك كل مسلك في الخطأ ودلاه رأيه بغرور. وقد وقفت على عجائب في الوجهين وسننبه من ذلك على ما توافيه العبر. وتحقق من تحقيقه أن الصواب مع من وقف وأحجم لا مع من صمم وجسر. وتتأمل في هذه الفصول ما تكلمنا عليه وتكلم عليه الأشياخ والحفاظ فيما أصلحه أبو عبد الله بن وضاح في الموطأ على يحيى بن يحيى. فيمن تقدم. وعلى ما أصلحه القاضي أبو الوليد الكناني على هذه الكتب فيمن تأخر.

واظهار الحجج على الغلط في كثير من ذلك الإصلاح وبيان صحة الرواية في ذلك من الأحاديث الصحاح.

وكما وجدنا معظما من حفاظ المتأخرين المغاربة أصلا البغداديين نزلا. قد روى حديث جليبيب وقول المرأة : اجليبيب انيه. فقيده : الجليبيب الابنة. لما كان الحديث في خطبة ابنة هذه المرأة وهي قائلة هذا الكلام. ولم ينفهم لمن لم يعرف معنى أنيه. وإلحاق بعض العرب هذه الزيادة الأسماء في الاستفهام عند الإنكار. ظن أنه مصحف من الابنة. وكذلك فعل في حديث جويرية. وشك يحيى بن يحيى في سماعه اسمها في حديثه وقوله : أحسبه قال : جويرية أو البتة ابنة الحارث. فقيده : أو أليته بفتح الهمزة وكسر اللام بعدها ياء باثنتين

تحتها مخففة. وظنه اسما وان شك يحيى إنما هو في تغيير الاسم لا في إثباته أو سقوطه. ويحيى إنما شك هل سمع في الحديث زيادة اسم جويرية أو إنما سمع ابنة الحارث **فقط** ؟ ثم نفى الشك عن نفسه بعد **قوله** : أحسبه قال جويرية. **فقال** : أو البتة أي انى أحقق أنه قالها.

ومثل هذا في حديث يحيى بن يحيى كثير. وسنذكر منه في موضعه إن شاء الله.

وكذلك روى الحديث : ادام أهل الجنة. باللام فقال : باللاي يعنى الثور. وهكذا وجدت معظما من شيوخنا قد أصلح في كتابه من مسلم في حديث أم زرع من روايته عن الحلواني عن موسى بن اسماعيل عن سعيد بن سلمة في قوله وعقر جارتها. فأصلحه : وعبر. بالباء وضم العين. اتباعا لما رواه فيه ابن الأنباري وفسره بالاعتبار أو الاستعبار على ما نذكره. إذ لم ينفهم له ذلك في عقر. والمعنيان بينان في عقر إذ هو بمعنى الحيرة والدهش. وقد يكون بمعنى الهلاك. وكله بمعنى قوله في الرواية المشهورة وغيظ جارتها وسنبينه في موضعه بأشبع من هذا إن شاء الله في أمثلة كثيرة نذكرها في مواضعها. إلا قصة جليبيب فهذا اللفظ ليس في شيء من هذه الأصول. فبحسب هذه الاشكالات والاهمالات في بعض الأمهات واتفاق بيان ما يسمح به الذكر ويقتدحه الفكر مع الأصحاب في مجالس السماع والتفقه ومسيس الحاجة إلى تحقيق ذلك. ما تكرر علي السؤال في كتاب يجمع شواردها ويسدد مقاصدها. ويبين مشكل معناها. وينص اختلاف الروايات فيها. ويظهر أحقها بالحق وأولاها. فنظرت في ذلك فإذا جمع ما وقع من ذلك في جماهير تصانيف الحديث وأمهات مسانيده ومنثورات أجزائه. يطول ويكثر. وتتبع ذلك مما يشق ويعسر. والاقتصار على تفاريق منها لا يرجع إلى ضبط ولا يحصر. فأجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك في الأمهات الثلاث الجامعة لصحيح الآثار التي أجمع على تقديمها في الأعصار وقبلها العلماء في سائر الأمصار. كتب الأئمة الثلاثة : الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس المدني.

والجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. والمسند الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. إذ هي أصول كل أصل ومنتهى كل عمل في هذا الباب وقول. وقدرة مدعى كل قوة بالله في علم الآثار وحول. وعليها مدار أندية السماع وبها عمارتها. وهي مبادىء علوم الآثار وغايتها. ومصاحف السنن ومذاكرتها. وأحق ما صرفت إليه العناية وشغلت به الهمة.

ولم يؤلف في هذا الشأن كتاب مفرد تقلد عهده ما ذكرناه على أحد هذه الكتب أو غيرها. إلا ما صنفه الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في تصحيف المحدثين. وأكثره مما ليس في هذه الكتب. وما صنعه الإمام أبو سليمان الخطابي في جزء لطيف.

والا نكتا متفرقة وقعت أثناء شروحها لغير واحد لو جمعت لم تشف غليلا ولم تبلغ من البغية إلا قليلا. وإلا ما جمع الشيخ الحافظ أبو علي الحسين. بن محمد الغساني. شيخنا رحمه الله. في كتابه المسمى بتقييد المهمل. فإنه تقصى فيه أكثر ما اشتمل عليه الصحيحين. وقيده أحسن تقييد وبينه غاية البيان وجوده نهاية التجويد. لكن اقتصر على ما يتعلق بالأسماء والكنى والأنساب وألقاب الرجال. دون ما في المتون من تغيير وتصحيف وإشكال. وإن كان قد شذ عليه من الكتابين أسماء واستدركت عليه فيما ذكر أشياء. فالإحاطة بيد من يعلم ما في الأرض والسماء. ولما أجمع عزمي على أن أفرغ له وقتا من نهاري وليلي وأقسم له حظا من تكاليفي وشغلي. رأيت ترتيب تلك الكلمات على حروف المعجم أيسر للناظر وأقرب للطالب فإذا وقف قارىء كتاب منها على كلمة مشكلة أو لفظة مهملة فزع إلى الحرف الذي في أولها إن كان صحيحا. وإن كان من حروف الزوائد أو العلل تركه وطلب الصحيح. وإن أشكل وكان مهملا طلب صورته في سائر الأبواب التي تشبهه حتى يقع عليه هنالك. فبدأت بحرف الألف وختمت بالياء. على ترتيب حروف المعجم عندنا. ورتبت ثاني الكلمة وثالثها من ذلك الحرف على ذلك الترتيب. رغبة في التسهيل للراغب والتقريب. وبدأت في أول كل

حرف بالألفاظ الواقعة في المتون المطابقة لبابه على الترتيب المضمون فتولينا إتقان ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها ولا يبقى بها إهمال يبهمها. فإن كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات نبهنا على ذلك وأشرنا إلى الأرجح والصواب هنالك، بحكم ما يوجد في حديث آخر رافع للاختلاف مزيح للإشكال مريح من حيرة الإبهام والإهمال. أو يكون هو المعروف في كلام العرب أو الأشهر أو الأليق بمساق الكلام والأظهر. أو نص من سبقنا من جهابذة العلماء وقدوة الأئمة على المخطىء والمصحف فيه. أو أدركناه بتحقيق النظر وكثرة البحث على ما نتلقاه من مناهجهم ونقتفيه. وترجمنا فصلا في كل حرف على ما وقع فيها من أسماء أماكن من الأرض وبلاد. يشكل تقييدها ويقل متقن أساميها ومجيدها. ويقع فيها لكثير من الرواة تصحيف يسمح. ونبهنا معها على شرح أشباهها من ذلك (2) الشرج. ثم نعطف على ما وقع في المتون في ذلك الحرف بما وقع في الإسناد من النص على مشكل الأسماء والألقاب ومبهم الكنى والأنساب. وربما وقع منه من جرى ذكره في المتن فأضفناه إلى شكله من ذلك الفن. ولم نتبع ما وقع من هذه الكتب من مشكل اسم من لم يجر في الكتاب إلا كنيته أو نسبه، وكنية من لم يذكر في الكتاب إلا اسمه أو لقبه. إذ ذاك خارج عن غرض هذا التأليف ورغبة السائل. وبحر عميق لا يكاد يخرج منه لساحل.

وفي هذا الباب كتب جامعة كثيرة وتصانيف مبسوطة ومقتضبة شهيرة. وقد انتقد على الشيخ أبي علي في كتابه ذكر أشياء من ذاك لم تذكر في الكتابين بحال. ولو أعطى فيها التأليف حقه لا تسع كتابه وطال. وفي ذكر البعض قدح في حق التأليف وغض. كترجمة الجزار والخراز والجراز وذكر من يعرف بذلك ممن في الصحيحين. وليس فيهما من هذه الألقاب مذكورا حقيقة غير يحيى بن الجزار وأبو عامر الخراز ومن عداهما إنما فيهما ذكر اسمه أو كنيته دون نسبته لذلك.

(2) قوله الشرج، قال في اللسان والشرج الضرب يقال، هما شرج واحد، اي ضرب واحد اهـ مصححه.

وكذلك ذكر في الأسماء يور وثور وثوب وليس في الصحيحين من هذه الأسماء الا ثور وحده وغير ذلك في أنساب أسماء وكنى ذكرت فيهما وإنما ذكرنا هاتين الترجمتين مثالا لعشرات مثلها. وذكرنا في آخر كل فصل من فصول كل حرف ما جاء فيه من تصحيف. ونبهنا فيه على الصواب والوجه المعروف. ودعت الضرورة عند ذكر ألفاظ المتون وتقويمها إلى شرح غريبها وبيان شيء من معانيها ومفهومها. دون نقص لذلك ولا اتساع إلا عند الحاجة لغموضه. أو الحجة على خلاف يقع هنالك في الرواية أو الشرح ونزاع . إذ لم نضع كتابنا هذا لشرح لغة وتفسير معان بل لتقويم ألفاظ واتقان. وإذ قد اتسعنا بمقدار ما تفضل الله به وأعان عليه في شرحنا لكتاب صحيح مسلم المسمى بالإكمال. وشذت عن أبواب الحروف نكت مهمة غريبة لم تضبطها تراجمها. لكونها جمل كلمات يضطر القارىء إلى معرفة ترتيبها وصحة تهذيبها. اما لما دخلها من التغيير أو الإبهام. أو التقديم والتأخير. أو أنه لا يفهم المراد بها إلا بعد تقديم اعراب كلماتها. أو سقوط بعض ألفاظها أو تركه على جهة الاختصار ولا يفهم مراد الحديث إلا به. فأفردنا لها آخر الكتاب ثلاثة أبواب.

الباب الأول : في الجمل التي وقع فيها التصحيف وطمس معناها التلفيف. إذ بينا مفردات ذلك في تراجم الحروف.

الباب الثاني : في تقويم ضبط جمل في المتون والأسانيد وتصحيح اعرابها وتحقيق هجاء كتابها وشكل كلماتها وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها. ليستبين وجه صوابها وينفتح للافهام مغلق أبوابها.

الباب الثالث : في إلحاق ألفاظ سقطت من أحاديث هذه الأمهات أو من بعض الروايات أو بترت اختصارا أو اقتصارا على التعريف بطريق الحديث لأهل العلم به لا يفهم مراد الحديث إلا بإلحاقها ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها.

فإذا كملت بحول الله هذه الأغراض وصحت تلك الأمراض. رجوت ألا يبقى على طالب معرفة الأصول المذكورة اشكال. وانه يستغنى بما يجده في كتابنا

هذا عن الرحلة لمتقني الرجال. بل يكتفي بالسماع على الشيوخ إن كان من أهل السماع والرواية. أو يقتصر على درس أصل مشهور الصحة أو يصحح به كتابه ويعتمد فيما اشكل عليه على ما هنا ان كان من طالبي التفقه والدراية. فهو كتاب يحتاج إليه الشيخ الراوي كما يحتاج إليه الحافظ الواعي. ويتدرج به المبتدي كما يتذكر به المنتهى. ويضطر إليه طالب التفقه والاجتهاد كما لا يستغنى عنه راغب السماع والإسناد. ويحتج به الأديب في مذاكرته كما يعتمد عليه المناظر في محاضرته.

وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة والدراية قدره ويوفيه أهل الإنصاف والديانة حقه فإني نخلت فيه معلومي وبثته مكتومي ورصعته بجواهر محفوظي ومفهومي. وأودعته مصونات الصنادق والصدور وسمحت فيه بمضنونات المشائخ والصدور مما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق. ولا يبوحون بسره في متداولات المهارق. ولا يقلدون خطير دره إلا لبابات أهل الحقائق. ولا يعرفون منها راية إلا لمن يتلقاها باليمين. ولا يودعون منها آية إلا عند ثقة أمين.

وقد الفته بحكم الاضطرار والاختيار. وصنفته منتقى النكت من خيار الجيار. وأودعته غرائب الودائع والأسرار. وأطلعته شمسا يشرق شعاعها في سائر الأقطار. وحررته تحريرا تحار فيه العقول والأفكار. وقربته تقريبا تتقلب فيه القلوب والأبصار (وسميته بمشارق الأنوار على صحاح الآثار) وإلى الله جل اسمه ألجأ في تصحيح عملي ونيتي وإليه أبرأ من حولي وقوتي. ومنه أستمد الهداية لهمي وعزمتي. وإياه أسأل العصمة والولاية لجملتي. والعفو والغفران لذنبي وزلتي. إنه منعم كريم.

(باب ذكر أسانيدي في هذه الأصول الثلاثة)

ورأيت ذكرها ليعلم مخرج الرواية التي أنص عليها عند الاختلاف أو أضيفها إلى روايها ليكون الواقف عليها على إثارة من علمها (فاما الكتاب الموطأ) للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الحميري ثم الأصبحي النسب القرشي ثم التيمي

بالحلف الحجازي ثم المدني الدار والمولد والنشأة، من رواية الفقيه أبي محمد يحيى بن يحيى الأندلسي ثم القرطبي الدار والمولد والنشأة العربي ثم الليثي بالحلف البربري ثم المصمودي النسب، التي قصدناها من جملة روايات الموطأ لاعتماد أهل أفقنا عليها غالبا دون غيرها، إلا المكثرين ممن اتسعت روايته وكثر سماعه، فإنا قرأنا جميعه وسمعناه على عدة من شيوخنا ببلدنا وبالأندلس، فحدثنا به الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمان بن محمد ابن عتاب والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين رحمهما الله سماعا عليهما بقرطبة سنة سبع وخمسمائة، عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن محسن بن عتاب.

وقرأت جميعه وسمعته مرة أخرى بسبتة على الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي، وحدثني به عن القاضي أبي الأصبغ غيسى بن سهل، وسمعته على القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي، إلا ما شككت في قراءته عليه فأجازنيه، وحدثني بجميعه عن الشيخ الحافظ أبى علي الحسين بن محمد الجياني، وقد كتب إلي أنا به أبو علي هذا في إجازته إياي، قال هو وأبو الأصبغ ابن سهل : حدثنا أبو عبد الله بن عتاب، قال حدثنا أبو القاسم خلف بن يحيى عن أحمد بن مطرف وأحمد بن سعيد بن حزم ومحمد بن قاسم بن هلال، قال أبو عبد الله بن عتاب : وحدثنا به أيضا أبو عثمان سعيد بن سلمة والقاضي أبو بكر بن وافد، وشك في سماع بعضه منه، وذلك كتاب الحج وبعض كتاب الصلاة، عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى، كلهم عن عبيد الله بن يحيى، عن أبيه يحيى بن يحيى، عن مالك بن أنس.

قال شيخنا أبو محمد بن عتاب والقاضي أبو الأصبغ بن سهل والحافظ أبو علي : وحدثنا أيضا أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، عن الفقيهين أبى عبد الله محمد بن عمر بن الفخار وأبى عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، عن أبى عيسى.

قال أبو عمر : وحدثنا به أيضا أبو جعفر أحمد بن عون الله، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ البياني، عن محمد ين وضاح، عن يحيى بن يحيى.

قال حاتم : وحدثنا به أبو بكر بن حوبيل التجيبي، عن أحمد بن مطرف عن عبيد الله، عن أبيه يحيى.

قال أبو الأصبغ بن سهل : وحدثنا به أيضا الفقيه أبو زكرياء يحيى بن محمد حسين القليعي.

وقال القاضي أبو عبد الله بن حمدين : وحدثني به أيضا أبي رحمه الله، عن أبي زكرياء القليعي، عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبـي زمنين، عن أحمد بن مطرف، عن عبيد الله.

وقال القاضي أبو عبد الله بن عيسى : حدثنا به أيضا الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، عن القاضي أبي الوليد يونس بن مغيث، عن أبي عيسى، قال : وحدثني به أيضا القاضي أبو عبد الله محمد بن خلف بن المرابط، عن أبي الوليد محمد بن عبد الله بن (3) ميقل، وأبي القاسم المهلب بز أبي صفرة، عن أبي محمد الأصيلي، عن ابن المشاط، عن عبيد الله، وعن الأصيلي، عن وهب بن مسرة، عن ابن وضاح.

قال أبو الوليد : وحدثني به أيضا عيسى بن أبي العلا عن أحمد ابن سعيد ابن حزم، عن عبيد الله : وحدثني به أيضا سماعا لبعضه ومناولة لما فاتني منه الفقيه أبو محمد بن أبي جعفر رحمه الله، قال : حدثنا هشام ابن وضاح قال : حدثنا أبو عبد الله بن نبات، حدثنا أبو عيسى عن عبيد الله، وحدثني به أيضا الفقيه أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي والفقيه ابو عمر ان موسى بن أبي تليد والحفظ أبو علي الغساني إجازة وغير واحد قالوا كلهم : حدثنا بجميعه أبو عمر

---

(3) قوله ميقل، كذا في نسخ 3 وضبط في جميعها بكسر الميم وضم القاف اهـ مصححه.

ابن عبد البر الحافظ، عن أبو عثمان سعيد بن نصر، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ، عن ابن وضاح.

قال أبو عمر : حدثنا به أبو الفضل التاهرتي، عن أبي عبد الملك محمد بن أبي دليم ووهب بن مسرة، عن ابن وضاح.

قال أبو عمر : وأخبرني به أيضا أبو عمر أحمد بن محمد الأموي عن أبى المطرف ابن المشاط وأحمد بن سعيد عن عبيد الله.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله : وأخبرني بالموطأ أيضا الشيخ الصالح أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني عن أبى عمرو عثمان بن أحمد عن أبى عيسى. وقد سمعته ورويته واجازنيه غير واحد سوىمن ذكرته، ولنا فيه عن شيوخنا أسانيد أخرى غير ما ذكرناه تركناها اكتفاء بما أثبتناه وكذلك في موطئات غير يحيى وما ذكرناه منها.

وأما الكتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المولد والمنشأ والدار الجعفي النسب بالولاء : فقد وصل إلينا من رواية أبى عبد الله محمد بن يوسف الفربري، وأكثر الروايات من طريقه، ومن رواية إبراهيم ابن معقل النسفي، عن البخاري ولم يصل إلينا من غير هذين الطريقين عنه ولا دخل المغرب والأندلس إلا عنهما على كثرة رواة البخاري عنه لكتابه. فقد روينا عن أبى إسحاق المستملى انه قال عن أبى عبد الله الفربري انه كان يقول : روى الصحيح عن أبى عبد الله تسعون ألف رجل ما بقي منهم غيري.

فأما رواية الفربري فرويناها من طرق كثيرة منها : طريق الحافظ أبى ذر عبد بن أحمد الهروي، وطريق أبى محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، وطريق أبى الحسن علي بن خلف القابسي، وطريق كريمة بنت محمد المروزية، وطريق أبى علي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي، وطريق أبى علي إسماعيل بن محمد الكشاني، وأبى علي محمد بن عمر بن شبوية، وأحمد بن

صالح الهمذاني. وأبى نعيم الحافظ الأصبهاني (4) وأبى الفيض أحمد بن محمد المروزي وغيرهم.

فاما رواية أبى ذر، فإني سمعتها بقراءة غيري بجامع مدينة مرسية لجميع الصحيح بها على القاضي الشهيد أبى علي الحسين بن محمد الصدفي. وحدثنا بها عن القاضي أبى الوليد سليمان بن خلف الباجي، عن أبى ذر عبد بن أحمد الهروي، عن شيوخه الثلاثة أبى محمد بن حموية السرخسي وأبى إسحاق إبراهيم ابن أحمد المستملي وأبى الهيثم محمد بن المكي الكشميهني. كلهم عن الفربري. عن البخاري. وأخبرني به الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون بمدينة اشبيلية، عن أبى ذر الهروي، إجازة.

وأما رواية الأصيلي فإني قرأت بها جميع الكتاب على الفقيه الشيخ أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بمدينة قرطبة، وحدثني به عن أبيه، عن أحمد بن ثابت الواسطي وغيره، عن الأصيلي عن أبى زيد محمد بن أحمد المروزي وأبى احمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني. كلاهما عن الفربري.

قال لى أبو محمد بن عتاب وأجاز نيها الفقيه أبو عبد الله بن نبأت عن الأصيلي. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وكتب إلى بها إجازة بخط يده الحافظ أبو على الحسين بن محمد الجيانى. وحدثنى بها مشافهة الكاتب (5) أبو جعفر احمد بن طريف، حدثانى به جميعا عن القاضى سراج بن محمد بن سراج، عن الأصيلى. قال الجيانى : وحدثنى بها أيضا أبو شاكر عبد الواحد بن موهب عنه، وعارضت كتابى بأصل الأصيلى الذى بخطه حرفا حرفا. وكذلك عارضت مواضع إشكاله بأصل عبدوس بن محمد الذى بخطه أيضا. وروايته فيه عن المروزى. وأما رواية القابسى فحدثنى بها سماعا وقراءة وإجازة أبو محمد بن عتاب وأبو على الجياني وغير واحد. قالوا : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد

---

(4) في نسخة وابي الفضل.

(5) قوله ابو جعفر المشهور في كنيته ابن طريف ابو الوليد احمد كذا. نقل من خط العرف الفاسي وعلى الصواب وقع في الغنية للمؤلف رحمه الله فلعل مه هنـ سبق قلم اهـ مصححه.

الطرابلسي، عن أبي الحسن القابسي، عن أبي زيد المروزي، عن الفربرى. وأخبرنا بها أحمد بن محمد، عن الفقيهين أبى عمران موسى بن عيسى الفاسى وأبى القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمى، بالإجازة عن القابسى. ولنا فيه أيضا رواية من طريق القاضي أبى القاسم المهلب بن أبى صفرة عنه. وأما رواية أبى على بن السكن فحدثنى بها أبو محمد بن عتاب، عن أبيه عن أبى عبد الله بن نبأت، عن أبى جعفر بن عون الله ومحمد بن أحمد بن مفرج، عن أبى على بن السكن، عن الفربرى. قال أبو محمد بن عتاب : وأجازنيها ابن نبأت المذكور. قال القاضي رحمه الله، حدثنا بها الشيخ أبو على الجياني فيما كتب إلينا به، وحدثنا به القاضي أبو عبد الله بن عيسى سماعا لأكثره عنه، قال : حدثنا بها القاضي أبو عمر ابن الحذاء وأبو عمر بن عبد البر الحافظ، قالا : وحدثنا أبو محمد عبد الله بن أسد عن ابن السكن، قال القاضي رحمه الله : وحدثنا به أبو محمد بن عتاب، عن أبي عمر ابن الحذاء، إجازة منه له. وأما رواية كريمة فحدثني بها الشيخ أبو الأصبغ عيسى ابن أبي البحر الزهري، والخطيب أبو القاسم خلف ابن ابراهيم المقري، والشيخ أحمد بن خليفة بن منصور الخزاعي، إجازة، وغير واحد، كلهم عن كريمة (6) بنت محمد، سماعا عن أبي الهيثم الكشميهني عن الفربرى.وأما رواية أبي على الكشاني فإن القاضي الحافظ أبا علي حدثنا بها عن أبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب البزاز، سماعه منه ببغداد، عن أبي عبد الله الحسين بن محمد الخلال، عن أبي علي الكشاني، عن الفربري، وأما رواية أبي اسحاق النسفي فكتب إلي بها الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد الغساني، وسمعت على القاضي أبي عبد الله التميمي كثيرا مما قيد منها عنه، قال : حدثني بها أبو العاصي حكم بن محمد الجذامى، عن أبي الفضل بن أبي عمران الهروي، عن أبي صالح خلف بن محمد الخيام البخاري، عن ابراهيم بن معقل النسفي، عن البخاري. إلا أن النسفي فاته من آخر الكتاب شيء من كتاب الأحكام إلى باب قوله تعالى :

(6) قوله بنت محمد كذا بالاصول التي بيدنا وصوابه بنت احمد اهـ مصححه.

يريدون أن يبدلوا كلام الله فإنه إجازة من البخاري للنسفي. ثم ما بعده لم يكن في رواية النسفي إلى آخر الكتاب وذلك نحو عشرة أوراق. لم يرو منها إلا تسعة أحاديث أول الكتاب. آخرها طرف من حديث الأفك.

وأما **كتاب المسند الصحيح** المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله عليه السلام للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النسب النيسابورى الدار. فإنه وصل إلينا من روايتين أيضا رواية أبى إسحاق إبراهيم بن سفيان المروزى ورواية أبى محمد أحمد بن على القلانسى إلا أن آخره من باب حديث الأفك لم يسمعه ابن ماهان (7) إلا من ابن سفيان فتفردت الرواية من هنالك عن ابن سفيان لأن إلى هنا انتهت رواية أبى بكر بن الأشقر على القلانسى. ولم يصل إلينا من غير هاتين الروايتين. وطرق هاتين الروايتين كثيرة. فأما رواية القلانسى فحدثنى بها الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر الخشنى. بقراءتى عليه لجميع الكتاب بمرسية سنة ثمان وخمسائة. عن أبيه. عن أبى حفص عمر بن الحسن الهوزنى. عن القاضى أبى عبد الله محمد بن أحمد الباجى. عن أبى العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن ماهان (8). عن أبى بكر محمد بن يحيى الأشقر. عن القلانسى. عن مسلم. وحدثنا بها أيضا القاضي أبو عبد الله بن عيسى فيما قرئ عليه وأنا أسمع. إلا ما فاتني فأجازنيه وبعضه قراءة بلفظي. وحدثني به عن الشيخ أبي على الجياني. عن القاضي أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء. عن أبيه. عن ابن ماهان. قال القاضي رحمه الله : وأجازنيه نا الجياني وأبو محمد بن عتاب عن أبي عمر بن الحذاء. وأما رواية ابن سفيان فقرأناها وسمعناها على جماعة من شيوخنا بطرقها المختلفة. فممن سمعتها عليه : الفقيه الحافظ القاضى أبو على الصدفي. والشيخ الراوية أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي. قالا : حدثنا بها أبو

7) قوله الا من ابن سفين صوابه حذف الا وذلك لان ابن مهن لم يدرك ابن سفين وانما روى ذلك الفوت عنه بواسطة ابي احمد الجلودي اهـ مصححه.

8) قوله عن ابي بكر كذا عنده وصوابه عن احمد بن محمد بن يحيى الاشقر الفقيه وعلى الصواب ثبت في فهرسته اهـ من هامش الاصل.

العباس أحمد ابن عمر العذرى، وحدثنى بها أيضا سماعا وقراءة وإجازة القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى عن أبي العباس العذري، إجازة. قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازى. قال أبو بحر: وحدثنى به أيضا الشيخ أبو الفتح نصر بن الحسن السمرقندى، عن أبى الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسى. وقرأتها على الفقيه أبي محمد بن أبي جعفر بلفظي قال: حدثنا (9) أبو علي الحسين الفارسى. قال ابن أبى جعفر: وحدثنى بها أبى، عن أبى حفص الهوزنى، عن أبى محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالى، عن أبى سعيد عمر بن محمد السجزي، وحدثنا الشيخ الحافظ أبو علي الغساني من كتابه، وأبو محمد بن عتاب، وغير واحد إجازة، قالوا: حدثناحاتم بن محمد الطرابلسى، عن أبي سعيد السجزى، قال هو والرازى والفارسى: حدثنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابن سفيان، قال حاتم بن محمد: وحدثنا بها أيضا عبد الملك بن الحسن الصقلي، عن أبي بكر محمد بن ابراهيم الكسائي، عن ابن سفيان عن مسلم. ولنا ولشيوخنا أسانيد أخر في هذين الطريقين وفي طرق البخاري اختصرناها. والآن نبتدئ بترتيب الكتاب وتقريب تلك الفصول الموعود بها والأبواب، والله المعين، إلى ما فيه رضاه المرشد للصواب.

(حرف الهمزة) فمما يذكر من المتون ما ننصه على الترتيب المقدم

باب الألف والهمزة المفردتين مما اختلف فيه:

قوله: اتسخر بى وأنت الملك، حمل الحديث جماعة من المتأولين على أن الألف ألف استفهام، وعلى الإستعارة، والمقابلة، كما قال في قوله: الله يستهزىء بهم، وسنذكره في حرف السين، وقيل بل الألف هنا للنفي بمعنى: لا أى أنك لا تسخر ولا تليق بك السخرية كقوله تعالى: اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أنت لا تفعل ذلك، ومثله قوله في حديث الوصية: أهجر، أو: أيهجر؟ في رواية من

9) قوله ابو علي الحسين المعروف في كنيته ابو عبد الله وبذلك كنه المؤلف في الغنية فلعل م هذ سبق قلم اهـ مصححه.

رواه. بمعنى يهذى. أى أنه لا يهجر ولا يصح أن يهجر. وهو معصوم من أن يقول ما لا حقيقة له. وأنه لا يقول في الصحة والمرض واليقظة والنوم والرضى والغضب إلا حقا. وهذا كله صحيح من جهة المعنى (الهمزة مع الباء) (ا ب د) قوله عليه السلام أن لهذه البهائم أو ابد كأوابد الوحش) معناه نوافر وشوارد يقال : أبدت تأبد وتأبد. إذا توحشت (وقوله) بل لا بد. أبد ويروى : لا بد الابد أى آخر الدهر.

خطبـــــة كتــــــاب :

(مطالع الأنوار على صحايح الآثــــــار)
لأبي إسحاق ابن قرقـــول

نقلا من مخطوط السفر الأول من مطالــــع
الأنوار لابن قرقـــــول

بخزانة الجامع الأعظم بمكنــــــاس
رقـــــم (165)

خطبة مطالع الأنوار لابن قرقـــول :

بسم الله الرحمان الرحيم. وصلواته على سيدنا محمد وآله...

الحمد لله مظهر دينه على كل دين. وحافظه من شبه المبطلين. وباعث رسوله الأمين إلى كافة الخلق أجمعين. بكتابه الحق المبين.... بالإعجاز حروفه ومعانيه. محفوظة بالبلاغة والإيجاز أساليبه ومبانيه. فما قدر العدو الجاحد على الحاق خلل به. بتبديل لفظة من ألفاظه ولا تغيير معنى من معانيه. مع كثرة الجاحد الجاهد على إطفاء نوره. وظهرة المعادي المعاند لظهوره. حفظا من الله تعالى كما وعد. وتعجيزا لمن رام ذلك ممن عاند وجحد. قد بين سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. من مناهج دينه وشرعته. ما وكل نفي التحريف عنه. إلى عدول أعلام الهدى من أمته. فلم يزالوا يذبون عن حمى السنن ويقومون لله تعالى بهديهم القويم الأحسن. وينبهون على كل من (يتهم بهتك) حريمها. ومزج صحيحها بسقيمها. حتى بان الصدق من المين. وتميز الصحيح لذي عينين. وتبين الخبيث من الطيب. وتبين الرشد من الغي. واستقام بحمد الله ميسم الصحيح. وأبدى الرغوة عن الصريح. ثم نظروا بعد هذا التمييز العزيز والتصريح المريح. نظرا آخر فيما يقع (لآفة) البشرية ثقات الرواة من وهم وغفلة. فنقبوا عن أسبابها. وهتكوا (سجف) حجابها. إلى أن وقفوا على سرها. ووقعوا على خبيئة أمرها.

فأبانوا عللها وقيدوا مهملها. وأقاموا محرفها. وعاينوا سقيمها. وصححوا مصحفها. وأبرزوا في ذلك تصانيف كثرت صنوفها وظهر شفوفها. واتخذها العالمون قدوة. ونصبها العالمون قبلة. فجزاهم الله عن سعيهم الحميد أحسن ما جازى به أحبار ملة وعلماء أمة. ثم كلت بعدهم الهمم وقلت الرغائب. وضعف الطالب والمطلوب. وقل (القائم مقامهم في المشارق والمغارب) وصار جهد (المبرز في علم) السنن (النقل) لما أثبت في كتابه وأداء ما قيد فيه دون معرفة بخطئه من صوابه.

إلا آحادا من مهرة العلماء وجهابذة الفقهاء، وأفراد الدراري نجوم السماء، ولعمرى الله ان هذه بعد لحظة أعطى صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم. المتصف بها حظه من الأجر وقسطه. إذا وفى عمله شرطه، وأتقن حفظه وضبطه. كما حدثنا الشيخ الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري قراءة عليه. حدثنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي. حدثنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد. حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعبة المروزي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب، حدثنا محمد بن عيسى السلمي الحافظ. حدثنا محمود بن غيلان. حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة. قال : أخبرني عمر بن سليمان من ولدى عمر بن الخطاب قال : سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». فدعا صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن سمع منه حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، وقد كان فيمن تقدم، من سلك هذا السبيل من الإقتصار على أداء ما سمع ووعى، وتبليغ ما قيد وروى، دون تكلف ما لم يحط به علما، من تبديل لفظ أو تأويل معنى. وهذه رتبة أكثر الرواة والمشايخ المتقدمين. وأما الإتقان وجودة المعرفة ففي الأعلام منهم والأئمة المشهورين. ثم تساهل الناس بعد. في الحمل والأداء، فأوسعوه اختلالا ولم يألوه خبالا. وربما شاهدنا الشيخ المسموع بشأنه وثنائه. المتكلف شاق الرحلة. إلى لقائه (تنتظم به) المحافل (ويتناوب الأخذ عنه) ما بين نبيه وخامل، وفقيه وجاهل، حضوره كعدمه، وبناؤه كهدمه، كتبه مهملة من التقييد والضبط مسجلة من غير شكل ولا نقل. ثم لا وعى ولا حفظ، ولا نصيب لشيء من العناية مما يتعاطى من الرواية ولا حظ. سوى لقيت فلانا وأجازني فلان، وسمعت على فلان. وكله (أو) أكثره زخارف وهذيان. لا تحصيل ولا توصيل. إن يسأل عن تعبير لفظ أو تحقيق معنى، جبه السائل وعاب المسائل. أو طولب بتأويل مشكل أو إقامة إعراب،

طوى الكتاب وسد الباب وهجر الأصحاب وزعم أن البحث والطلب من سوء الأدب. قد حمى حمى جهله بالنجه وتقطيب الوجه. فلا جرم بحسب هذا الخلل وتظاهر هذه العلل في كثير من أشياخ الرواية. المحرومين نظر المعرفة والدراية. المريحين أنفسهم من كد البحث. كثر في كتب الحديث التغيير والفساد. تارة في المتن وتارة في الإسناد. وشاع التحريف واتسع التصحيف وتعدى ذلك منثور الروايات إلى مجموعها. وعم أصول المصنفات مع فروعها.

فلولا أن الله سبحانه قيض لإقامة أودها ومعاناة رمدها. صبابات من أهل الإتقان في كل زمان. لاستمر على الكافة تحريفها واستقر في موضوعات السنن بتبديل الجهلة تحريفها وتصحيفها. لكن قول الرسول عليه السلام حق. ووعد الله تعالى إياه صدق. كما حدثنا الفقيه أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقي والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن موهب الجذامي. قالا : حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري. حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البزاز المكي. حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين. حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي. حدثنا قتيبة. حدثنا سعيد بن عبد الجبار الحمصي. حدثنا معاذ بن رفاعة السلامي. حدثنا ابراهيم ابن عبد الرحمان العذري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». فلذلك ما انتهض الجهابذة النقاد مع مرور الأزمان واختلاف البلدان. إلى حراسة ذلك بقدر ما أوتوه من العلم والبيان والتبريز في علم اللسان. فمن بين غال ومقصر. ومقلد ومستبصر. وعارف مدرك ومتكلف مرتبك. فمنهم من جرؤ وجسر. وأقدم على إصلاح ما غير. على حسب ما بدا له وظهر. كل بمنتهى علمه وقدر إدراكه. فربما كان غلط بعضهم في ذلك أبشع من استدراكه. ولأن باب التغيير للرواية متى فتح لم يوثق بعد بتحمل منقول. ولم يؤنس على اعتداد بمسموع. مع أنه قد لا يسلم له ما رواه ولا يوافق على ما أتاه. إذ فوق كل ذي علم عليم. ولهذا رأى المحققون سد باب نقل الحديث

على المعنى وشددوا فيه. وهو الحق الذي اعتقده. والشرع الذي أذب عنه وأتقلده. إذ باب الإحتمال متسع. وظاهر الكلام للتأويل معرض. وأفهام البشر مختلفة. وآراؤهم متفرقة. والمرء مفتون بكلامه. ومغتبط بفهمه واستدلاله. والمغتر يعتقد الكمال لنفسه. فلو فتح هذا الباب وتسومح في نقل السنن منها لذوي الألباب على معنى ما ينفهم. لتغير المسموع ولم يتحقق أصل المشروع. ولم يكن الآخر بالحكم على كلام الأول. بأولى من كلام من بعده عليه. فيتعارض التأويل وتتهافت الأقاويل. وكفى حجة على دفع هذا الرأي الاقيل دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن سمع قوله فأداه على حسب ما وعاه. ففيه حجة وكفاية تدفع رأي من رأى تبديل لفظ الرواية. بل نقلها على ما سمعها هو الواجب. ثم تسليم التأويل لأهل الفهم والفقه لازم. فهم أحق بالتأويل. وأهدى إلى السبيل. كما قال عليه السلام : «رب حامل فقه ليس بفقيه. ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» ومن التنبيه على اختلاف منازل الناس في الفقه وتفاوتهم في الفهم. فتعين الصواب من هذين الرأيين. في رأي من رأى إقرار الرواية والسماع على ما روى وسمع. فإن رزق فضل فهم وزيادة فقه. نبه على ما ظهر له منها من خلل. من غير أن يغير فيها أو يبدل.

فيجمع بين الامرين ويترك لمن جاء بعده النظر في اللفظين. وهذه كانت طريقة السلف فيما ظهر لهم من الخلل. كانوا يوردونه كما سمعوه. وينبهون عليه في حواشي كتبهم لمن جاء بعدهم. ومنهم من كان يسقط ما بان له اختلاله مما لا شك فيه. ويبقى مكانه من الكتب أبيض. وقد وقع من ذلك في مصنفات السنن ما سنوقف إن شاء الله عليه. ونشير في مكانه إليه. وهي الطريقة السليمة ومذاهب الأئمة القويمة. وأما الجسارة فربما عادت بخسارة. فكثيرا ما رأينا من نبه بالخطأ على الصواب. وتولج المنزل من غير الباب. كما قد فعل الشيخ أبو عبد الله محمد ابن وضاح في كثير من اصطلاحاته على يحيى بن يحيى رحمه الله روايته في الموطأ. فصار هو في أكثرها المخطأ المبطأ. وكذلك ما تجاسر عليه القاضي أبو

الوليد هشام ابن أحمد الوقشي رحمه الله. من إصطلاحاته في الصحيحين وفي استدراكه على ابن اسحاق في سيره. فبحسب هذه الإشكالات والإهمالات الواقعة في مصنفات الحديث الثلاثة التي هي كتب الإسلام الحاوية لمعظم شرائعه وسننه في أحسن تصنيف وأبدع نظام. التي هي الموطأ وصحيحا البخاري ومسلم رحمهما الله. انتدبت إلى بيان ما سمح به ذكري واقتدحه فكري. ووعاه حفظي. وانتهى إليه قسمي من هذا العلم وحظي. بعد أن استخرت الله سبحانه فيما نويت من ذلك وسألته التوفيق والإرشاد إلى طريق السداد. واقتصرت على هذه المصنفات المذكورات. إذ هي الأصول المشهورات المتداولات بالرواية. المتعقبات بالتفقه فيها والدراية. فهي أصول كل أصل ومنتهى كل غاية في هذا الباب وفصل. عليها مدار أندية السماع وبها عمارتها. وهي مبادىء علوم الآثار وغايتها. ومصاحف السنن ومذاكرتها. وأحق ما صرفت إليه العناية وشغلت به الهمة. ولا أعلم أن أحدا قبلي ألف على مجموع هذه المصنفات كتابا مفردا تقلد عهده ما تقلدته من بيان مشكلها وتقييد مهملها ووسم مقفلها. وشرح ألفاظ غريبها. وضبط أسماء رجالها. وإزاحة اشكالها. إلى ما بينت من اختلاف نقلتها في ألفاظ متونها وأسماء رواتها.

ثم لما أجمع عزمي على النظر في ذلك والتفرغ للتذكير والتعليم. ثم للخاصة للرواية والتسميع. رأيت ترتيب هذا الغريب على حروف المعجم أقرب وأفهم. وأخلص من التكرار للألفاظ بحسب تكررها في هذه الأمهات. وأسلم تيسيرا على الطالب ومعاونة للمجتهد الراغب. فإذا وقف قارىء حصيف من هذه المصنفات على لفظ غريب أو كلمة مشكلة أو اسمية مهملة. فزع إلى الحرف الذي في أوله : إن كان صحيحا طلبه في الصحيح. وإن كان مضاعفا أو معتلا أو مهموزا طلب كلا في بابه. ونسقت أبوابه على نسق حروف المعجم عندنا بالمغرب. وبدأت في أول كل حرف منه بالألفاظ الواقعة في متون الأحاديث دون أسماء الرجال والبقاع. وهكذا حرفا بعد حرف إلى آخر الحروف. مقيدا كله بما يعصمه الله من التغيير والتصحيف والتبديل والتحريف. ليكون عصمة لمن اعتصم به وعياذا لمن لجأ إليه

من أصحابي الآخذين عني. فمن فاته شيء من التقييد عني بغفلة أو نسيان أو تضييع وإهمال، استدركه من هذا الكتاب إن شاء الله. ثم ليتعلم قارىء هذا الكتاب أني لم أضعه لشرح اللغات وتفسير المعاني وتبيين وجوه الاعراب. بل لحفظ الرواية وتقييد السماع وتمييز المشكل وتقييد المهمل. وفتح ما استغلق من تلك اللغات، وتوجيه ما اختلفت فيه الروايات، وجذب منآدهم إلى جهة الصواب. على قدر ما فتح لي من فهم هذه الأبواب. فإن أمضى الله عز وجل وبلغني من غاية قصدي وكمل لي هذه الأغراض في مداواة تلك الأمراض، رجوت ألا يبقى على طالب معرفة هذه الأصول المذكورة إشكال، وأن سيغنى الناظر فيه بما يقف عليه منه، عن الرحلة إلى متقنى أهل هذه الصناعة ان ظهر في قطر من الأقطار. بل يكتفى إن شاء الله بمقابلة كتابه بكتاب قرىء علي، أو سمع، مما يجد عليه خط يدي. ثم إن أشكل عليه لفظ وجد بيانه فيه، إلا ما لا بد فوته بحكم البشرية التي منعت الإحاطة والكمال وألزمت الغفلة والنقصان، والخطأ والذهول والنسيان.

فهو كتاب يحتاج إليه الشيخ الراوي، كما يلجأ إليه الحافظ الواعي، ويتدرج به المبتدي كما يتذكر به المنتهي، ويضطر إليه طالب التفقه والإجتهاد، كما لا يستغني عنه طالب الرواية والإسناد. ويحتج به الأديب في مذاكرته، كما يعتمده المناظر في محاضرته. وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة قدره، ويوفيه أهل الإنصاف حقه. فإني نخلت فيه معلومي وبثثته مكتومي وأودعته محفوظي ومفهومي، وسمحت فيه بمصونات الصنادق والصدور، وبمكنونات المهارق والصدور، بما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق، ولا يبوحون بسره إلا لطالبي الحقائق، ولا يرفعون راية إلا لمتلقيها باليمين، ولا يكشفون منها غاية إلا لثقة أمين. وإلى الله ألجأ في تصحيح عملي ونيتي، وإليه أبرأ من حولي وقوتي، ومنه أستمد التوفيق والهداية وإياه أسأل العصمة والوقاية، إنه منعم كريم ذو فضل عظيم. **وقد سميته** بمطالع الأنوار على صحايح الآثار، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإياه استعنت، فهو خير معين وأقوى ظهير.

أصل السراج من الشفاء
ومن عليه من طرر وسماعات وأسانيد

الأستاذ محمد الراوندي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا

محمد وآله وصحبه ـ اللهم يسر وأعـــن ـ

أصل السراج من الشفاء
وما عليه من طرر وسماعات وأسانيد

تلقانى ـ أثناء مطالعاتي في المخطوطات ـ حواش وطرر وتقاييد، وتعاليق وسماعات وأسانيد ذوات أهمية قصوى، وبخاصة أنها تكون في الغالب بخطوط مشاهير العلماء.

وبالرغم من أنها متفاوتة القيمة، إلا أنها لا تخلو من أهمية وجدوى، لذلك ينبغى أن لا تقل قيمتها عندنا عن أي أثر من الماضي البعيد، كقطع النقود وبقايا الاطلال سواء.

وقد كان للقدامى كبير الولع بها وعظيم الاعتناء والاحتفاء بشأنها وجدواها، فاعتمدوها مصدرا أصيلا من مصادر الدرس عندهم، ويشهد تراثنا (التراجمى) خاصة على مدى اعتماد كتاب التراجم عليها.

ومن أسف أن من المحققين والناشرين المحدثين من يستهين بما يجد منها على الأصول، فيمر بها لا يلقى اليها بالا.

ولمناسبة مهرجان قاضينا «عياض» بدا لي أن أضع أمام السادة الأفاضل المشاركين أنموذجا منها على رجاء أن يلفت إلى ضرورة الاعتناء بها، واعتبار قيمتها وجدواها على الدرس التاريخي لماضينا الثقافي والحضارى بوجه عام.

• • •

كتاب «الشفا» من الكتب التي كتب الله لها القبول. وتلقيت بالاكبار والاجلال منذ عصر مؤلفه الذي دعا له شيخه أبو بكر بن العربي لما أوقفه عليه بقوله «بارك الله فيك يا أبا الفضل». واستحسنه جدا (1).

واستجاب الله دعاء ابن العربي فحظي الكتاب بعناية الخاصة والعامة. واحتل مكان الصدارة في تراث الأمة.

نقل المقرى عن عمه الإمام سعيد بن أحمد قوله «ما ألف في الملة المحمدية مثل كتاب الشفا للقاضي عياض...» (2)

وتوالت عناية الأئمة الأعلام به موصولة مترادفة.

ينتسخون منه النسخ بخطوطهم. تقربا إلى الله وزلفى. وابتغاء ثواب العلم الجسيم (3).

ويعتنون به شرحا وتعليقا. رواية وتصحيحا. ضبطا واتقانا.

قال أبو العباس المقرى :

وكما اعتنى الناس بذلك (الشرح والتعليق) اعتنوا أيضا بتصحيحه وضبطه واتقانه. ولقد وقفت من نسخه الصحاح على عدة...) (4).

من هذه النسخ الصحاح ـ التي وقف عليها المقرى ـ نسخة فريدة (5) ظلت تقاوم الارضة والبلى والضياع والاهمال. وتشكو تقصير خلف كان لسلفهم بها عظيم العناية والاحتفاء. ونحمد الله ان نجت من محنة «التهجير» إلى دار الكفر بمكتبات أوربا حيث تنبه مستشرقوها منذ وقت مبكر لقيمة مثل هذه الأصول.

---

1) أزهار الرياض 4 / 272 من تحقيق الأستاذين سعيد أعراب ومحمد بن تاويت.
2) المصدر السابق 4 / 271.
3) برنامج الوادي اشي 218.
4) أزهار الرياض 4 / 308.
5) الشفاء للقاضي عياض : المخطوطة 407 ق الخزانة العامة بالرباط. والقاف تعنى المخطوطات الوقفية تمييزا لها عن الدال «الدولة» و«الكاف» الكتانية و«الجيم» الجلاوية و«الحاء» الحجوية... الخ.

يعود تاريخ نسخها إلى الثلث الأول من القرن السابع (632 هـ) ومن ذلك التاريخ إلى اليوم، تنقلت بين حواضر العدوتين : سبتة وغرناطة، وفاس ودرعة.. إلى الرباط، وتداولتها عبر العصور أيدى علماء أعلام منهم :

- أبو الحسن بن فرج القيسى السبتى الذي كتبها بخطه وعارضها بأصل شيخه «الطراز».
- أبو عبد الله الطراز الغرناطى الذي قرئت عليه ووضع خطه بصحة السماع.
- أبو زكرياء السراج الفاسي الذي نقل إلى حواشيها ما كان على أصل ابن رشيد من طرر وعارضها به وأثبت صدرها أسانيده إلى كتاب الشفاء.
- ● أبو العباس المقرى : الذى عدها من بين النسخ الصحاح التي وقف عليها، وأفاد منها.
- محمد المكى بن موسى الدرعى، الذى تملكها ووضع توقيعه بالتمليك.
- الأستاذ العلامة محمد إبراهيم الكتاني : الذي قدرها حق قدرها فيما انتخب من نوادر مخطوطات تامكروت ويسرها للنفع العام بنقلها إلى الخزانة العامة بالرباط.
- ما قدمناه على وجه الاجمال نعود الآن إلى بسطه وتفصيله :

فأما ناسخها فهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن فرج القيسى (6) السبتى المتوفي بغرناطة سنة 664 هـ.

قال في ترجمته معاصره ابن الزبير في صلته :

«كان كاتبا بارعا له مشاركة واعتناء بالحديث والاسناد وقيد بخطه وكتب واعتنى بالأخذ عن الشيوخ، وكلفنى فاستجزت له طائفة..».

---

6) ترجمته عند ابن الزبير في صلة الصلة 140 الترجمة 228. طبعة الرباط بعناية بروفنسال 1938.

فرغ من نسخها «لأربع خلون من شهر شعبان المكرم عام اثنين وثلاثين وستمائة» (7).

ومن الطريف أن مخطوطة الالماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع «المحفوظة بالاسكوريال» (8) رقم 1572. من خط ابن فرج هذا. فرغ منها في الخامس من شهر رمضان المعظم سنة 632 هـ أى بعد شهر واحد فقط من فراغه من نسخ الشفاء.

ويعلم الله كم غاب عنا من نسخ متقنة بخطه فيما ضاع من كنوز تراثنا أو ما لا يزال مغمورا لا ندرى له مكانا !

ومن يدرى ؟ لعل من بينها مصنفات للقاضي عياض نفتقد بين حين وآخر أصولا منها متقنة.

عنوان الكتاب بخط مغلظ شأن عناوين الأبواب والفصول :

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم.

تأليف : الفقيه الاجل القاضي الحافظ أبو الفضل (كذا) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي - رضي الله عنه -

- رواية الفقيه أبى عبد الله بن غازى السبتي عنه.

- رواية الفقيه المحدث أبى العباس العزفى عنه.

- رواية الفقيه الثقة الضابط أبى عبد الله بن سعيد عنه رواية كاتبه علي ابن محمد بن فرج عنه.

نقله بخطه علي بن محمد بن علي بن فرج القيسى - نفعه الله به - من أصل الفقيه الأجل الفاضل الكامل الراوية الأحفل أبى عبد الله محمد بن سعيد

---

7) أصل السراج من كتاب الشفاء مخطوط الخزانة العامة بالرباط 407 ق صفحة 276.

8) وهي احدى النسخ الثلاث التي اعتمدها محقق الكتاب الأستاذ سيد صقر في إخراج النص المحقق من «الالماع».

وانظر مقدمته ص 31، فإنه اكتفى بنقل ما جاء في آخر النسخة دون التعرض للتعريف بالناسخ.

ابن علي الأنصاري الذي كتبه بيده وأتقنه وصححه وقرأه على الفقيه المحدث الجليل أبى العباس العزفى بسبتة حسبما قيد على ظهر كتابه.

ونص التقييد المذكور :

يقول محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الغرناطي : (هو الطراز).

(قرأت هذا الكتاب من أوله إلى آخره على الشيخ الأجل الفقيه المحدث الحافظ الأحفل : أبى العباس أحمد بن الشيخ الفقيه أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد اللخمى - رضي الله عنه - ونفعه بالعلم. وهو يمسك على كتاب روايته.

وحدثني به عن الفقيه الفاضل أبى عبد الله محمد بن الشيخ الزاهد أبى علي حسن بن عطية بن غازى سماعا عليه لأكثره وقراءة لسائره. عن مؤلفه الفقيه القاضي أبي الفضل عياض بن موسى. رحمه الله. قراءة عليه سنة خمسين وثلاثين وخمسمائة.

وحدثني به أيضا عن أبيه سماعا لبعضه عن القاضي مؤلفه وكتب محمد المذكور بخطه لخمس خلون من شهر رجب الفرد سنة عشرين وستمائة. والحمد لله رب العالمين.

● وأما أبو عبد الله الطراز الذى نقل ابن فرج من أصله المتقن فهو أحد أعلام الثقافة الإسلامية بالفردوس المفقود :

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصارى أبو عبد الله الطراز (588 - 645 هـ).

ذكر ابن الابار (9) من شيوخه أبا العباس العزفى وأبا الربيع بن سالم وأبا عبد الله بن خلفون وأبا محمد بن القرطبى.

وذكر في شيوخه بالاجازة : أبا جعفر بن حكم. وأبا الحسن الشقورى وقال عنه ابن عبد الملك : (10).

---

9) انظر ترجمته في التكملة 2 / 659 ت 1683 ط عزت العطار.

10) انظر الذيل والتكملة 6 / 210 ت 613.

... كان شديد العناية بشأن الرواية، كثير الاهتمام بلقاء حملة العلم ممن أطال الرحلة في طلبه بالأندلس والعدوة، وكان ضابطا لما قيد وروى، ثقة فيما يحدث به، **من أبدع الناس خطا، وأنبلهم** تقييدا حافظا للحديث، عارفا لرجاله، ذا حظ صالح من الأدب وعلوم اللسان والتاريخ فصيحا بليغا.

ـ وأما أبو العباس العزفي شيخ الطراز فهو احمد بن القاضي محمد بن أحمد ابن محمد اللخمى المتوفى سنة 633 هـ.

ترجمة تلميذه أبو الحسن الرعينى في برنامجه (11) قال :

«برز علما وعملا، ورواية ودراية لزم التدريس **بجامع سبتة** مدة عمره ورحل الناس إلى الأخذ عنه والاستفادة منه».

وذكر في شيوخه أباه، وأبا عبد الله بن غازى **الذى سمع عليه الشفاء وشرح حديث أم زرع، والالماع، وغير ذلك من تواليف عياض».**

ثم نقل اقرار أبى العباس العزفى بصحة قراءة الطراز عليه، ونصه : «ما قاله الفقيه الفاضل الزاهد أبو عبد الله المذكور (الطراز) صحيح.

وكتب عبيد الله الفقير إلى عفوه أحمد بن محمد بن أحمد المذكور أعلاه في التاريخ المذكور وهو يحمد الله بما ينبغى له، ويصلى على سيدنا محمد وآله ويسلم». يلى ذلك بخط الناسخ أيضا :

«وسمعت كثيرا منه من لفظ الفقيه الأجل أبى عبد الله المذكور (الطراز) وأجاز لى سائره مع جميع رواياته، والحمد لله».

وبعده :

«ثم سمعت جميعه عليه وسمع ابني معى نحو النصف، وأصل المؤلف يمسك علينا».

وبعده بخط الطراز ـ وقد سبق تنويه ابن عبد الملك ببراعة خطه وجماله :

---

11) برنامج الرعينى 42 ـ 47 ت.

«سمع علي صاحبنا الفقيه الاجل الكاتب الضابط الأعرف الحافظ المتفنن الأفضل أبو الحسن علي بن الشيخ المبارك المجاهد الصالح أبى عبد الله محمد ابن علي بن فرج القيسى نفعه الله بعلمه. وزينه بالحشمة والحلم. جميع هذا الكتاب من أوله إلى آخره. وكان قد نقله من كتاب روايتي على شيخنا الفقيه الجليل العالم أبى العباس أحمد بن الفقيه القاضي أبى عبد الله محمد بن أحمد اللخمي العزفي رحمه الله بقراءتي عليه. ثم قابلت كتابي بعد بأصل مؤلفه الفقيه القاضي الإمام أبى الفضل عياض بن موسى رضي الله عنه - مصححا له متحريا في نقل ما فيه حتى لم أهمل شيئا مما فيه. وحضر الآن في هذا السماع الأصل المذكور وأمسك علينا وصحح به الفقيه الأجل أبو الحسن المذكور ورد كتابه هذا اليه. وأقر ما ثبت في كتاب شيخنا أبى العباس - رحمه الله - بعلامته.

وسمع معه نحو النصف منه ابنه المرجو محمد هداه الله وأقر به عينه وأذنت لهما في روايته عنى عن شيخنا الفقيه الفاضل أبى الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقى ثم الشقورى إجازة منه لى بقرطبة أعادها الله للإسلام في سنة ثلاث عشرة وستمائة عن مؤلفه رضي الله عنه إجازة منه له أيضا.

وقد صحت لنا هذه الرواية بمعارضته بأصل مؤلفه والحمد لله.

وعن الفقيه أبي العباس المذكور بحق بقراءتي عليه. والله ينفعني واياهما بالعلم ويجعلنا من أهله. وممن حمله حق حمله.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني به محمد بن سعيد بن علي الأنصارى عفا الله عنه. وذلك في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وأربعين وستمائة والحمد لله حق حمده».

وعلى الطرة اليسرى لأسفل صفحة 276 آخر «متن الشفاء».

«بلغت المقابلة بأصل الفقيه الجليل الفاضل أبي عبد الله محمد بن سعيد - أعزه الله - الذى نسخه بيده. وقابله وصححه بأصل الفقيه المحدث أبى العباس العزفى ثم قرأه عليه.

وصحح الفقيه أبو العباس أصله بيده بأصل شيخه الفقيه الفاضل أبى عبد الله محمد بن الصالح أبي علي بن عطية بن غازي المقروء على مؤلفه مرتين. والحمد لله وصلى الله على محمد وآله».

وعلى يمين هذه الطرة :

بلغت سماعا لجميعه على الفقيه الفاضل أبى عبد الله بن سعيد وتصحيحا ومعارضة بأصل مؤلفه القاضي أبى الفضل عياض في أخريات شهر رمضان المعظم ثلاث وأربعين وستمائة.

وفي آخر هذه الصفحة بخط ابن فرج جاء ما يلي :

نقلته من أصل الفقيه الفاضل الزاهد الكامل أبى عبد الله محمد بن سعيد الذى خطه بيده وصححه وأتقنه غاية الإتقان وألفيت آخره مقيدا بخطه ما نصه :

«بلغت قراءة وتصحيحا لجميعه على الشيخ الفقيه المحدث العدل الحافظ أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمى ثم العزفى - أعزه الله بطاعته - وهو يمسك على كتابه الذى صححه بيده.

وحدثني به عن الفقيه الفاضل أبى عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبى علي حسن بن عطية بن غازى سماعا عليه لأكثره وقراءة لسائره عن مؤلفه الفقيه القاضي أبي الفضل قراءة عليه سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وكان أصل الشيخ أبى عبد الله معارضا بأصل القاضي مقروءا عليه مرتين : احداهما للفقيه أبى عبد الله المذكور والثانية لخاله الفقيه أبى عبد الله محمد بن الخطيب أبى الربيع سليمان ابن سبع سنة اثنتين وعشرين.

ذكر ذلك شيخنا أبو العباس في آخر كتابه.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة مولاه محمد بن سعيد بن علي بخطه».

نعود لصفحة العنوان فيلقانا - بخط دقيق - تقييـــد على درجة قصوى من الأهمية. إلا أنه للأسف. ضاع منه على الأقل سطر. ومن الراجح أن الضائع منه له صلة بوصف أصل المؤلف الذى بخطه. وعليه قابل ابن فرج نسخته وردها اليه.

أما ما بقي من هذا التقييد يفيد أن أصل المؤلف الذي بخطه كان عليه «أسمعه الناس عليه (القاضي عياض) بسبتة وغرناطة حسبما تقيد أوله وآخره.

ثم نبه الناسخ على العلامات التي وضعها على نسخته فقال : فكل ما في كتابي هذا مكتوبا بالحمرة أو عليه علامة «عين» (فهو ما) في أصل المؤلف عياض.

وما في الأصل مكتوب بالحمرة أو عليه «ز» فهو ما في أصل أبى العباس العزفي. لعله مما كتب قبل تنقيح المؤلف الكتاب. أو تلقى عنه املاء فتعقب بعد ذلك أصله المذكور وأصلح فيه، وزاد ونقص».

وعلى هامش نفس الصفحة. تحت التقييد المذكور. ما صورته :

«كل ما عليه معلم «قر» : مما قيده الأستاذ أبو محمد القرطبي رحمة الله عليـــه».

رجعت إلى ما قيد على هوامش النسخة من طرر عليها بعلامة أبى محمد القرطبي فوجدتها مراجعات وتعقبات على القاضي عياض في أسماء الرجال وضبط الإسناد.

وهي طرر تستحق أن تكون موضوع دراسة مفردة بعد تجريدها. وسأكتفي بتقديم مثال واحد منها :

قال القاضي عيـــاض :

حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه - رحمه الله - بقراءتى عليه. حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد. **حدثنا أبو عمر بن الفخار حدثنا أبو عيسى يحيى، حدثنا مالك...» (12).**

نص التعقب المنسوب لأبى محمد القرطبي :

غلط (القاضي) هنا في موضعين :

أحدهما : **حدثنا أبو عمر** - وإنما هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الفخار الفقيه.

---

12) الشفاء المخطوط 407 ق صفحة 106.

الثاني : قوله : **حدثنا أبو عيسى**، والصواب عن أبى عيسى عن عبيد الله ابن يحيى عن يحيى (13). وأبو محمد القرطبي (556 ـ 611 هـ) صاحب هذه التعليقات مترجم عند ابن الابار وابن عبد الملك وابن الزبير. وعنهم نقل الذهبي في تذكرته 1336. وبوساطته نقل السيوطي في الطبقات 491 وبغية الوعاة 1336/2 وأجمعوا على إمامته وجلالته وتفطنه وتمكنه. قال ابن عبد المالك (14) : «كان من مفاخر زمانه... ـ رئيس المحدثين وإمامهم واسع المعرفة. مكثرا ثقة عدلا أمينا مكين الدراية... نبيل المقصد ناقدا ذاكرا أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم. وما حلوا به من جرح وتعديل وهذا الفن من فنون العلم كان أغلب عليه وشهر به. فلم يكن أحد يدانيه في ذلك...»

وكان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام سوى مجلس تدريسه يتكلم فيه على الحديث اسنادا ومتنا بطريقة أعجز عنها الكثير من أكابر زمانه».

وذكر له ابن الأبار كتاب «تلخيص أسانيد الموطأ من رواية يحيى بن يحيى» قال فيه : وهو مما دل على سعة حفظه وحسن ضبطه. وقد استدركت عليه مثله. أو قريبا منه.

تعقبه ابن عبد الملك منبها على ما فيه من ابتغاء مبطن فقال :

«أسر ابن الابار في هذا الثناء حسوا في ارتقاء. وأظهر زهدا في ضمنه أشد ابتغاء».

هذه النسخة الأصيلة الموجودة بما عليها من مقابلات على أصول أبى عبد الله الطراز. وأبى العباس العزفى. وأبى عبد الله بن غازى. وأصل المؤلف الذي بخطه : تؤول في القرن الثامن إلى مسند المغرب أبى زكرياء يحيى بن أحمد الشهير بالسراج (15) فيقدرها حق قدرها.

---

13) هامش صفحة 106 من المخطوطة المشار اليها آنفا.

14) انظر الذيل والتكملة، بقية الرابع 191 ت 363.
والتكملة 2 / 879 ت 2097.

15) انظر ترجمته في نيل الابتهاج لأحمد بابا على هامش الديباج ص 356 وابن القاضي في الجذوة 339 ودرة الحجال 3 / 235 ت 1455 وفهرس الفهارس للكتاني 2 / 338 ـ 339.

وقد كان خبيرا بالأصول، مولعا بالتنقيب عن ذخائرها، شديد العناية بجمعها ومعارضتها، مغرما بالتقييد، حتى عرف بذلك، واشتهر عنه. قال ابن القاضي «قلما تجد كتابا في المغرب ليس عليه خطه» (16).

يشهد لقول ابن القاضي ما وجد للسراج على نسخة من برنامج ابن أبى الربيع الاشبيلي **محفوظة بالمتحف البريطاني (برقم 1413 OR الشرقيات).**

وقابلها على أصلين صحيحين ـ كما هو مسجل في آخر النسخة (17).

وأثبت أسانيده إلى هذا البرنامج.

وهذا ما فعله بالضبط على أصله من الشفا :

فقد أثبت صدر الكتاب أسانيده إليه، وعارضه بأصل ابن رشيد المسموع مع بلديه ابن الشاط على الشيخ الأديب النحوى ابن أبى القاسم الأنصارى عام 683 (18) الذى حدثهما به ـ بحق سماعه في هذه النسخة على أبى زيد القمارشى في عام 634.

وقد كان هذا الأصل ضاعت منه أوراق فقام ابن رشيد بجبره من فرع آخر منسوخ منه ومقابل عليه قبل الضياع وكان هذا الفرع بخط الكاتب الجليل أبى القاسم القبثورى (19) ونبه السراج في أصله على أول الأوراق المجبورة وآخرها ليعلم من يقف عليها معنى قوله :

16) جذوة الاقتباس 339 وعنها نقل العبارة الكتانى في فهرس الفهارس 2 / 339.

17) انظر مقدمة برنامج ابن أبي الربيع الاشبيلى ص 252 تحقيق المرحوم الاهوانى مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول ـ القاهرة 1955.

18) ابن رشيد : محمد بن عمر بن محمد أبو عبد الله الفهرى المتوفى سنة 721 انظر ترجمته في الدرر الكامنة 4 / 229 ت 4172.

- ابن الشاط : القاسم بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الأنصارى المتوفي سنة 723.
- انظر ترجمته في برنامج الوادي آشى 168 ت 262 والدرر الكامنة.
- ابن أبي القاسم الأنصارى انظر ترجمته في برنامج الوادى آشى 141 ت 190.

أبو زيد القمارشى عبد الرحمن بن محمد الأنصارى (572 ـ 637 هـ).

انظر ترجمته عند تلميذه الرعينى في برنامجه 140 ت 64.

19) أبو القاسم القبثوري / انظر مقدمة رسائله التي نشرها الدكتور الهيلة باسم رسائل ديوانيه / المطبعة الملكية ـ الرباط 1399 هـ.

ليس في الفرع، أو ثبت في الفرع، أو سقط من الفرع، فالمقصود بعبارة الفرع نسخة القبتورى التي جبر منها ابن رشيد أصله :

ـ وتيسيرا على من يقف على أصله، نبه على الرموز المستعملة فيه فقال :

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأكملان على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده، وعلى آله وأزواجه وذريته من بعده، ورضي عن أصحابه الكرام وعن كل من أتبعهم، وسلك مهيعهم واستقام.

أما بعد فيقول كاتب هذا : يحيى بن أحمد النفزى لطف الله به، وأخذ بيده، ووفقه إلى رشده :

إن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم تأدت إلى روايته :

من طريق القاضي الراوية العدل أبى عبد الله محمد بن حسن بن عطية ابن غازي السبتي الأنصاري الجابري ـ رحمه الله تعالى ـ

● ومن طريق الخطيب الزاهد أبى جعفر أحمد بن علي حكم القيسى (وأصل كتابي هذا هو على رواية ابن غازي المذكور، ثم قابلته بأصل الخطيب المحدث أبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى وهو على رواية ابن حكم المذكور، وفيه التنبيه على بعض روايات غيره مما يخالف رواية ابن حكم إلا أنه ضاع من هذا الأصل من قبل فصل وأما الخصال المكتسبة بنحو سطرين، إلى قوله في حديث هند ابن أبى هالة في صفته صلى الله عليه وسلم، وهذه الكلمة من غير الروايتين وضاع أيضا من قوله فصل : وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدى الأمة في إعجازه وجوها كثيرة إلى آخر الفصل.

فقابلت ما ضاع من الأصل المذكور من أصل نسخ منه وقوبل به قبل الضياع ثم من آخر كذلك.

فكل ما ثبت في الأصل المذكور كتبته في كتابي هذا.

وعلمت عليه بعلامة صورتها هكذا «ش» تنبيها على أنه كذلك في أصل الخطيب ابن رشيد، إلا الزيادات التي كانت عنده في الطرة مكتوبا باثرها صح

أصل س. ت فإن تلك الزيادات ثبتت في كتابي هذا في الأصل من غير علامة. فلكثرتها تركت العلامة التي بأثرها ولا في ما عثرت على ما أراد بهما أعنى بالسين والتاء. كما لم أعثر على ما أراد بالعلامة التي صورتها هكذا «ش».

وأما ما عليه هكذا «ط» فالطاء كناية عن شيخه أبى القاسم بن الطيب وأما ما عليه هكذا «ض» فالضاد كناية عن عياض بن محمد حفيد المؤلف رحمه الله.

وأما ما عليه هكذا «لاش» فلم يثبت في أصل ابن رشيد.

وما في كتابى هذا مما عليه هكذا «ز» فهو ما قيده الضابط المحقق أبو عبد الله الطراز عن شيخه المحدث أبى العباس العزفى.

وما عليه هكذا «ع» فهو مما قيد من أصل القاضي الإمام أبى الفضل عياض حسبما نبه عليه مقيده على ظهر كتابى هذا.

وما عليه معلم «قر» فهو مما تعقبه الأستاذ أبو محمد القرطبى على المؤلف رحمة الله ورضوانه على جميعهم.

وما عليه هكذا صح «خ» فهو من نسخة صحيحة معتمد عليها.

والحمد لله حق حمـــده

ومنذ وفاة السراج في أوائل القرن التاسع إلى الربع الأول من القرن الحادي عشر لا نعلم شيئا عن تنقلات هذه النسخة ولم نقف على شيء من خبرها ونميل إلى الاعتقاد باستمرار بقائها بفاس. مما تتوارثه الأسرة السراجية. ويسمح بمثل هذا الاعتقاد ما نقله أبو العباس المقرى (20) في كتابه أزهار الرياض 280/4.

«ورأيت على نسخة من الشفاء بخط الامام العلامة الأوحد سيدى يحيى السراج. تلميذ الشيخ العارف سيدى محمد بن عباد رحمهما الله. ونفع العبد ببركتهما ـ ما نصه !

---

(20) انظر ترجمته في : خلاصة الأثر للمحبى 1/ 302.
واليواقيت الثمينة للأزهرى 29/1.
وفهرس الفهارس للكتانى 2/ 73.

أنشدنى (الشيخ الفقيه) الشريف القاضي المشاور أبو محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسنى العمرانى - قراءة (في المطبوعة قرأت) عليه هذه القصيدة التي من نظمه - ومن خطه نقلت -

أبو الفضل حاز الفضل والبر إذ أتـــــى
بعقد من الياقوت قد حف بالـــــدر
وحلى بها جيد الزمان فأصبحـــــت
على نحره تزداد حسنا مع الدهـــــر

إلى آخر القصيدة. حذوك النعل بالنعل. إلا البيت السابع عشر الذي يأتي عنده كما يلي :

لما انفجرت من بين كفيه حكمـــــه
تهون مرقى كل ممتنع وعـــــر

قلت : الذي **بخط** السراج. آخر النسخة **صفحة** 280 (**فكيه**) بدل كفيه. وعلى أية حال. فإن المقرى أفاد منها هذه القصيدة. مما يدل على وجودها بفاس. ابان معاناته تأليف أزهاره.

وتمضى بها المقادير بعيدا عن فاس حيث تلقي بعصاها في رحاب الزاوية الناصرية بتامكروت. كما يشهد على ذلك التوقيع بالتمليك الذى بخط محمد المكي بن موسى بن ناصر. والمثبت على الصفحة السابعة. ونصه :

«**ملك لله تعالى بيد عبده محمد المكي** بن موسى بن ناصر - كان **الله له**» **والمتملك من اعلام رجالات الزاوية في القرن الثاني عشر. من مؤلفاته** : «الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة» فرغ من تأليفه بزاوية جده بتامكروت أواسط القرن الثاني عشر (21).

ويطيب لها القرار بالزاوية الناصرية العامرة بنظائرها من ذخائر التراث. إلى أن يأذن الله لها برحلة أخرى إلى رباط الفتح بعيد الاستقلال. فتكون ضمن

---

21) طلعة المشترى للناصرى 2 / 149.

ما انتقاه أستاذنا العلامة محمد ا براهيم الكتاني للخزانة العامة ـ كما أفادني بذلك.

وقبل سنة وبضعة أشهر كنت أحدث عنها أستاذنا العلامة الصديق عبد الرحمن الفاسي محافظ الخزانة العامة. بمكتبه. فيأمر باحضارها. وبعد اطلاعه عليها يؤخذ بنفاستها وجلالتها (22).

وفي الصيف الماضي : كنت أحدث عنها أحد الأصدقاء العاملين بوزارة الأوقاف فتأخذه هو الآخر نفاستها. ويطلب لى اعداد دراسة عنها فأعتذر بما أعرفه في نفسي من تباطؤ وتقصير. ولكنه يتابعني بالالحاح. وما ان شرعت في اعداد هذه الدراسة حتى وجدتنى قد حملت عبئا عظيما...

وبعـــد :

فقد حظي الشفاء منذ ظهور الطباعة إلى اليوم بطبعات لا أحصيها كثرة. وأعلم أن طبعة من هذه الطبعات اعتمدت أصلا يدانى «اصل السراج» فيما أتيح له من ضبط واتقان. وما قوبل عليه من أصول منسبة موثقة.

وإنى لأرجو أن يكون لى شرف التنبيه إلى قيمة هذا الأصل ليكون معتمد طبعة متقنة الضبط وجودة الاخراج تقدمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. تحسب فيما يذكر لها من عناية بذخائر تراثنا واهتمام بإحيائه وتكون هذه الطبعة المرجوة من خير ما نقضي به بعض ما علينا من فرض العناية بذخائر تراثنا. وننال بها بركة الدعاء المأثور لمؤلف الشفاء وناسخه وقارئه.

وعسى أن يكون لي من هذا الدعاء بعض النصيب :

«رجوت الشفـاء لما شفنـــى — واثقل ظهرى بنسـخ الشفـــاء
ولم ألتمس في سواه شفائـــى — ولم أرج إلا لديه شفائـــى
ففيه الشفـاء لمن يجـــد — لداء ألم بـــه من شفـــاء»

---

22) انتهز هذه الفرصة للإعراب لفضيلته عن بالغ الامتنان فقد أذن لى بتصوير ما تدعو الحاجة إليه من أوراق هذه النسخة ويسر لى الانتفاع بها.

أسانيد السراج إلى كتاب الشفاء.

سبق لي أن اشرت إلى ماكان من عادة السراج على أصوله. من تصحيحها ومقابلتها على الأصول. ونقل الطرر والتعليقات إليها. وكان من عادته أيضا أن يثبت صدرها.

أسانيده التي يروى بها هذه الاصول

وأسانيده ـ التي أثبت على هذه النسخة. من أنبل الأسانيد وأهمها إذ تكشف عن عدد هام من تلاميذ عياض الذين رووا الشفاء عنه يندر ذكرهم مجتمعين فيما وقفت عليه من مصادر.

وقبل تقديم النص الكامل لهذه الأسانيد أقدم بين يديه ما أقدر أن الحاجة تدعو إليه من تعريف بالرواة. وأكتفي في التعريف بشيوخه بما جاء في فهرسته (23). كما أعرف بتلاميذ عياض الذين روى الشفاء من طرقهم.

وأما سائر رجال الإسناد من شيوخه إلى عياض فيأتي التعريف بهم على هامش الأسانيد حيثما يذكرون.

وفيما يلي شيوخه الذين روى الشفاء من طرقهم مرتبين على حسب ورودهم في الأسانيد (24).

أ ـ أبو البركات محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد بن إراهيم بن **الحاج البلفيقي الشيخ الفقيه القاضي الخطيب البليغ الأستاذ المقري العلم المحدث المسند الراوية المكثر المحقق المتخلق سليل العلماء.**

---

23) ذكر مترجموه من بين تاليفه : فهرسته ونصوا على أنها في جزئين، والموجود منها الجزء الأول، وقد وقف الكتاني ـ كما جاء في فهرس الفهارس ـ عليه بخط مؤلفه، وأفادني الأستاذ الصديق البحاثة محمد المنوني بوجود الجزء الثاني بالمكتبة الوطنية بباريس.

24) الحرف الابجدى قبل الترجمة يشير إلى موضع ورود المترجم في الأسانيد، وقد اعتمدت في تلخيص هذه التراجم على نسخة من فهرسة السراج مصورة على الورق محفوظة بخزانة الرباط العامة.

أخذ عن عمه الفقيه الشيخ أبي القاسم محمد. وعن أبي جعفر بن الزبير. وعن ابن رشيد وعن القاضي أبي إسحاق التنوخي. وعن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري. وعن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله بن سلمون الكناني. وعن أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي. وعن أبي عبد الله محمد ابن قاضي الجماعة أبي عامر يحيى الأشعري. وعن أبي إسحاق الغافقي. وعن أبي القاسم التجيبي. وعن ابن الشاط.

وله سماع كثير لم ألق في هذه الطريق أكبر منه ولا أعلم بهذا الشأن قرأت عليه وسمعت منه وأجاز لي اجازة عامة غير مرة وكتب بذلك خطه.

ب ـ محمد بن سعيد الرعيني

كان شيخا فاضلا دينا خيرا حسن الخلق متواضعا مولعا بالتقييد والتصنيف قلما تراه إلا ناظرا في كتاب أو مقيدا لفائدة.

أخذ عن جماعة من أهل المغرب والمشرق ـ وأجازوا له اجازة عامة وهم الأستاذ المغربي أبو الحسن علي بن سليمان. وابن البناء وقرأ عليه تواليفه وأجازه.

وأبو القاسم التجيبي كتب له بالاجازة العامة من سبتة مرتين. ثم لقيه بفاس وعمم له الاجازة مشافهة فيما احتوى عليه برنامج رواياته.

والشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن علي الصديني شهر بالغماري وناوله **(الشفاء)** ـ وأجازه.

وابن رشيد : سمع عليه كتاب **(الشفاء)**.

وابن الشاط : وأجاز له اجازة عامة من سبتة.

وسمع في المشرق : الشيخ الفقيه المحدث ابن سيد الناس أبا الفتح بالقاهرة وأجازه اجازة عامة.

مولده 685 وتوفي 778 هـ.

ج ـ أبو الربيع سليمان بن أبي يعقوب يوسف الانفاسي.

كان عارفا بالفقه والفرائض والحساب. آخذا بطرف من أصول الفقه والدين دينا خيرا فاضلا ذا سمت حسن وحال مستحسن.

أخذ رحمه الله عن والده الشيخ الفقيه الخطيب الصالح العابد المجتهد أبي يعقوب يوسف.

وعن أبي عبد الله بن حجاج. وعن الخطيب أبي عبد الله اللوشي.

قرأت عليه وسمعت من لفظه تفهما كثيرا من كتب الحديث والفقه ولم تتيقن لي منه إجازة مع كثرة الملازمة. وقرأ هو على كثيرا من القرآن العظيم.

توفي رحمه الله عام 779 هـ.

د ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي عرف باللوشي.

الشيخ الفقيه الخطيب البليغ المحدث الراوية الحسيب الأصيل ابن الشيخ الوزير الجليل المعظم الماجد الصدر العلم المرحوم أبي الحجاج يوسف.

أقرأ القرآن بالجامع الأعظم بغرناطة مدة محتسبا في ذلك من غير جراية يأخذها وولي الخطابة ميراث سلفه إلى وفاته.

أخذ عن أبي بر بن الزبير. جميع كتاب **الشفاء للقاضي عياض** وأجاز له إجازة عامة.

وعن ابن رشيد سمع عليه من لفظه **جميع الشفا** عن أبي جعفر بن الزبير وأجاز له اجازة عامة.

وعن المقرى الضابط ولي الله أبي اسحاق ابراهيم ابن محمد بن ابراهيم التنوخي ؛ قرأ عليه بعض **الشفا لعياض** وأجاز له اجازة عامة.

وعن أبي عبد الله الطنجالي سمع عليه البخارى وأجاز له سائره. وأجاز له اجازة عامة.

وعن الفقيه الوزير الحاج أبي عبد الله محمد بن ربيع الاشعرى المالقي سمع عليه جميع كتاب **الشفا للقاضي عياض** وأجاز له اجازة عامة.

وعن الشيخ الفقيه المتصوف الحافظ أبي محمد عبد الله بن سلمون الكناني سمع عليه **بعض الشفا** وأجاز له اجازة عامة.

كتب لي بالإجازة من غرناطة مرتين اثنتين إحداهما في التاسع عشر لمحرم والأخرى في التاسع عشر لشهر رمضان من عام 772 هـ.

مولده في أواخر 692 هـ...

هـ) أبو علي القيسي القسنطيني.

حسن بن خلف الله بن حسن. ابن بادس كان مشاركا في العلوم.

لقي في رحلته إلى الحجاز أعلاما. وأخذ عنهم وأجازوا له اجازة عامة وكتب بخط يده درجا ذكر فيه جماعة من شيوخه الافريقيين والمشارقة.

كان عندى ثم ضاع ولم أذكر من الشيوخ فيه غير الامام أثير الدين بن حيان النفرى الأندلسي نزيل مصر. والمحدث الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر الوادى آشي. والأستاذ المقرىء أبي عبد الله بن غريون البجائي.

أجاز له من المغاربة المتأخرين جماعة كالشيخ الخطيب المحدث أبي عبد الله ابن مرزوق العجيبي التلمساني. والخطيب القاضي المحدث أبي البركات البلفيقي. والشيخ الحاج الفقيه أبي عبد الله محمد بن سعيد الرعيني.

وقرأت عليه وسمعت وأجاز لي الاجازة العامة بجميع ما يصح عندى من رواياته وأطلق لي في ذلك بشرطه وكتب لي خطه في مرات آخرها في شهر رجب الفرد سنة 764 هـ.

و/ أبو علي (عمر) بن أحمد بن عمر بن علي بن محمد القرشي العبدرى الشهير بالحكيم كان رحمه الله عارفا باللغة والطب مقدما في التاريخ كثير التقييد متواضعا خيرا فاضلا حسن السمت.

أخذ عـــن :

- ابن عمته وصهره الشيخ الحاج الفقيه الأديب : أبي علي عمر بن علي الجراوى الأستاذ المقرىء الراوية أبي الحسن بن سليمان. وعن الخطيب الناقد أبي عبد الله بن رشيد. وعن الولي أبي عبد الله الطنجالي. وعن المتصوف أبي جعفر بن الزيات. وأجازوا له اجازة عامة.

قرأت عليه وسمعت وأجاز لي اجازة عامة. وكتب لي خطه بذلك في مرات آخرها يوم الجمعة 22 من شوال 777 هـ.

مولد شيخنا أبي علي عام 694 هـ.

ز/ أبو علي عمر بن أبي البركات محمد بن الحسن بن عمر البطوى النسب الفاسي الدار الشهير با بن البحر.

كان عدلا مبرزا من خيار العدول معرفة بعقد الشروط مشاركا في الفقه وغيره خطيبا بليغا وكاتبا نبيلا وشاعرا مجيدا متواضعا فاضلا صاحب رحلة وثبات في الحق. مائلا بطبعه لطريق الصوفية متخلقا بأخلاقهم.

أخذ عن الشيخ الفقيه أبي فارس عبد العزيز القروى وعن غيره ورحل فحج ولقي بالقدس الشريف الإمام الناقد الحافظ الثبت شيخ الشيوخ صلاح الدين خليل ا بن الأمير كيكادي العلائي.

سمع عليه جميع الشفاء لعياض وأجاز له إجازة عامة .

توفي عام 779 هـ.

ح/ أبو محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي - الضرير -

كان عالما بالفقه وأصوله وأصول الدين مقدما في أهل الشورى ذاكرا للغة والاعراب إماما في النحو والقراءات.

سمع على الخطيب أبي عبد الله بن رشيد أشياء وكتب له بذلك كراسة بخطه ضاعت له ولم يتحقق ما سمع عليه وشك في إجازته له وتفقه على جماعة من علماء المغرب كالقاضي أبي الحسن الصغير.

وأخذ النحو عن أبي عبد الله الرندى. أبي عبد الله بن آجروم.

توفي رحمه الله عام 779 هـ.

ط/ أبو محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسني العمراني.

كان أحد الصدور ذا معرفة تامة بالفقه ومشاركة في أصوله وأصول الديانات من أهل الشورى المقدمين فيهم. وقلمه أفصح من لسانه.

أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن سليمان الأنصارى القرطبي.

والفقيه المقرىء المحدث الراوية أبي عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله الحسني وأجازا له.

قرأت عليه وأنشدني في شعره وأجاز لي اجازة عامة فيما صدر عنه من نظم ونثر مولده سنة 685 هـ.

ى/ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر اللخمي.

انفرد بعلو الرواية.

أخذ عن الشيخ المقرىء أبي الحسن بن سليمان القرطبي نزيل فاس وعليه اعتماده قرأت عليه وسمعت وأجاز لي اجازة عامة غير مرة وكتب لي بذلك بخط يده مرارا لا أحصيها. مولده في رجب الفرد 703 ـ توفي عام 794 هـ.

أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني البرجي.

ك/ الشيخ الفقيه القاضي الخطيب البليغ الراوية المتفنن المتخلق ابن الشيخ الفقيه الجليل الأستاذ المقرىء الصالح أبي زكرياء يحيى.

أصله من غرناطة وانتقل إلى فاس في إمرة السلطان أبي عنان ورحل الرحلة الحجازية ثم قفل فنال حظوة ورفعة عند ملوك المغرب ولي خطتي الخطابة والقضاء بالحضرة الفاسية ثم قضاء الجماعة بفاس المحروسة.

أخذ عن والده وأجاز له.

وعن الشيخ الولي الخطيب الصالح أبي اسحاق ابراهيم بن العاصي التنوخي وعن الشيخ الخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي وعن أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي.

وعن الشيخ المحدث الرحال أبي عبد الله ابن جابر الوادى آشي. سمع عليه **بعض الشفاء لعياض وغيره.**

وأجاز لي اجازة عامة غير مرة وكتب لي خطه ثم استجزناه سنة 792 فأجاز لنا جميع ما يصح لدينا ويثبت عندنا مما أخذه عن أشياخه وجميع ما صدر عنه

من نظم أو تقييد أو املاء على الشرط المعروف والسنن المألوف وكتب لنا خطه بذلك في صفر من العام المذكور.

وتوفي عام 786 هـ.

تلاميذ عياض رواة الشفـــا :

تصل أسانيد السراج إلى كتاب الشفاء من أربعة عشر تلميذا رووه عن عياض، قراءة أو سماعا أو اجازة.

ولا يدل هذا العدد من الرواة إلا النزر اليسير، لأن القاضي عياضا طالت مدة تحديثه بكتابه، وعقد مجالس تدريسه في العدوتين فسمعه عليه من لا يحصون كثرة، واستجيز فأجاز، وشرقت اجازاته وغربت وكان كتابه مما يدخل في عموم اجازاته، وممن اجازهم القاضي عياض بتأليفه :

أبو بكر بن خير الاشبيلي : الذي يروى تواليف القاضي عياض وجميع ما رواه عن شيوخه عنه (25).

عبد الحق بن عبد الملك بن يونه الذي أجازه القاضي عياض بتواليفه كما ذكر ابن الزبير عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النفيس، وأبوه يحيى بن خلف، وأخوه عبد المولى، حسبما نقل المقرى بوساطة عبد الرحمن بن القصير :

«يقول كاتبه : نسخت هذا السفر من كتاب على ظهره مكتوب بخط مؤلفه القاضي عياض ـ رحمه الله ـ ما نصه :

يقول عياض بن موسى بن عياض اليحصبي : حضر قراءة جميعه على الفقيه النبيه أبو محمد عبد المنعم بن الفقيه الأجل الأستاذ الخير أبي بكر يحيى بن خلف بن النفيس الحميرى وأجزته له وأذنت له في الحديث به عني وبجميع روايتي ومجموعاتي وكذلك أجزت جميع ذلك لأخيه عبد المولى كلأ الله جميعهم وأنبتهم نباتا حسنا، وكذلك أذنت لأبيهما الفقيه الأجل المذكور فيما رغب فيه، من حمل مجموعاتي، وأجزت له جميعها...» (26).

---

25) فهرس ابن خير 451

26) الأزهار 4 / 349.

ومن سمع عليه الشفا : ابنه أبو عبد الله محمد صاحب التعريف به وردت هذه الرواية عند ابن غازى في فهرسته (27).

عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النفيس المتقدم الذكر.

أبو عبد الله محمد بن أبي الربيع سليمان بن سبع السبتي حسبما نقل ابن فرج عن الطراز عن أبي العباس العزفي. في أصله المنقول من أصل شيخه أبي عبد الله بن غازى المقروء على القاضي عياض مرتين : ثانيتهما لابن أبي الربيع هذا كما تقدم.

عبد الرحمن بن القصير الغرناطي الذي حضر مجلس القاضي لتدريس الشفاء (28). وكانت نسخته التي بخطه يفيد منها المقري في الأزهار في غير ما موضع. ونوه بصحتها وقيمتها وما عليها من طرر وحواش (29).

وينبغي التنبيه إلى أن بعض الروايات من طرق تلاميذه خملت منذ عصر مبكر. ولا يمكن الجزم بأسباب خمولها.

ومن المحتمل أن يكون من أسباب هذا الخمول :

- أن تكون الرواية مما تحمل عنه املاء. قبل تهذيب الكتاب.
- الوفاة المبكرة للراوى عنه.
- ظهور الاختلال في الرواية.
- على أنه من الملاحظ أيضا أن بعض الروايات كانت أكثر ذيوعا. وأوسع انتشارا. كرواية القاضي أبي عبد الله بن غازى. ورواية الزاهد أبي جعفر بن حكم.

ولعل النفوذ المادي والمعنوي كانا وراء ذيوع هاتين الروايتين وانتشارهما.

- وفي أسانيد السراج من الرواة عن عياض من لم نقف على تراجمهم كالقاضيين :

---

27) التعلل برسوم الاسناد 188 بتحقيق الزاهي / البيضاء 1399.

28) الأزهار 3 / 13.

29) المصدر السابق 4 / 308.

أبي عبد الله بن أحمد العزفي، وأبي عبد الله - وأبي بكر أيضا - محمد ابن الحداد الجذامي وهما من شيوخ سبتة وقضاتها.

وقد تطلبتهما في كتب التراجم الأندلسية عند الابار وابن عبد الملك، وابن الزبير، فلم أقف لهما على ترجمة مفردة، لضياع قسم كبير من المحمدين الغرباء عند ابن الزبير وابن عبد الملك.

ومن المؤكد أن أبا العباس العزفي قد ترجم لأبيه القاضي أبي عبد الله في فهرسته الضائعة لأن مترجميه يعددون شيوخه استنادا إلى برنامجه، ويصدرون قائمة أسماء شيوخه بأبيه القاضي أبي عبد الله كما يذكرونه في تلاميذ أبي بكر بن رزق المري، استنادا إلى برنامجه أيضا (30) وفي هاته الاشارات اليهما ما يؤنس إلى توثيق السند ورفع الجهالة عنهما.

وأما سائر تلاميذه الرواة عنه المذكورين في أسانيد السراج، فتقدم التعريف الموجز بهم فيما يلي :

أبو طاهر السلفي توفي سنة 576 هـ.

أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني نزيل الاسكندرية.

استجاز عياضا فأجازه واستجازه عياض أيضا فأجاز له.

انتهى اليه علو الإسناد، وعاش أكثر من مئة سنة.

انظر ترجمته في معجم أصحاب أبي علي 47 ت 36.

تذكرة الحفاظ 1304، وطبقات الحفاظ 468 ت 1049.

ابن بشكوال (494 - 578 هـ)

خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصارى أبو القاسم بن بشكوال.

سمع من أبيه وأبي بكر بن العربي.

وكان القاضي عياض يكتب اليه بما يعثر عليه من الفرائد التاريخية وأجاز له.

انظر ترجمته في التكملة 3041 ت 831، وتذكرة الحفاظ 1339/4.

---

(30) **صلة الصلة لابن الزبير (مخطوط التيمورية) وذكر أيضا في تلاميذ أبي عبد الله العزفي عبد الرحمان بن اسماعيل الازدى المتوفي سنة 620 نقله ابن الزبير من خط الطراز.**

ا بن زرقون 501 ـ 580 هـ.

محمد بن سعيد بن أحمد، أبو عبد الله ا بن زرقون الاشبيلي.

روى سماعا عن أبيه، وعن **أبي الفضل عياض** واختص به وكتب عنه أيام استقضائه بغرناطة.

روى عنه ابنه أبو الحسين، وأبو الحسين بن السراج وأبو عبد الله بن خلفون، وأبو الربيع ا بن سالم، وأبو عامر، وأبو العباس العزفي، وأبو علي الشلوبين، والرندى، وأبو محمد بن حوط الله، والقرطبي.

انظر ترجمته في التكملة 540، والذيل والتكملة 5/ 201 ت 597.

تذكرة الحفاظ 1360.

أبو الحسين بن ربيع توفي سنة 585 هـ.

عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الاشعرى أبو الحسين :

روى عن جلة المشايخ في عصره، وعرف بالضبط والاتقان.

روى عنه ابناه القاضيان أبو سليمان وأبو عامر، وأبو الربيع بن سالم انظر ترجمته في صلة الصلة.

الحجرى 505 ـ 591 هـ.

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله أبو محمد الحجرى.

روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الفضل عياض.

روى عنه أبو عبد الله بن غازى، وأبو محمد القرطبي وأبو العباس العزفي وآخر من حدث عنه أبو عبد الله الازدى.

انظر صلة الصلة (المخطوطة التيمورية 850).

ا بن غازى ـ (508 ـ 591 هـ).

محمد بن حسن بن عطية، ا بن غازى السبتي أبو عبد الله.

روى عن جده لأمه أبي الربيع سليمان بن سبع السبتي.

وروى **عن القاضي عياض** ولازمه كثيرا وشهر بصحبته.

روى عنه، أبو الحسين الشارى، وأبو العباس العزفي، وأبو عبد الله الازدى، وهو آخر الرواة عنه.

انظر ابن عبد الملك - في غرباء الذيل والتكملة مخطوط الخزانة العامة 3784 د. وغرباء صلة الصلة لابن الزبير - مخطوط التيمورية 850.....

التكملة لابن الابار 2/ 679 ت 1716.

ابن مضـــاء 511 - 592 هـ.

أبو العباس وأبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن اللخمي، روى عن أبي بكر بن العربي، **ولقى بسبتة أبا الفضل عياض وأجاز له.**

روى عنه : أبو بكر بن محرز وأبو الحسين بن زرقون، وأبو عمر بن حوط الله وأبو عبد الله الازدى، وأبو علي الشلوبين وأبو محمد القرطبي، وأبو القاسم بن بقي.

انظر الذيل والتكملة 1/ 212 ت 291.

ابن حكم القيســـي - (513 - 598 هـ).

أحمد بن علي بن حكم القيسي أبو جعفر الحصار. والعطار أيضا سمع من أبي بكر بن العربي، **وعن القاضي عياض.**

روى عنه : أبو زيد عبد الرحمان القمارشي، وأبو محمد ابن القرطبي، وأبو عبد الله بن صالح المالقي، وأبو الوليد اسماعيل بن يحيى العطار وهو آخر الرواة عنه.

انظر ترجمته عند ابن الابار في التكملة 1/ 303 ت 387.

والذيل والتكملة لابن عبد الملك 6/ 5 ت 1.

أبو بكر بن أبي جمـــرة (518 - 599 هـ).

محمد بن أحمد بن عبد الملك أبو بكر بن أبي جمرة المرسي.

روى عن أبيه **وأبي الفضل عياض،** سمع عليهما واجازاه.

روى عنه : أبو بكر بن محرز وأبو الربيع بن سالم وأبو بكر بن مشليون.

ظهر في آخر حياته اضطراب في روايته تكلم فيه بسببه.

انظر ترجمته في الذيل والتكملة 5/ 5 ت 1.
التكملة (ا بن الا بار) 2/ 561 ت 1515.

ا بن الصائغ توفي سنة 600 هـ.
يحيى بن محمد بن علي، ا بن الصائغ الانصارى السبتي.
أخذ عن أبي محمد الحجرى، وأبي القاسم بن بشكوال.
وأجاز له القاضي عياض.
وحدث عنه أبو الحسين الشارى، وروى عنه بالاجازة أبو عمر بن حوط الله.
انظر ترجمته في غرباء ا بن عبد الملك - مخطوط الخزانة العامة - وصلة الصلة لا بن الزبير.

الشقـــورى - 536 - 616 هـ.
علي بن أحمد بن علي بن موسى أبو الحسن الشقورى.
روى عن أبي بكر بن العربي وأبي الفضل عياض.
حدث عنه أبو عبد الله الطراز، وأبو الحسين محمد بن ربيع وهو آخر من روى عنه.
ترجمه تلميذه الرعيني في برنامجه 124 ت 51 والتكملة 677 ت 1890.
انظر صلة الصلة لا بن الزبير 126 ت 255 (ط الرباط).

التميمـــــي.
محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى أبو عبد الله التميمي.
روى عن أبيه وأبي الفضل عياض.
حدث عنه أبو الحسين ا بن جبير.
انظر ترجمته في الذيل والتكملة (الغرباء) مخطوط (الخزانة العامة).
والتكملة 2/ 678 ت 1713، وشجرة النور 143 ت 423.

بسم الله الرحمان الرحيم
اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا

يقول كاتب هذا :

يحيى بن أحمد بن محمد النفزى الحميرى، شهر «بالسراج» لطف الله له، وأصلح قوله وعمله :

أ ـ حدثنى بكتاب «الشفا» بتعريف حقوق المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، تأليف الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الناقد الراوية السند القاضي الأعدل الخطيب البليغ الأكمل، أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ـ رضي الله عنه ـ **من طريق الشيخ الفقيه القاضي الراوية العدل أبى عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن غاز السبتى الانصاري الجابري،** من ذرية جابر ابن عبد الله ـ صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ا ـ الشيخ الفقيه المحدث الراوية المكثر المسند المعمر قاضى الجماعة بجزيرة الأندلس، وخاتمة الجلة بها، الخطيب الأكمل أبو البركات محمد بن أبى بكر محمد بن ابراهيم السلمى ـ عرف ببلده بابن «الحاج» و«بالبلقيقى» في سواه ـ قراءة عليه لبعضه وإجازة لجميعه.

ـ عن الشيخ الفقيه القاضي الأستاذ المقرىء أبى اسحاق ابراهيم بن أحمد المديونى ـ عرف بالغافقى (1) ـ قراءة لجميعه، وسماعا لجملة منه.

---

1) ابراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقى (641 ـ 716 هـ).
لازم ابن أبى الربيع، وقرأ على ابن مشليون وسمع على أبى عبد الله الأزدى انظر ترجمته عند تلميذه الوادى آشى في برنامجه 111 ت 101.
(ه) سقطت من الأصل.

ـ عن القاضي أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدى (2)، سماعا عليه لأكثره وإجازة لسائره.

ـ عن القاضى العدل أبى عبد الله ا بن غاز، المذكور، سماعا.

ـ عن القاضي أبى الفضل مؤلفه، سماعا.

وقال لي : بهذا السند أحمل تواليف هذا الإمام وروا ياته.

قلت وهذا السند مسلسل بالقضاة.

• وحدثنى به من **طريق الشيخ الفقيه الخطيب الزاهد أبى جعفر أحمد ابن علي بن حكم القيسي :**

ب/ الشيخ الفقيه الحاج أ بو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني، قراءة عليه لبعضه، ومناولة لجميعه، وإجازة غير ما مرة.

(والأصل الذى ناولنى : هو أصل سماع الخطيب أ بى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد (3)، وسماع الفقيه العالم أ بى القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصارى، عرف با بن الشاط (4)، من طريق ا بن حكم المذكور).

وحدثنى به عنهما، سماعا لنحو الكراسين على ا بن رشيد، وإجازة عن ا بن الشاط.

---

2) محمد بن عبد الله بن أحمد أبو عبد الله الأزدى (567 ـ 660) سمع على ابن غازى كتاب الشفاء وغيره من تواليف عياض.
انظر ترجمته في صلة الصلة مخطوط التيمورية 850.

3) محمد بن عمر بن محمد ابن رشيد أبو عبد الله السبتى (657 ـ 721 هـ) أخذ عن ابن أبي الربيع وسمع من أبي محمد بن هارون.
انظر الدرر الكامنة 4/ 229 الترجمة 4172.
وقد تقدمت الإشارة في الدراسة إلى أن السراج عارض أصله بأصل ابن رشيد ونقل منه المقابلات التي عليه، وكذا الطرر والتعليقات.

4) القاسم بن عبد الله بن محمد أبو القاسم بن الشاط الأنصارى 3 (643 ـ 723 هـ).
انظر ترجمته عند تلميذه الوادى آشى في برنامجه 168 ت 262.

وحدثني به أيضا عن الأستاذ المحدث الخطيب أبى عبد الله محمد ابن علي بن محمد الصدينى الشهير بالغمارى (5).

مناولة ثلاثتهم.

- عن الشيخ الأديب النحوى اللغوى أبى محمد عبد الله بن أبى القاسم الأنصارى (6) قراءة لجميعه لا بن رشيد. وسماعا للآخرين.

- عن الفقيه الفاضل الثقة أبى زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الأنصارى ثم الخزرجى ثم القمارشى (7). سماعا عليه لمعظم الكتاب من أوله. وقراءة لسائره.

- عن الخطيب أبى جعفر أحمد بن حكم المذكور. سماعا عليه.

- عن مؤلفه أبى الفضل المذكور سماعا عليه.

- قال ابن رشيد - ومن خطه نقلت : (8).

هذا السند : سند الزهاد الأفاضل الثقات.

---

5) محمد بن علي الغمارى الصدينى أبو عبد الله انظر ترجمته في درة الحجال 2/ 249 ت 726.

6) ابن أبي القاسم الأنصارى : ولد بقرطبة سنة 617.
سمع الشفاء على القمارشى، وله اجازة من أبى الربيع بن سالم وأبى الحسين بن زرقون وخاله أبى صالح.
انظر ترجمته في برنامج الوادى آشى 141 ت 190.

7) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي أبو زيد القمارشى (572 - 637 هـ) انظر ترجمته في الصلة (مخطوط التيمورية).
وعند تلميذه الرعينى في برنامجه 140 ت 64.
والتكملة لابن الابار 2/ 586 ت 1643.

8) هذه الجملة مما كتب لحقا على الهامش، وقد نبه عليها بعلامة المخرج.

قال ابن رشيــد :

وحدثني به :

ـ الشيخ المقرىء المجود الفاضل أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن الطيب ابن أحمد بن علي بن أحمد بن زرقون القيسى (9) قراءة عليه وأنا أسمع وأمسك كتابى، وكان بيده وبين الرواية التي عليها مدار طريق أبى القاسم المذكور اختلاف في زيادات يسيرة، وتقديم وتأخير، واختلاف ألفاظ ربما اتفقت معانيها ـ.

وأخبرنا بهذا الكتاب، ـ على الرواية المقروءة عليه ـ بحق سماعه لجميعه على الفقيه الراوية المسند العدل أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدى ـ رحمه الله ـ عام ستة وخمسين وستمائة.

قال : سمعت جميعه على شيخنا الفقيه الفاضل المحدث الحافظ أبى عبد الله محمد ابن أبى علي حسن ابن عطية بن غازى بن خلوف ـ من ولد جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في صفر عام أحد وتسعين وخمسمئة.

قال : قرأت جميعه على مؤلفه القاضي أبى الفضل ـ رحمه الله ـ، وعارضت بأصله، وكتب له عياض خطه بذلك في غرة ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمئة.

قال الغمارى : ـ ومن خطه نقلت ـ

وحدثته به أيضا عن الفقيه المقرىء بقية أئمة القرآن العزيز : أبى القاسم محمد ابن عبد الرحيم القيسى الشهير بابن الطيب.

قلت : هو المذكور.

---

9) **محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن أبو القاسم بن الطيب القيسى (630 ـ 701 هـ) سمع على عبد الله الازدى.**

انظر ترجمته في الذيل والتكملة 6/ 370 ت 994، والدرر الكامنة 4/ 128 ت 3887.

ـ وعن الفقيه الكاتب الأعدل الحاج المبارك أبى محمد عبد المهيمن الأنصارى الشهير بالجزيرى. (10) كلاهما عن القاضي الأعدل الراوية المسند أبى عبد الله الأزدى.

• • •

ـ قال أبو القاسم بن الشاط. ومن خطه نقلت :

وحدثته به أيضا عن الشيخ المسند الحسيب أبى بكر محمد بن محمد الأنصارى البلنسى المعروف بابن مشليون (11). بحق الاجازة.

ـ عن القاضى الحسيب أبى بكر بن أبي جمرة. بحق الإجازة.

ـ عن المؤلف بحق الاجازة.

ـ وحدثنى به أيضا :

جـ ـ صاحبنا الفقيه الأجل الصالح المبارك الخير المعظم عند الخاصة والعامة (12)... على حالة مستحسنة تامة : أبو الربيع سليمان بن الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المتبرك به أبى يعقوب (يوسف) (13) الأنفاسى ـ رحمه الله ورضي عنه ـ قراءة عليه لجميعه. ما عدا من قوله (فصل وأما الخصال المكتسبة) إلى قوله : (فسألته عن سيرته ـ صلى الله عليه وسلم في جلسائه) (14). فانه سماعا من لفظه.

---

10) عبد المهيمن بن عبد الله بن محمد الأنصارى الجزيرى السبتى أبو محمد (638 ـ 690 هـ).
أخذ عن أبي عبد الله الأزدى.
انظر ترجمته عند تلميذه الوادى أشى في برنامجه 64 ت 29. درة الحجال 3 / 175.

11) محمد بن محمد بن أحمد أبو بكر بن مشليون البلنسى (توفي سنة 670 هـ). أجازه أبو بكر بن أبي جمرة ـ
انظر ترجمته عند ابن الجزرى غاية النهاية 2 / 238 ت 3399.

12) بياض بالأصل بمقدار كلمتين.

13) محو بالأصل والمثبت من ترجمته.

14) للمقارنة راجع الشفاء / الطبعة التجارية (مصر).
الجزء الأول / 96 ـ 160.

وهو يمسك على أصل الخطيب أبى عبد الله بن رشيد. في مجالس آخرها في أوائل ذى القعدة عام ثمانية وسبعين وسبعمئة.

- وحدثني به عن الخطيب أبي عبد الله محمد بن يوسف اليحصبي اللوشى (15) إجازة.

عن ابن رشيد المذكور. سماعا من لفظه.

- وعن القاضي الإمام أبى جعفر أحمد بن ابراهيم الزبير الثقفى العاصمى (16) سماعا عليه.

- عن الشيخ الراوية العدل القاضي أبى عبد الله محمد بن عبد الله الأزدى قراءة عليه لجملة وافرة من الكتاب من أوله. وإجازة لجميعه غير ما مرة في الجملة.

وعن المحدث أبى الحسن علي بن محمد بن يحيى الغافقي الشارى (17). سماعا عليه لبعضه. وإجازة لجميعه.

قالا : سمعناه على أبى عبد الله بن غاز.

وعن أبى محمد بن عبد الله الحجرى.

عن المؤلف.

قال اللوشي :

---

15) تقدمت ترجمة أبي عبد الله اللوشى في شيوخ السراج.

16) أحمد بن ابراهيم بن الزبير أبو جعفر الثقفى العاصمى (توفي سنة 708 هـ) روى عن أبي الحسن الشارى وأكثر عنه، وسمع أبا عبد الله الأزدى.
انظر ترجمته في برنامج الوادى آشى 99 ت 71.
والاحاطة 1/ 95.
وتذكرة الحفاظ 4/ 1484 ت 1169.

17) علي بن محمد بن علي أبو الحسن الغافقي الشارى (571 - 649 هـ)، أخذ عن أبي محمد الحجرى، وأبى عبد الله الازدى. وأجاز أبو جعفر بن مضاء وأبو بكر بن أبى جمرة أخذ عنه أبو عبد الله الطنجالى وأبى بكر حميد بن القرطبى وأبو الحسن الرعينى انظر ترجمته في برنامج الرعينى 74 ت 24 وصلة الصلة لابن الزبير.

وحدثني به أيضا الفقيه العدل الوزير الحسيب ابن ربيع المالقى (18)، سماعا عليه لجميعه.

وسمعت بعضه على الفقيه المتصوف المقرىء الحافظ أبى محمد عبد الله بن سلمون الكنانى (19) وأجازنى جميعه.

وكذلك سمعت بعضه على الشيخ الصالح ولي الله تعالى المقرىء الضابط أبى اسحاق بن أبى العاصى (20)، بسندهم.

د / قلت : وقد كتب لي بالاجازة العامة الخطيب أبو عبد الله اللوشى المذكور مرتين.

قال ابن ربيع :

حدثنا به القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى (21)، سماعا عليه.

قال : حدثنا أبى (22) قراءة عليه.

قال : حدثنا القاضى أبو بكر محمد بن أبى بكر الجدامى، سماعا، عن المؤلف سماعا عليه.

---

18) محمد بن يحيى بن عبد الرحمن، ابن ربيع الاشعرى توفي سنة 717 هـ أخذ عن أبيه والشلوبين، وانتهى اليه علو الاسناد ترجمته في الدرر الكامنة 5/15 ت 6453.

19) عبد الله بن علي بن عبد الله أبو محمد بن سلمون الكنانى ترجمته في غاية النهاية 1/ 345 ت 1821.

20) ابراهيم بن محمد بن أبي العاصى أبو اسحاق التنوخى.
ترجمته في غاية النهاية 1/ 24 ت 100.

21) محمد بن عياض بن محمد بن عياض الحافظ - أبو عبد الله السبتى 534 - 655 هـ انظر ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير (مخطوط) والاحاطة لابن الخطيب 2/ 226.

22) عياض بن محمد بن عياض (561 - 630 هـ). حفيد القاضي عياض، روى عن أبيه وأبي محمد الحجرى وأبي بكر بن الحداد القاضي السبتي روى عنه ابنه أبو عبد الله - وهو المذكور أعلاه - ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير/ المخطوطة التيمورية 850 والاحاطة 43/ 221.

ويحمله أيضا عن أبيه أبى عامر (23).
وعن الأستاذ المحدث أبى عبد الله بن سعيد الطراز (24).
وعن المحدث أبى العباس العزفى (25) ـ في عموم إجازتهم اياه ـ
قال أبوه القاضي أبو عامر : حدثنا أبى.
وقال الطراز : حدثنا أبو الحسن الشقورى.
وقال أبو العباس العزفى : حدثنا أبو عبد الله بن غازى.
كلهم عن المؤلف ـ رحمه الله ـ

هـ) وحدثني به أيضا من طريق حكم المذكور :

هـ/ شيخنا الفقيه المدرس أبو علي حسن بن خلف الله بن بادس القيسى القسنطينى. سماعا عليه لأبعاض من مجالس مختلفة. ومداولة لجميعه في رجب الفرد عام أربعة وستين وسبعمئة.

ـ عن المقرىء المحدث الرحال أبى عبد الله محمد بن جابر القيسى الوادى آشى (26).

ـ عن الفقيه الكاتب الجليل أبى القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى (27).

ـ عن أبى محمد عبد الله بن أبى القاسم الأنصارى. بسنده المذكور قبل.

قال ابن جابر : وقد أجازنيه أبو محمد هذا.

---

23) أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى توفي سنة 639 روى عن أبيه أبى الحسين عبد الرحمن، وابن زرقون وروى عنه بنوه.
ترجمته في المرقبة للنباهى 124.

24) 25) تقدمت ترجمتهما في الدراسة.

26) محمد بن جابر بن محمد أبو عبد الله الوادى آشى (637 ـ 749 هـ) انظر ترجمته : الدرر الكامنة 4 / 33 ت 3618.

27) خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقى القبتورى الاشبيلى المولد والمنشأ (615 ـ 704).
انظر ترجمته : ابن حجر الدرر الكامنة 2 / 174 / ت 1652.
انظر مقدمة الهيلة لوسائل المترجم «رسائل ديوانية».
المطبوع بالمطبعة الملكية بالرباط.

قال : وكنت قرأته بتونس على قاضى الجماعة (أبى) (28) العباس أحمد بن الغماز بحق (29) روايته له.

- عن الحافظ أبى الربيع بن سالم (30)، إجازة إن لم يكن سماعا.

قال : قرأت صدرا منه (31) على أبى جعفر أحمد بن حكم، وناولنيه، وحدثنى أنه سمعه على مؤلفه.

قال بن جابر : وقد كنت سمعت على الشيخ أبى محمد (32) بن هارون من كتاب الشفاء دولا لم أضبطها، وأجازنيه بحق روايته له.

- عن أبى الحسن سهل بن مالك الغرناطى (33)، إجازة.
- عن أبى جعفر بن حكم.
- عن المؤلـف.

- وحدثنى به أيضا من الطريق المذكــور :

و/ - الشيخ الفقيه الطبيب المؤرخ أبو علي عمر بن أحمد بن عمر القرشى العبدرى الشهير بالحكيم قراءة عليه لجملة وافرة منه، ومناولة لجميعه.

---

28) في الأصل «أبو العباس» وهو خطأ بين.

29) أحمد بن محمد بن حسن بن الغماز البلنسي أبو العباس (609 - 693 هـ) انظر ترجمته : برنامج الوادى آشى 38، الذيل والتكملة 1/ 409 - 413.

30) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى أبو الربيع (565 - 634 هـ).
انظر ترجمته : الاحاطة 4/ 295 ومقدمة الناشر لكتاب الاكتفاء.

31) انظر أسانيد الوادى آشى لكتاب الشفاء.
في برنامجه 215 - 218 رقم 31.

32) عبد الله بن محمد بن هارون أبو محمد الطائى القرطبى (603 - 702) انظر ترجمته : برنامج الوادى آشى 51 - 52 ت 13 وانظر احالات المحقق والدرر الكامنة 2/ 409 / 410 ت 2234.

33) سهل بن محمد بن سهل بن مالك الازدى الغرناطي أبو الحسن (559 - 639 هـ).
انظر ترجمته : عند تلميذه الرعينى في برنامجه 59 - 63.
الذيل والتكملة بقية الرابع : 101 - 124 ت 229.

عن صهره وابن عمته الشيخ الفقيه الأديب الحاج أبى علي عمر بن علي الجراوى. سماعا عليه.

- عن القبتورى المذكور.

- وعن الشيخ الصالح أبى عبد الله بن صالح (34). إجازة مشافهة.

- عن الشيخ الفقيه القاضي المحدث أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمان ابن برطلة الأزدي (35) قال قرأته على الفقيه الأجل أبى الحسين بن الشيخ الفقيه الزاهد الراوية أبى عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون (36) الأنصارى قال:

- حدثنى به أبى.

- عن مؤلفه القاضي الإمام أبى الفضل عياض.

ويحمله ابن صالح أيضا عن القاضي أبى عبد الله الأزدى المذكور. وعن القاضي أبى بكر بن محرز الزهرى (37).

---

34) محمد بن صالح بن أحمد الكنانى أبو عبد الله (614 ـ 669 هـ) روى عن أبي بكر بن محرز والحسين بن السراج وأبى القاسم بن بقى، وأبى محمد بن برطلة.
انظر ترجمته في برنامج الوادى آشى 136 ت 176 والغبرينى في عنوان الدراية 79 ت 14 والذيل والتكملة 6/ 231 ت 672، وابن الجزرى غاية النهاية 2/ 154 ت 3068.

35) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد بن برطلة الأزدى المتوفي سنة 661 هـ
انظر ترجمته في صلة الصلة مخطوط التيمورية 850، وغاية النهاية 1/ 428 ت 1797.

36) محمد بن محمد بن سعيد أبو الحسين بن زرقون (539 ـ 621 هـ) من شيوخه أبو العباس بن مضاء وأبو محمد الحجرى.
انظر ترجمته في برنامج الرعينى 31 ـ 37، التكملة 1/329 ت 967، غاية النهاية 2/ 240.

37) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو بكر بن محرز الزهرى (569 ـ 655 هـ) من شيوخه أبو بكر بن أبى جمرة وأبو عبد الله بن غازى وأجاز له أبو جعفر ابن مضاء وأبو جعفر ابن حكم.
انظر ترجمته عند الغبرينى في عنوان الدراية 263 ت 89.

ـ عن ابن غاز المذكور، قراءة عليه.

ـ وعن أبي الحسين بن السراج (38)، قراءة لبعضه ومناولة لسائره.

ـ عن أبى عبد الله المذكور.

ـ عن مؤلفـــه.

ـ وحدثنى به أيضا :

ز/ الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أبو علي عمر بن محمد البطوى الشهير بابن البحر ـ رحمه الله ـ قراءة عليه في نحو الثلث الأول، ثم قراءة عليه أيضا من أوله ولاء إلى قوله في النصف الثاني : (فصل في ذم من لم يصل على النبي عليه السلام واثمه) وإجازة لجميعه في الجملة.

ـ عن الشيخ الفقيه المحدث الناقد صلاح الدين خليل بن الأمير الكبير المجاهد كيكلدى العلائى (39)، سماعا عليه.

ـ عن الشيخ الربانى العلامة أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان الفزارى (40)، والفقيه أبى الحسن علي ابن (عثمان) (41) بن حسان الشاغورى، قراءة على كل واحد منهما، وأبى زكرياء يحيى بن محمد بن سعد المقدسى (42) إجازة.

38) أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسين بن السراج الاشبيلى (560 ـ 657 هـ).
انظر ترجمته في الذيل والتكملة 1/ 369 ت 514.

39) خليل بن كيكلدى العلائى صلاح الدين أبو سعيد الشافعى (694 ـ 761) انظر ترجمته في الدرر الكامنة 2/ 179 ت 1661.
وفي ذيل التقييد 160 ب/ وطبقات الحفاظ للسيوطي 528 ت 1161، والنجوم الزاهرة 10/ 337.

40) ابراهيم بن عبد الرحمان برهان الدين ابن الفركاح (660 ـ 729 هـ) انظر ترجمته في الدرر 1/ 3635 ت 88، وذيل التقييد 131 ب.

41) في الأصل : (علي بن عمر) وهو خطأ، يحتمل أن ينشأ عن قراءة عثمان في الرسم القديم بعمر وهو : علي بن عثمان بن حسان بن محاسن الدمشقى علاء الدين، ابن الخراط الشاغورى (654 ـ 739 هـ).
ترجمته في الدرر الكامنة 3/ 154 ت 2802 ومعجم شيوخ الذهبي (مخطوط) وذيل التقييد 227 ب.

42) يحيى بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعد الحنبلى (631 ـ 721 هـ) ترجمته في الدرر الكامنة 5/ 201 ت/ 504، ذيل التقييد 262 أ.

قال الأولان : أنا أبو محمد (ابن (43) الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلى الداوى سماعا عليه.

أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير (44) الكنانى سماعا.

أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى التميمى إجازة.

أنا القاضي عياض سماعا.

وقال الثانى : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محارب القيسي (45) من الاسكندرية.

قال أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن الحكم الخطيب. سماعا عليه.

قال أنا القاضي عياض.

قال صلاح الدين العلائى : وأخبرنى به أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد ابن عبد الله القرشى (46) فيما كتب لي بخطه من القاهرة أن أبا الحسن علي بن هبة الله بن الجميزى (47). أخبره وهو يسمع.

43) في الأصل (أبو محمد الحسين)، ولا يصح وقد زدنا سقوط «ابن» مراعاة لتقدير أقل سقط، ومعتمدنا في التصويب على مصادر ترجمته، وهو : عبد العزيز بن الحسين بن الحسن الخليلى الدارى أبو محمد توفي سنة 680 هـ.

انظر ترجمته في العبر 5 / 329، وذيل التقييد للفاسى 201 أ.

44) محمد بن أحمد بن محمد بن جبير أبو الحسين (540 ـ 614 هـ) الرحالة الأندلسي روى الشفاء عن أبي عبد الله التميمى إجازة عن المؤلف وحدث عنه به أبو محمد عبد العزيز بن الحسين الخليلى والزكى المنذرى. ترجمه تلميذه المنذرى في التكملة لوفيات النقلة 4 / 238 ت 1550، وذيل التقييد 5 أ، وانظر معهما إحالات محقق التكملة.

45) محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الملك بن محارب القيسى (594 ـ 641).

مغربي الأصل اسكندرى دخل الأندلس فروى بغرناطة عن أبى جعفر بن حكم القيسى.

غرباء الذيل والتكملة مخطوط الخزانة العامة ص 131، ذيل التقييد الورقة 70 ب.

46) محمد بن عبد الحميد بن عبد الله بن خلف بن عبد الكريم. شرف الدين القرشى المصرى المالكى توفي سنة 716 هـ.

انظر ترجمته في الدرر الكامنة 4 / 113 ت 3844، وذيل التقييد 42 أ.

47) علي بن هبة الله بن سلامة اللخمى أبو الحسن الشافعي ابن بنت الجميزى المصرى (559 ـ 649).

سمع بالأسكندرية من السلفى وانتهى اليه علو الاسناد العبر 5 / 203، ذيل التقييد 235 ب.

قال : أنبأنا الحافظ أبو طاهر السلفى أنبأنا عياض. رحمه الله.

قال : وقد قرأت نحو النصف الأول منه أيضا على أبى بكر محمد بن عبد الرحمان الصالحى (؟) عن أبى القاسم عبد الرحمان بن مكى (48) إذنا.

- قال : أنبأنا الحافظان : أبو طاهر السلفى وأبو القاسم خلف بن بشكوال.

قالا : أنبأنا عياض.

وأخبرنى بجميعه أيضا الشيخان :

أبو محمد عبد الوهاب بن الحسن بن إبراهيم القعني (؟)، وأبو المحاسن يوسف بن محمد بن محمد بن أبى الفتوح القرشي الدلائى (49) المصريان قراءة وسماعا بمصر.

قالا : انه به أبو الحسين يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتى (50) سماعا عليه.

قال : أنبأنا الحافظ يحيى بن محمد بن علي الأنصارى ابن الصائغ.

عن القاضي عياض إجازة.

- وحدثنى به أيضا

ح) الفقيه الحافظ الأستاذ المقرىء المدرس المشاور : أبو محمد عبد الله ابن عمر الوانغيلي الكفيف. قراءة عليه لبعضه وإجازة لجميعه.

ط/ والفقيه القاضي المشاور أبو محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسي العمراني قراءة عليه لبعضه ومناولة لجميعه.

---

48) عبد الرحمن بن مكى - سبط الحافظ السلفى (570 - 651 هـ).
انظر ترجمته في العبر 5 / 208 - النجوم الزاهرة 7 / 31.

49) يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح الدلاصى سمع علي أبي الحسين بن تامتيت (الشفا) بإجازته من ابن الصائغ انظر ذيل التقييد اللوحة 269 ب.

50) يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت أبو الخير اللواتي الفاسي (650 هـ).
حدث بكتاب الشفا، عن ابن الصائغ إجازة.
انظر ذيل التقييد اللوحة 260 ب.

ى/ ـ والأستاذ المقرىء أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر اللخمى، قراءة عليه لبعضه وسماعا لكثير منه، وإجازة لجميعه.

ثلاثتهم عن الفقيه الأستاذ المقرىء الراوية الشهير العلم أبى الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصارى القرطبى (51)، إجازة .

عن الأستاذ الإمام أبى الحسين بن أبى الربيع (52)، سماعا لبعضه وإجازة لسائره.

قال ابن سليمان :

وحدثنى هو، والقاضى أبو علي بن الناظر (53)، والخطيب أبو الحجاج المربلي (54)، ثلاثتهم عن أبي العباس العزفى :

عن أبيه القاضي أبى عبد الله محمد بن أحمد، وأبى عبد الله (55) محمد ابن أبي بكر الجذامي.

عن أبى الفضل مؤلفه.

---

51) أبو الحسن علي بن سليمان الأنصارى مقرىء فاس.
انظر ترجمته عند ابن الجزرى 1/ 544 ت 2229.

52) عبيد الله بن أحمد أبو الحسين بن أبي الربيع الاشبيلي (599 ـ 688) قرأ على الشلوبين ولم يكن في طلبته أنجب منه.
انظر ترجمته عند ابن جابر وهو تلميذه ـ معطر برنامجه 168 ت 262.

53) أبو علي الحسين بن عبد العزيز ابن الناظر توفي سنة 699 هـ مقرىء محدث لازم أبا علي الشلوبين.
روى عن سهل بن مالك وأبى القاسم بن بقى وأبى الربيع بن سالم.
روى عنه أبو جعفر بن الزبير.
النباهى المرقبة 927.

54) يوسف بن ابراهيم المربلى قرأ على أبى عبد الله بن زرقون وروى عنه على بن سليمان الأنصارى.
ترجمته في غاية النهاية 3/ 393 ت 3910.

55) قد تقدم مكنى بأبى بكر، ولعل له كنيتان : ابا بكر وابا عبد الله.

ويحمله الأستاذ أبو الحسين (56) والقاضي أبو علي المذكوران :

عن القاضي أبي القاسم بن بقي (57)، وجماعة غيره.

عن أبى محمد بن عبيد الله الحجرى.

عن المؤلـف.

وعن القاضى أبى عبد الله (58) بن خلفون في آخرين.

عن ابن زرقون.

عن المؤلف.

وعن الأستاذ أبى علي الشلوبين (59).

عن الخطيب أبى جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسى الحصار.

عن المؤلف.

- وحدثنى به أيضا قاضي الجماعة وخطيب الحضرة :

ك) - أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني ثم البرجي قراءة لبعضه ومناولة لجميعه غير مرة.

- عن المحدث الرحال أبى عبد الله بن جابر المذكور، سماعا لبعضه، وإجازة لجميعه بسنده المذكور.

---

(56) انظر أسانيد أبي الحسين بن أبي الربيع في برنامجه ص 266، بتحقيق المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني - مجلة معهد المخطوطات - المجلد الأول 1955.
والبرنامج من تخريج تلميذه أبي القاسم بن الشاط.

(57) أحمد بن يزيد بن عبد الرحمان أبو القاسم بن بقي 537/ 625 ترجمته عند تلميذه الرعيني في برنامجه 50 / 53.
التكملة 116 ت 292.

(58) محمد بن اسماعيل بن محمد أبو عبد الله وأبو بكر بن خلفون 555 / 636 ترجمه تلميذه الرعينى 54، التكملة 2 / 623 ت 1663.
الذيل والتكملة 5 / 128 ت 324.

(59) عمر بن محمد أبو علي الشلوبين (562 / 645 هـ).
انظر ترجمته عند تلميذه ابن أبي الربيع في برنامجه ص 258.

وعن ولي الله تعالى الخطيب المحدث أبى عبد الله محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي (60)، إجازة ان لم يكن سماعا.

عن الراوية أبى عمر بن حوط الله (61)، إجازة.
عن أبى جعفر بن حكم، وأبى العباس بن مضاء.
عن المؤلف.
وعن الطنجالي أيضا.
عن أبى الوليد إسماعيل بن يحيى المعروف بالعطار (62).
عن ابن حكم المذكور.

قلت : وقد اخذته عن غير من ذكر، ولي فيه أسانيد كثيرة غير ما ذكر، تركتها اختصارا واكتفاء بهذه عنها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

---

60) محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي الهاشمي نزيل مالقة توفي سنة 724 هـ انظر ابن حجر : الدرر الكامنة 3 / 462 الترجمة 3501.

61) عبد الرحمان بن سليمان أبو عمر بن حوط الله الأنصاري
روى عن محمد بن سعيد بن زرقون
وعنه محمد بن أحمد الطنجالي، وعلي بن سليمان الأنصاري
انظر ترجمته عن ابن الجزرى : غاية النهاية 1 / 372 الترجمة 1580.

62) إسماعيل بن يحيى بن أبى الوليد الأزدى، غرناطى يكنى أبا الوليد ويعرف بالعطار انظر ابن الأبار التكملة : 1 / 188 ت 497.

كتاب الشفا للقاضي عياض
من خلال رواته ورواياته
ومخطوطاته الأَصلية

للأُستاذ : محمد المنوني

بسم الله الرحمان الرحيـــم :

كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته ومخطوطاته الأصلية

كما هو معروف : فكتاب «الشفا» بالتعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم «كان من تأليف القاضي أبي الفضل : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. المتوفي - بمراكش - عام 544 ـ 1149.

وقد اشتهر الكتاب من حياة مؤلفه. فأقبل الدارسون على روايته. وسمعه على مصنفه من لا يحصى كثرة من أعلام الغرب الإسلامي (1).

ثم استتبع ذلك وفرة رواياته. وشيوعها على مستوى العالم الإسلامي. كما تعددت أصوله انطلاقا من أصل المؤلف. إلى الأصول المتفرعة. ثم انتشرت نسخها مغربا ومشرقا وغربا.

وبهذه الاعتبارات : كان رواة الشفا وروا ياتها. ونسخها : ثلاثتها تجسم الدور البارز للكتاب العياضي : في تعريفه بمدى النضج الثقافي للمغرب عند عصر المؤلف. فضلا عن أثر ذلك في ربط الصلات العلمية بين هذه المنطقة وما جاورها من الأندلس والمغربين. ثم ما وراء ذلك من البلاد المشرقية،مع ما تبع هذا وذاك من الصيت الذائع للمؤلف وكتابه. وللمغرب والمغاربة عبر الاجيال والجهات القريبة والبعيدة.

---

1) المقري في «ازهار الرياض» مطبعة فضالة 342/4، وفي نفس الاتجاه يقول الداودي عن كتاب الشفا في ترجمة مؤلفه : «وحمله الناس عنه، وطارت نسخة شرقا وغربا» طبقات المفسرين، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة 2 / 20.

وسيسير عرض الموضوع المطروح متدرجا في ثلاثة أبواب.
فيقدم الباب الأول نماذج من رواة الشفا - عن المؤلف - تستوعب 22 إسما.
بينما يتناول الباب الثاني أمثلة من روايات نفس الكتاب. وعددها 22 رواية رئيسية.
والباب الثالث : يشتمل على مسرد لبعض أصول كتاب القاضي عياض في 37 نسخة بين أصول معروفة ومندثرة.
وختاما : يذيل بعشر ملحقات تستوعب نصوص السماعات والأسانيد المدونة على عدد من أصول الكتاب المنوه به. فضلا عن ملحق بالمطبوعات الأولى من الكتاب ذاته. ثم ملحق ختامي يستوعب مجموعة كبرى من الأسانيد لكتاب الشفا.

الباب الأول : رواة الشفا عن المؤلف :

والقصد هنا إلى تقديم نماذج - في اثنين وعشرين اسما - من رواة كتاب القاضي أبي الفضل. فترويه جماعة بطريق السماع من المؤلف، بينما يحمله آخرون - عنه - بواسطة الاجازة. فيأتي عرض كل فريق على حدة، حسب التسلسل التاريخي للذين عرفت وفياتهم أو عصرهم.
1 - ويبتديء فريق السماع بولد المؤلف : محمد بن عياض بن موسى السبتي المتوفي - بغرناطة أو سبتة - عام 575/79 - 1180 (2).

(2) روايته هي الواردة عند رقم 5 من الباب الثاني، وهو موضوع عرض روايات الشفا، وسنجتزي - هنا - بهذه الاشارة، من غير ان نحتاج الى تكرارها عند الاحالة على - الروايات التالية.
وقد جاء عند ابن الابار في ترجمة محمد بن عياض : «سمع من ابيه القاضي ابي الفضل» (التكملة) نشر قديرة بمجريط رقم 1056، ونشير لهذه الطبعة في الاحالات التالية بحرف القاف.

2 ـ أبو الطيب ابن الخلوف : عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميري الغرناطي، المتوفي ـ بالاسكندرية ـ عام 1190/586 (3).

3 ـ أبو عبد الله ابن زرقون : محمد بن سعيد بن احمد الأنصاري الاشبيلي المتوفي ـ بها ـ عام 1190/586 (4).

4 ـ ابن الغازي : محمد بن حسن بن عطية الأنصاري الجابري السبتي، المتوفي عام 94/591 ـ 1195 (5). ويرد ذكره في الأسانيد بابن غاز «دون تعريف، وبالياء آخره وحذفها».

5 ـ ابن فليح : عبد الله بن محمد بن فليح الحضرمي القصري : قصر عبد الكريم بشمال المغرب. كان بقيد الحياة عام 591/ ـ 1195 (6).

---

3) سماعه للشفا من المؤلف : يحتفظ بنصه المقري في «ازهار الرياض» 4/ 349 ـ 50، وترجمته في «التكملة» ق 1813.
ثم «الذيل والتكملة» نشر دار الثقافة في بيروت : 5/ رقم 132. مع «صلة الصلة»: المطبعة الاقتصادية بالرباط رقم 25.

4) روايته تحمل رقم 6، وترجمته في «التكملة» ق 824. ـ فيذكر عنه ابن الابار : انه سمع من القاضي عياض واختص به، ولازمه كثيرا، ونحوه في «الذيل والتكملة» 6/ رقم 597.
وفي تعبير ابن دحية وهو يذكر ابن زرقون : «ثم لزم القاضي ابا الفضل عياض بن موسى مدة مديدة، واعواما عديدة،»المطرب في اشعار اهل المغرب» : المطبعة الاميرية بالقاهرة ص 220.

5) روايته تحمل رقم 1، وترجمته في «التكملة» ق 1060، غير ان ابن الابار لم يدقق تاريخ وفاته : «وتوفي في بضع وتسعين وخمسمائة»، ثم حدد ابن الزبير هذا البضع بعام 591، حسب صلة الصلة» : القطعة المخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 850 تاريخ : قسم الخزانة التيمورية.

6) روايته ومعه ابن مضاء : تحمل رقم 7، وترجمة ابن فليح في «التكملة» ق 1489، ويقول عنه ابن الابار وهو يعدد مشيخته : «روى عن ابى بكر ابن العربي... وابي الفضل عياض ابن موسى وعليه اعتماده في الرواية، وأجاز له أبو بكر بن طاهر...».

6 ـ ابن مضاء : احمد بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الجياني ثم القرطبي، المتوفي ـ باشبيلية ـ عام 1196/592 (7).

7 ـ أبو جعفر الحصار : احمد بن علي بن حكم القيسي الغرناطي. المتوفي ـ بها ـ عام 1201/598 (8). ويذكر في الأسانيد بابن «حكم».

8 ـ أبو عبد الله بن عبو : محمد بن عبد القادر الفازازي الركلاوي المكناسي. كان بقيد الحياة عام 611/1214 ـ 15 (9).

9 ـ أبو بكر محمد بن أبي بكر بن الحداد الجذامي. تاريخ وفاته غير مذكور (10).

10 ـ أبو عبد الله العزفي : محمد بن أحمد بن محمد اللخمي السبتي قاضيها. تاريخ وفاته غير مذكور (11).

11 ـ أبو عبد الله التميمي : محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى السبتي تاريخ وفاته غير مذكور (12).

---

7) روايته مع ابن فليح تحمل رقم 7، ومع ابن حكم : رقم 8، وجاء التصريح بسماع ابن مضاء من ابي الفضل عند الفاسي في «العقد الثمين...» : مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة 44/6، وله ـ ترجمة موسعة في «الذيل والتكملة» 1 رقم 291.

8) روايته بمفرده تحمل رقم 2، وترجمته في «التكملة» ط الجزائر رقم 239، مع «الذيل والتكملة» 1 / رقم 387، وبالمصدرين ـ معا ـ يذكر سماع ابن حكم من القاضي عياض.

9) ترجمته في «صلة الصلة» : القطعة المخطوطة، فيذكر ابن الزبير انه سمع على عياض كتاب الشفا وغيره.

10) روايته ـ بمفرده ـ تحمل رقم 9، ومع العز في رقم 10، وورد التصريح بسماعه من المؤلف عند السراج في الافتتاحية التي صدر بها اصله من كتاب «الشفا»، حيث سيرد نصها عند الملحق رقم 5.

ولا ذكر لترجمة ابن الحداد بالمصادر التي رجعت لها، واشار لاسمه الرعيني وهو يعدد اشياخ ابي العباس العزفي هكذا : «وابو عبد الله محمد بن ابي بكر الجذامي : سمع عليه الشفا...»، برنامج شيوخ الرعيني : المطبعة الهاشمية بدمشق ص 45.

11) روايته ومعه ابو بكر بن الحداد: تحمل رقم 10، ولا ذكر ـ لترجمته ـ بالمصادر التي رجعت لها.

12) روايته تحمل رقم 3، ويرد التصريح بسماعه من المؤلف في اسانيد ابن جبير لكتاب الشفا، وترجمته في «التكملة» ق 1057، وهي خالية من تاريخ وفاته.

ومن الذين يروون الشفا عن المؤلف بطريق الإجازة،

12 ـ ابن قرقول : ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم القائدي الحمزي ثم الوهراني، المتوفي ـ بفاس ـ عام 1174/569 (13).

13 ـ أبو الطاهر السلفي : احمد بن محمد بن أحمد الاصبهاني نزيل الاسكندرية، المتوفي ـ بها ـ عام 1180/576 (14).

14 ـ ابن بشكوال : خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري القرطبي، المتوفي ـ بها ـ عام 1182/578 (15).

15 ـ أبو الحسن ابن أبي : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع، الأشعري النسب والمذهب. القرطبي. المتوفي ـ بغرب عدوة المغرب-عام 89/585 ـ 1190 (16).

16 ـ أبو محمد الحجري : عبد الله بن محمد بن علي المري. نزيل سبتة، والمتوفي ـ بها ـ عام 591 / 1195 (17).

---

13) روايته رقم 11، وترجمته في «التكملة» ط الجزائر رقم 394، ثم في «جذوة الاقتباس» ط. دار المنصور بالرباط رقم 13، وفي المصدر الاخير يشير ابن القاضي الى ان ابن قرقول مجاز من ابي الفضل.

14) روايته بمفرده رقم 12، ومع ابن بشكوال رقم 14، وكتب له ترجمة موسعة الاستاذ محمد محمود زيتزن في كتاب على حدة بعنوان : «السلفي اشهر علماء الزمن»، وهو منشور بمبادرة شباب الجامعة بالاسكندرية في مطبعة صلاح الدين.

15) روايته بمفرده ـ رقم 13 ومع السلفي رقم 14، وترجمته في «التكملة» ق 179. ويقول ابن بشكوال عند ترجمة عياض : «وقدم علينا قرطبة... فأخذنا عنه بعض ما عنده»، حسب «الصلة» نشر العطار رقم 975، غير ان سنده للشفا عن مؤلفها كان بالمكاتبة، كما سيتبين من سياق روايته الواردة عند رقم 13 من الباب الثاني.

16) روايته رقم 15، وترجمته في «التكملة» ق 1619، حيث يذكر ابن الأبار عياضا بين اللذين كتبوا له بالاجازة.

17) روايته بمفرده ـ رقم 16، ومع ابن الغازي رقم 17، وترجمته في «التكملة» ق 1416، ويقول عنه ابن رشيد : «ولقي ابو محمد الحجري ـ بغرناطة ـ القاضي ابا الفضل عياض بن موسى اذ ولي قضاءها، واجاز له ما حمله ورواه»، «افادة النصيح...»، ط. الدار التونسية للنشر ص 86.

17 ـ ابن الفرس : عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي، المتوفي ـ بها ـ عام 597 / 1201 (18).

18 ـ ابن أبي جمرة : محمد بن عبد الملك المرواني ولاء المرسي، المتوفي ـ بها ـ عام 1202/599 (19).

19 ـ ابن الصائغ : يحيى بن محمد بن علي الأنصاري السبتي. المتوفي ـ بها ـ عام 03/600. 1204 (20).

20 ـ الشقوري : علي بن أحمد بن علي الغافقي القرطبي. المتوفي ـ بها ـ عام 1219/616 (21).

●●●

21 ـ ومن الذين ذكرت روايتهم مجملة دون النص على السماع أو الاجازة: أبو محمد : خليل بن اسماعيل بن خلف السكوني اللبلي. المتوفي بها ـ عام 1162/557 (22).

22 ـ أبو القاسم ابن الملجوم : عبد الرحمن بن يوسف بن محمد الازدي الزهراني الفاسي. المتوفي ـ بها ـ عام 1208/605 (23).

---

18) روايته رقم 18، وترجمته في «التكملة» ق 1814. ثم في «الذيل والتكملة» 5 / رقم 129، وفي هذا المصدر يثبت ان عياضا من المجيزين لابن الفرس، ومثله في «صلة الصلة» : القطعة المنشورة رقم 28.

19) روايته رقم 19 وترجمته في «التكملة» ق 870، وفيها ان ابن ابي جمرة استجاز عياضا، وترجمته ـ ايضا ـ في «الذيل ـ والتكملة» 6 / رقم 1.

20) روايته رقم 4، وترجمته في «التكملة» ق 2070، مع «صلة الصلة» : القطعة المنشورة رقم 390، وحدد روايته بالاجازة كل من السراج حسب الملحق رقم 5، ثم ابن غازي في فهرسه : «التعلل برسوم الاسناد...» نشر دار المغرب بالبيضاء، ص 188.

21) روايته رقم 20، وترجمته في «التكملة» ق 1890، ثم في «الذيل والتكملة» 5 / رقم 334، وبهما ـ معا ـ ان ابا الحسن الشقوري مجاز من عياض.

22) روايته رقم 21، وترجمته «بالتكملة» ق 188، وتحديد تاريخ وفاته عند السيوطي في «بغية الوعاة» : مطبعة السعادة بمصر ص 245.

23) روايته رقم 22، وترجمته في «التكملة» ق 1652.

الباب الثاني : روايات الشفا

قدم الباب الأول اثنين وعشرين من رواة الشفا عن المؤلف بين سماع واجازة. غير أن اثنين منهم لا تعرف لهم - الان - أسانيد مسلسلة للكتاب.

وهما الواردان عند رقمي 2 و 8. بينما تفرعت عن باقيهم اثنتان وعشرون رواية رئيسية. وهي التي يقدمها هذا العرض مع ملاحظة أن أربعة منها كانت أكثر انتشارا فصارت لها الأسبقية في هذا المسرد :

1 - بدءا من رواية ابن الغازى سابق الذكر عند رقم 4، ويقول عنه ابن الأبار (24) : «روى عن أبي الفضل عياض. واختص بصحبته وملازمته. وسمع منه جل روايته وتواليفه».

ثم يذكر عنه السراج (25) أنه قرا كتاب الشفا على مؤلفه، وعارض بأصله وكتب له عياض خطه بذلك في غرة ذي القعدة سنة 535.

وقد انتشرت رواية ابن الغازي بالمغرب مع مر الزمن. اعتمادا على نسخة علي بن فرج من الشفا. وهي التي كتبها هذا بخطه. ثم قابلها وصححها. وترجع إلى أصل ابن الغازي المقرؤ - مرتين - على القاضي أبي الفضل (26).

---

24) «التكملة» ق 1060.

25) في افتتاحيته للشفا حيث سيرد نصها بالملحق رقم 5.

26) سيرد التعريف بهذه النسخة عند رقم 17 من الباب الثالث، وعليها كتابات تعرف بقيمتها حسب الملحقات رقم 1 و 4. أما كاتب هذا الأصل فاسمه كاملا : علي بن محمد بن فرج القيسي القيجاطي نزيل غرناطة. وله ترجمة في «صلة الصلة» - المنشورة رقم 282. وعند الرحالة السبتي ابي القاسم التجيبي في تعاليقه المنشورة مع «الذيل والتكملة» 5 ص 319.

ومن الجدير بالذكر ان كاتب النسخة التي نعلق عليها يوجد بخطه كتاب «الالماع» للقاضي عياض. فرغ منه بتاريخ 5 رمضان عام 632. ويحمل بالاسكوريال رقم 1572. مع نسخة من الجواهر الثمينة لابن شاش. حيث يوجد منها السفران الثاني والثالث في مجلد مبتور الطرفين. وجاء عند اخر السفر الثاني انه وقع الفراغ من كتابته اواخر ذي القعدة عام 646. ومن معارضته بتاريخ 4 ربيع الاول عام 647 والسفران - معا - ضمن مخطوطات خزانة تمگروت باقليم ورززات رقم 1103.

وهذه النسخة ـ التي كتبها ابن فرج ـ أعاد مقابلتها يحيى السراج. فصارت ـ بعد ذلك ـ هي أم المنتسخات المغربية من هذا الكتاب، كما سنرى عند التعريف بها (27).

ونشير ـ الآن ـ إلى أن للسراج أسانيد متعددة لكتاب الشفا. حيث دونها في افتتاحية النسخة المنوه بها. وابتدأ منها بالسند إلى ابن الغازى : عن شيخه ابن الحاج البلفيقي : محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي (المرداسي المري) (28).

عن أبي اسحاق الغافقى : ابراهيم بن أحمد (ابن عيسى) المديونى (الاشبيلي ثم السبتى) (29).

عن أبي عبد الله الازدى : محمد بن عبد الله بن أحمد السبتي (30).

عن ابن الغازى. عن المؤلف أبي الفضل.

2 ـ رواية أبي جعفر الحصـــار : سابق الذكر عند رقم : 7

ويعرف ـ أيضا بابن حكم. وقد انتشرت روايته بالأندلس وسبتة وتونس وبمصر والشام والمدينة المنورة.

وسنتبين مدى شيوعها بالأندلس من أسانيد الجهات التالية :

ففي تونس : يستند إلى رواية ابن حكم : عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني. في كتاب «الوفا ببيان فوائد الشفا» (31). فيصدر تعاليقه بسنده إلى أبي الفضل عياض.

---

27) انظر رقم 17 من الباب الثالث، وترجمة السراج توجد ومعها جملة من مصادرها ومراجعها : عند الكتاني في «سلوة الانفاس...» ط. ف : 2/143 ـ 144.

28) ترجمته عند ابن الخطيب في «الاحاطة» نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 2/143 ـ 169، وكان قد ترجمه قيد حياته، ثم ترجمه وذكر تاريخ وفاته «بالدرر الكامنة» مطبعة مجلس دائرة المعارف في حيدراباد الدكن 4/155 ـ 157.

29) ترجمته عند الوادي اشي في «برنامجه» طبع دار الغرب الإسلامي رقم 101.

30) ترجمته في «برنامج شيوخ الرعيني» رقم 91.

31) السفر الاول : مخطوط خ. م. 4016 : ص 2. ومؤلفه هو صاحب الرحلة التيجانية. حيث توجد ترجمته بمقدمة طبعتها في المطبعة الرسمية بتونس ص 19م ـ 43م.

من طريق شيخه أبي القاسم الكلاعي : محمد بن قائد بن علي (32).

عن أبي اسحاق بن عياش : ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز التجيبي (33).

عن أبي زيد الناشي : عبد الرحمن بن محمد الخزرجي (34).

عن ابن حكم. عن المؤلف.

وفي تونس أيضا : يروي ابن جابر الوادي آشي نفس الكتاب من ثلاثة طرق :

أ ـ عن القبتوري : خلف بن عبد العزيز بن محمد الاشبيلي نزيل سبتة (35)

عن ابن أخت أبي صالح : عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري المالقي نزيل سبتة (36).

عن القمارشي : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي المالقي (37).

عن ابن حكم. عن المؤلف (38).

وللقبتورى نسخة معتمدة من الشفا سنشير لها من بعد (39).

---

32) اشار له ولوفاته الزركشي، مسميا له عبد الوهاب ابن قائد الكلاعي : «تاريخ الدولتين...» مطبعة الدولة التونسية ص 34.

33) لا ذكر بترجمته بالمصادر التي رجعت لها، ولوالده ترجمة «بالتكملة» ق 1642، مع كتاب فقهاء مالقة وأدبائها : مصور خ. ع، ص 132 ـ 133.

34) قد يكون هو القمارشي المتكرر الذكر بالروايات التالية، وترجمته «بالتكملة» ق 1643، مع «برنامج شيوخ الرعيني» رقم 64.

35) ترجمته في «برنامج الوادي اشي» رقم 26.

36) ترجمته بنفس المصدر رقم 190.

37) مصدر ترجمته سبق عند التعليق 34.

38) ساق هذا السند الوادي آشي في «برنامجه» ص 215 ـ 216، ولصاحب السند ترجمة موسعة عند تقديم برنامجه المنشور : ص 9 ـ 20.

39) أنظر النسخة رقم 11 من الباب الثالث.

ب - وعن ابن الغماز : أحمد (بن محمد بن حسن الخزرجي البلنسي نزيل تونس) (40).

عن أبي الربيع (الكلاعي : سليمان بن موسى) بن سالم (الحميري البلنسي) (41).

عن ابن حكم، عن المؤلف (42).

وهذا السند وسابقه : من طرق ابن مرزوق «الخطيب» للشفا : عن ابن جابر مباشرة (43).

ج - وعن ابن هارون : عبد الله (بن محمد الطائي القرطبي نزيل تونس) (44).

عن أبي الحسن بن مالك : سهل (بن محمد بن سهل بن أحمد الازدى) الغرناطي (45).

عن ابن حكم، عن المؤلف (46).

وهذا السند أحد طرق ابن حجر العسقلاني إلى الشفا : عن أبي إسحاق التنوخي عن ابن جابر (47).

• • •

---

40) ترجمته في «برنامج الوادي اشي» رقم 1.

41) ترجمته في «الذيل والتكملة» 4 - رقم 203.

42) هذا السند عند الوادي آشي في «برنامجه» ص 216.

43) «نفح الطيب» المطبعة الازهرية المصرية 3 - 108 على ابهام في اسم القبتوري، وحذف اسم ابن الغماز من السند الثاني، وانظر عن ترجمة ابن مرزوق الخطيب «الديباج المذهب» لابن فرحون مطبعة المعاهد بمصر ص 305 - 309، مع «نيل الابتهاج» للتنبكتي المنشور بهامش الديباج ص 267 - 270.

44) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم 13.

45) له ترجمة في «الذيل والتكملة» 4 / رقم 229.

46) اورد هذا السند الوادي آشي في برنامجه ص 218.

47) كفاية الراوي والسامع... «اسم ثبت الشيخ يوسف الحسيني الحلبي، المنشور ضمن... «الأنوار الجلية...» لمحمد راغب الطباخ المطبعة العلمية بحلب ص 66، وأصل ذلك عند ابن حجر في «المعجم المفهرس»، مصور خ. م 12646 : لوحة 56.

وفي **سبتة** : نشير إلى أبي الحسين بن أبي الربيع : عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأموي العثماني الاشبيلي نزيل سبتة (48).

فيروي الشفا عن أبي علي الشلوبين : عمر بن محمد بن عمر الازدي الاشبيلي (49).

عن ابن حكم، عن المؤلف (50).

ومن نفس المدينة ابن رشيد : محمد بن عمر بن محمد الفهرى (51).

وهو يروي الشفا عن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري سابق الذكر.

عن أبي زيد القمارشي سابق الذكر.

عن ابن حكم، عن المؤلف (52).

وهنا تنتهي هذه النماذج من الأسانيد إلى ابن حكم في كل من تونس وسبتة وكما أشير له سلفا : فهي تدل على شيوع لهذه الرواية بالأندلس.

• • •

ونضيف لذلك رواية أندلسية من طريق أبي عبد الله (الطنجالي) : محمد ابن أحمد بن يوسف الهاشمي (المالقي) (53).

عن أبي الوليد العطار : اسماعيل بن يحيى (بن اسماعيل الازدي الغرناطي) (54).

---

48) ترجمته بالقطعة المخطوطة من «صلة الصلة» لابن الزبير.

49) له ترجمة موسعة «بالذيل والتكملة» 5 / رقم 807.

50) جاء هذا السند في برنامج ابن ابي الربيع : المنشور في «مجلة معهد المخطوطات العربية» : بالجزء الثاني من المجلد الاول ص 266.

51) ترجمته ومعها جملة من مصادرها ومراجعها : في «سلوة الانفاس» 2 / 191 ـ 192.

52) ورد ضمن اسانيد السراج بالافتتاحية التي صدر بها اصله ـ من كتاب الشفا، حيث سيرد نصها بالملحق رقم 5.

53) ترجمته في «الاحاطة» 3 / 245 ـ 248.

54) ترجمته في «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري : دار الكتاب اللبناني : رقم 790.

عن ابن حكم، عن المؤلف (55).

ورواية أندلسية مغربية من طريق المنشوري : محمد بن عبد الملك بن علي القيسي الغرناطي (56).

عن ابن عمر : محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الفاسي (57).

عن أبي الحسن القرطبي : علي بن سليمان بن أحمد الأنصاري نزيل فاس (58).

عن ابن حوط الله : عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان الأنصاري الاندي (59).

عن ابن حكم، عن المؤلف (60).

• • •

وبلغت رواية ابن حكم إلى مصر والشام، فيرويها صلاح الدين العلائي : خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي (61) نزيل بيت المقدس.

عن أبي الحسن علي بن عمر بن حسان الشاغوري (62).

عن أبي عبد الله بن محارب : محمد بن محمد بن عبد الرحمن القيسي : من الاسكندرية (63).

ومنها زار الأندلس فروى - بغرناطة - عن ابن حكم، عن المؤلف (64).

---

(55) هذا السند عند السراج، حسب افتتاحية اصله من الشفا : بالملحق رقم 5.

(56) ترجمته عند الكتاني في «فهرس الفهارس» 2/ 5 - 6.

(57) ترجمته عند الكتاني «سلوة الانفاس» 2/ 3.

(58) ترجمته «بالمصدر الاخير» 3/ 149.

(59) ترجمته في «غاية النهاية...» رقم 1580.

(60) ساق هذا السند المنتوري في «فهرسه» : مخطوط خ. م. 1578/1 ص 70.

(61) ترجمته في «الدرر الكامنة» 2/ 90 - 92.

(62) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(63) ترجمته في «التكملة» ق 2144 ص 752 - 753.

(64) هذا السند عند السراج حسب افتتاحيته للشفا : بالملحق رقم 5.

ووصلت الرواية ذاتها إلى المدينة المنورة فرواها جماعة، بينهم محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي ثم المدني (65).

عن خلف الفيتوري : بسنده المتقدم إلى بن حكم، عن أبي الفضل (66).

3 ـ رواية أبي عبد الله التميمي سابق الذكر عند رقم 11

وعرفت في الشرق من طريق تلميذه الرحالة ابن جبير : محمد بن أحمد بن حسين الكناني البلنسي المولد، ثم استوطن عدة مدن بالأندلس وغيرها : إلى أن أقام ـ آخر عمره ـ بالقاهرة والاسكندرية يحدث ويوخذ عنه،إلى أن توفي بالمدينة الأخيرة عام 1217/614 (67).

أ ـ وقد حدث عنه بكتاب الشفا جماعات، بينهم أبو محمد المنذرى : عبد العظيم بن عبد القوى (بن عبد الله) الشامي ثم المصرى القاهرى (68).

ب ـ و(ابن الجرج التلمساني) : محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصارى نزيل الاسكندرية (69).

ولكل من الاثنين نسخة من الشفا سنشير لها من بعد (70).

ج ـ ونفس الكتاب رواه عن ابن جبير : رشيد الدين ابن العطار : يحيى بن علي (بن عبد الله) القرشي (الأموي النابلسي ثم المصري) (71).

---

65) ترجمته عند السخاري في «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» وطبعة دار نشر الثقافة بالقاهرة، رقم 4066.

66) اشار لهذا السند : السخاوي في «التحفة اللطيفة عند رقم 1142.

67) له ترجمة مطولة «بالذيل والتكملة» 5 / رقم 1172.

68) ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى «للسبكي : المطبعة الحسينية المصرية 5 / 108 ـ 109. وفي ترجمة ابن حبير من شجرة النور الزكية ص 175 : وحدث بالشفا... وسمع منه الحافظان عبد العظيم المنذري، وأبو الحسن يحيى بن علي الفرشي، وانظر العقد الثمين... للفاسي 6 / 44.

69) أشار لاسمه ووفاته الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، دار احياء الثراث العربي» ص 1438.

70) سيرد التعريف بهما عند الباب الثالث رقم 23، 24، 35، 36.

71) ترجمته عند الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ص 1442 ـ 43، ووردت الاشارة لروايته الشفا عن ابن حبير ومعه الاربعة المذكورون بعده : عند الفاسي في «العقد الثمين...» 6/44.

د ـ والتاج القسطلاني : على بن أحمد بن علي القيسي المصري ثم المكي (72).

هـ ـ والكمال : علي بن شجاع (بن سالم) العباسي الضرير (73).

و ـ ومعين الدين : عبد الهادي بن عبد الكريم (بن علي) القيسي (المصري) (74).

ز ـ كما رواه عن المنوه به : القاضي علم الدين : محمد بن الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق الربعي القاهري (75).

وعنه ـ مباشرة ـ يسند أبو الفتح ابن سيد الناس إلى «الشفا» كتابه «عيون الأثر...» (76).

ومن جهة ابن سيد الناس : يسند ابن حجر العسقلاني احدى طرفه لهذا الكتاب (77).

ج ـ ومن رواة الشفا عن ابن جبير : الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلي الدارى (78).

---

72) ترجمته بالمصدر الاخير رقم 2032، وروايته عن ابن جبير احدى الطرق التي أسند اليها زكرياء الانصاري وهو يذكر اسانيده للشفا، حسب «فهرسه» من جمع تلميذه السخاوي : خ. ع، ك سادس مجموع 1233 ـ ص 124.

73) ترجمته في «غاية النهاية» رقم 2231.

74) ترجمته بنفس المصدر رقم 1975.

75) ترجمته عند الصفدي في «الوافي بالوفيات» : الطبعة الثانية رقم 188، وطريق ابن رشيق احدى روايات الشفا التي يسند لها ابن حجر في «المعجم المفهرس» : لوحة 56.

76) نشر دار المعرفة في بيروت 2/347، وترجمة مؤلفه في «الوافي بالوفيات» رقم 198.

77) يوجد هذا السند في اجازة مكتوبة بهامش خاتمة كتاب الشفا في مخطوطة مشرقية خ. م. 2552، وسيرد التعريف بهذه النسخة عند الباب الثالث رقم 20، ومن جهة ابن سيد الناس عن ابن رشيق : يسند الصفدي إلى الشفا، حسب «الوافي بالوفيات» ج 23 : مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم 13325 : ورقة 33. أ.

78) لا ذكر بترجمته بالمصادر التي رجعت لها، وذكره ابن حجر في «المعجم المفهرس» لوحة 56 : باسم محمد بن الحسن بن الحسين الخليلي.

ومن طريقه وصلت الرواية الجبيرية للمغرب، فيسوقها السراج بسنده (79).
إلى الخليلي الداري عن ابن جبير...

ثم دخلت الرواية ذاتها للمغرب من طريق عبد العظيم المنذري، وكان ذلك بواسطة ابن غازي، محمد بن احمد بن محمد العثماني المكناسي نزيل فاس (80).

فيرويها عن مجيزه فخر الدين الديمي، عثمان بن محمد بن عثمان المصري (81)، بسنده إلى المنذري عن ابن جبير...

• • •

وسيضاف إلى الرواة السبعة المشار اليهم، مجموعة يبلغ تعدادها خمسة عشر راويا، وهم المدونة أسماؤهم في لائحة السماع على الرحالة الأندلسي، حيث سجل نصها على المجلد الأول من أصل الشيخ المحفوظ بمخطوطات الأوقاف ببغداد رقم : 2950.

وإلى ذلك تضاف ثمانية أسماء ضمن لائحة سماع أخرى وهي بآخر المجلد الأول من مخطوطة للشفا بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة رقم 416.

وسيرد نص هذه اللائحة عند الملحق رقم 10.

4 ـ رواية ابن الصائغ : سابق الذكر عند رقم 19.

يظهر أنها وصلت للمشرق بواسطة تلميذه ابن تامتيت: أحمد بن محمد بن اللواتي الفاسي، فيذكر عنه ابن الابار (82): أنه لحق بالمشرق وحدث بمصر عن أستاذه ابن الصائغ.

---

(79) في افتتاحية أصله من الشفا : حسب الملحق رقم 5.

(80) «التعلل برسوم الاسناد...» ص 140.

(81) ترجمته عند السخاوي في «الضوء اللامع» 5 / 140 ـ 142.

(82) عند ترجمته من «التكملة» ط الجزائر رقم 325. وتاريخ وفاته في «الوافي بالوفيات» رقم 3377.

غير أن الأسانيد التي سنشير لها إنما تتصل بابنه يحيى الراوي بدوره للشفا عن ابن الصائغ - مباشرة - إجازة (83)، وقد اشتهر من المشارقة اثنان يسندون لكتاب أبي الفضل من طريق يحيى ابن تامتيت.

الأول : أبو المحاسن الدلاصي : يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح القرشي المصرى (84).

الثاني : ابن سيد الكل : الزبير بن علي الازدي المهلبي الاسواني ثم المدني نزيلها ودفينها (85).

• • •

83) رواية يحيى ابن تامتيت هذه : اشار لها ابن مرزوق الخطيب في احد اسانيده للشفا، حيث وردت عند ابراهيم ابن هلال في «فهرسه» المخطوط خ. ع. ك 1233، ثم ابن غازي في «التعلل برسوم الاسناد» ص 188.

84) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر، ويسميه المقري بعبد الله بن عبد الحق القرشي المخزومي - الدلاصي... حسب «ازهار الرياض» 4/341، وهذا له ترجمة مذكورة بعدد من كتب التراجم، ومنها في «برنامج الوادي اشي» رقم 47.

85) ترجمته عند الادفوي في «الطالع السعيد...» المطبعة الجمالية بالقاهرة ص 129 - 130، ثم في «الدرر الكامنة» 2 / 113، حيث يسمي جده بسيد الكل، بينما يسميه المصدر الاول سيد الأهل. وقد انفرد الادفوي بذكر سماع ابن سيد الكل - مباشرة - من أبي العباس ابن تامتيت، وهو شيء غير ممكن، اعتبارا بأن هذا الأخير كانت وفاته من مفتتح عام 657 هـ. حسب «الوافي بالوفيات» 7/384، بينما كانت ولادة ابن سيد الكل عام 656 هـ : «غاية النهاية» 1/293، أو في عام 660 هـ «الدرر الكامنة» 2/113، هذا فضلا عن التاريخ الذي يحدد، المصدر الاخير لرواية الاسواني عن ابن تامتيت، وهو عام 675 هـ.

والذي كان بقيد الحياة في هذه الحقبة هو يحيى ابن تامتيت فيكون هو استاذ ابن سيد الكل، وهو ما يسير عليه سياق مرزوق الخطيب في أحد أسانيد، للشفا الواردة عند ابراهيم بن هلال في فهرسه انف الذكر، ثم السراج في افتتاحية أصله من الشفا : «الملحق» رقم 5.

وثالثا : الرصاع في «فهرسه» نشر المكتبة العتيقة بتونس ص 111، وغير هؤلاء.

فمن طريق الدلاصي نشير لثلاثة أسانيد :

أ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني: عن ناصر الدين ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم، حيث يذكر عنه السخاوي (86). انه اسمع ـ صغيرا ـ على الدلاصي، وحدث بالشفا (87).

ب ـ ابن مرزوق الكفيف : محمد بن محمد الحفيد بن أحمد بن محمد الخطيب ابن احمد العجيسي التلمساني (88): عن والده محمد الحفيد (89). عن الشيخين: ابن الكويك : محمد بن محمد بن عبد اللطيف الربعي القاهري (90)، وابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصارى القاهري (91): كلاهما عن الدلاصي (92).

ج ـ السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (93) : عن محمد بن عبد الله الخطيب (94)، عن علي بن محمد السبع (95)، عن الدلاصي (96).

• • •

ومن طريق ابن سيد الكل : نعرض ثلاثة أسانيد للشفا.

---

86) «الضوء اللامع» 51/8 : عند ترجمة ابن الفرات.

87) أورد هذا السند السخاوي ف، ز «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر : مخطوط خ. م. 1500 75/1.

88) ترجمته في «نيل الابتهاج...» المنشور بهامش الديباج ص 330.

89) ترجمته بنفس المصدر ص 293 ـ 299.

90) ترجمته في «الضوء اللامع» 111/9.

91) ترجمته بالمصدر الاخير 100/6 ـ 105.

92) ورد هذا السند في «ثبت» أحمد بن علي البلوي : مصورة مخطوطة الاسكوريال رقم 1725 من فهرس بروفنسال.

93) كتب لنفسه ترجمة ذاتية «بالضوء اللامع» 2/8 ـ 33.

94) يعرف بالرشيدي، وترجمته في «الضوء اللامع» 101/8 ـ 102.

95) ترجمته في «الدرر الكامنة» 111/3، ثم في شذرات الذهب» 340/6، وقد ضبط فيها «السبع» بفتح فسكون.

96) ورد هذا السند في «التعلل برسوم الاسناد... ص 152 ـ 153.

أ ـ فيرويها كل من مرزوق الخطيب المتكرر الذكر، والنويري: علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي المكي (97) : كلاهما عن ابن سيد الكل (98).

ب ـ أبو شامل الشمني (99) : عن محمد بن أحمد المرغوشي (100) بالأسكندرية، عن ابن سيد الكل (101).

ج ـ أبو الطيب السحولي : محمد بن عمر بن علي اليمني ثم المكي، قال عنه السخاوي (102) واحضر ـ في آخر الخامسة بالمدينة ـ على الزبير الأسواني الشفا، ثم قال : سمع منه الايمة. سيما الشفا، فحدث به غير مرة لتفرده به في الدنيا، وممن سمع منه شيخنا (يعني بن حجر العسقلاني)، وذكره في معجمه، والتقى ابن فهد.

وابن فهد هو محمد بن محمد بن محمد الهاشمي المكي، (103) ومن طريقه عادت رواية ابن الصائغ إلى المغرب الأوسط. فيرويها الشريف التلمساني (104) محمد بن علي بن أبي الشرف الحسني ـ في افتتاحية شرحه للشفا (105) ـ عن المحب النويري : أحمد بن محمد بن محمد العقيلي المكي: (106) في منزله ـ بمكة ـ سنة 920 هـ : عن التقي بن فهد، عن السحولي عن ابن سيد الكل.

كما عادت، نفس الرواية إلى تونس من طريق أبي القاسم البرزلي، (107) عن الزبيدي، عن ابن مرزوق الخطيب، عن ابن سيد الكل (108).

---

97) ورد هذا السند في «الدرر الكمنة» 3 / 17.

98) جاء هذا السند في ثبت البلوي سابق الذكر وشيكا.

99) ترجمته في «الضوء اللامع» 9 / 74 ـ 75.

100) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

101) اورد هذا السند التلمساني في افتتاحية شرحه للشفا خ. ع. ك 1340 : ص 4.

102) «الضوء اللامع» 8 / 251 عند ترجمته.

103) ترجمته بالمصدر الأخير 9 / 281 ـ 283.

104) ترجمته في «نيل الابتهاج» ص 336.

105) المخطوط الانف الذكر : ص 4.

106) ترجمته عند الغزي في «الكواكب السائرة...» 1 / 126.

107) ترجمته في «نيل الابتهاج» ص 225 ـ 226، وله ترجمة موسعة في «فهرس الرصاع».

108) أورد هذا السند الرصاع في فهرسه ص 101.

وعادت إلى المغرب الأقصى من طريق محمد بن أحمد ابن غازى سابق الذكر، وهو يتصل بالدلاصي بسند كل من ابن مرزوق الكفيف والسخاوي.
ويتصل بابن سيد الكل بسند كل من ابن مرزوق الخطيب والشمني (109).

وقد مر تفصيل الأسانيد الأربعة وشيكا.

• • •

والى هنا نتابع تقديم بقية روايات الشفا حسب العرض التالي :

5 ـ **رواية ولد المؤلف :** محمد بن عياض مار الذكر رقم : 1

ومن الأسانيد اليها : رواية مسلسلة بالاباء : من طريق ابن مرزوق الكفيف محمد، عن أبيه محمد الحفيد، عن أبيه محمد (110) وعمه أبي الطاهر أحمد (111)، عن أبيهما محمد ابن مرزوق الخطيب، عن سبط حفيد القاضي عياض : أبي المجد أحمد (112)، عن أبيه محمد (113)، عن أبيه عياض الحفيد (114)، عن أبيه محمد الراوي عن والده القاضي أبي الفضل عياض مصنف الشفا (115).

---

109) «التعلل برسوم الاسناد...» ص 46، 152 ـ 153 ـ 187 ـ 188.
110) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.
111) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.
112) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.
113) ترجمته في «الاحاطة» 2/226 ـ 229.
114) ترجمته في «التكملة» ق 1952، ثم في «صلة الصلة»: القطعة المطبوعة رقم 322، مع الاحاطة 4/221.
115) هذا السند احد طرق ابن مرزوق «للشفا» ونقله عنه ابراهيم بن هلال في «فهرسه»، وابن غازي في «التعلل برسوم الإسناد» ص 188 من النص المطبوع، مع الرجوع إلى بعض مخطوطات الفهرس.

6 ـ رواية أبي عبد الله بن زرقون مار الذكر رقم 3.

يسندها ابن أبي الربيع القرشي ـ سابق الذكر ـ من طريقين :

أ ـ عن ابن خلفون : محمد بن اسماعيل بن محمد الازدي الاونبي 116 عن أبي عبد الله بن زرقون، عن القاضي أبي الفضل عياض (117).

ب ـ وعن أبي القاسم بن بقي : أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن الاموي (118) عن أبي عبد الله بن زرقون... (119)

وإلى هذا السند الأخير ترجع رواية ابن غازى للشفا : من طريق شيخه عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي (120)، بسنده المبسوط في التعلل برسوم الإسناد (121).

ويسند السراج (122) هذه الرواية عن شيخه أبي علي الحكيم : عمر بن أحمد بن عمر القرشي العبدري (123)، عن أبي عبد الله بن صالح (123 م) عن ابن برطلة : عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي (124)، عن أبي الحسين بن زرقون محمد(125)، عن والده أبي عبد الله محمد بن سعيد صاحب الرواية...

---

116) ترجمته في «برنامج ابن ابي الربيع» المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية : بالجزء الثاني من المجلد الاول ص 260.

117) ورد هذا السند بنفس المصدر ص 266.

118) ترجمته بنفس البرنامج ص 259.

119) ورد هذا السند في «التعلل برسوم الاستاذ» ص 118.

120) ترجمته في «سلوة الانفاس» 3/ 303 ـ 304.

121) ص 118.

122) في افتتاحية اصله من «الشفا» حسب الملحق رقم 5.

123) ترجمته عند السراج في «فهرسه» الجزء الاول مخطوط خ. ع. ك. 1241.

123 ك ـ ترجمته في «الذيل والتكملة» 6/ رقم 672، مع «عنوان الرواية» الطبعة الثانية ص 104 ـ 107.

124) ترجمته في «غاية النهاية» رقم 1797.

125) ترجمته في «برنامج شيوخ الرغيني» رقم 11.

7 ـ رواية ابن مضاء وابن فليح وقد مر ذكرهما رقم 5، 6

يرويها محمد بن علي بن محمد بن عبد الغافر الجملي،(126) عن أبي عبد الله الطنجالى سابق الذكر، عن ابن حوط الله : عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان الأنصاري الأندي سابق الذكر، عن ابن مضاء وابن فليح : كلاهما عن القاضي أبي الفضل عياض.

8 ـ رواية ابن مضاء مع ابن حكم سابق الذكر عند رقم 7

يرويها السراج (127) عن الطنجالي عن ابن حوط الله عن ابن حكم وابن مضاء.

9 ـ رواية ابي بكر بن الحداد سابق الذكر عند رقم 9

رواها السراج (128)، عن أبي الربيع الانفاسي : سليمان بن يوسف بن عمر الفاسي (129)، عن أبي عبد الله اللوشي : محمد بن يوسف اليحصبي (130) عن ابن ربيع المالقي : عبد الله بن أبي عامر يحيى بن عبد الرحمن الاشعري (131) عن محمد بن عياض عن أبيه عياض الحفيد عن أبي بكر بن الحداد عن المؤلف سماعا.

10 ـ رواية ابي بكر بن الحداد، مع محمد بن أحمد العرفي سابق الذكر عند رقم 10

126) ترجمته في «الدرر الكامنة» 4 / 68 والجملى نسبة إلى جملة بضم أولها وفتح الثاني وتشديد اللام : من أعمال مرسية حيث التكملة ق 913، ونسخة رواية الجملى : سيرد التعريف بها عند الباب الثالث رقم 30، 31، 32.

127) في افتتاحية اصله من الشفا بالملحق رقم 5.

128) المصدر الأخير.

129) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 3 / 156 ـ 158.

130) ترجمته في «غاية النهاية» رقم 3554.

131) ترجمته في «التكملة» ق 1059.

يسندها السراج (132) عن ثلاثة من أشياخه : أبي محمد الوانغيلي : عبد الله بن عمر الفاسي (133)، وأبي محمد العمراني: عبد النور بن محمد بن أحمد الحسني الفاسي، (134) وابن عمر : محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الفاسي سابق الذكر.

ثلاثتهم عن أبي الحسن القرطبي : علي بن سليمان الأنصاري الفاسي سابق الذكر.

عن ثلاثة من أشياخه : ابن أبي الربيع القرشي المتكرر الذكر. وأبي علي ابن الناظر : الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري الغرناطي (135). ثم أبي الحجاج المربلي (136). ثلاثتهم عن أبي العباس العزفي أحمد (137) عن أبيه القاضي محمد بن أحمد وأبي بكر بن الحداد كلاهما عن المؤلف.

11 ـ رواية ابن قرقول سابق الذكر رقم 12

اسندها في «المنح البادية» (138). إلى ابن سالم : أبي الربيع الكلاعى مار الذكر،عن القرطبي، (139) عن ابن قرقول. عن المؤلف.

---

132) في افتتاحية اصله من «الشفا» : بالملحق رقم 5.

133) ترجمته عند السراج بالجزء الاول من «فهرسه انف الذكر. ثم في سلوة الانفاس 3/301.

134) ترجمته بالجزء الاول من فهرس السراج.

135) ترجمته في «الاحاطة» 1 ـ 463 ـ 465 مع «المرقبة العليا... للنباهي نشر دار الكاتب المصري، ص 125. ثم غاية النهاية رقم 1106.

136) ترجمته في «المصدر الاخير» رقم 3910.

137) ترجمته في «برنامج شيوخ الرعيني» رقم 14.

138) مخطوطة خاصة. ومؤلفها هو محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الفهري المترجم في «سلوة الانفاس» 1/319 ـ 320.

139) قد يكون هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن احمد الانصاري الاشبيلي المعروف بالقرطبي. وهو مترجم في برنامج شيوخ الرعيني «رقم 3» رقم في «الذيل والتكملة» 6/ رقم 697.

12 ـ رواية أبي الطاهر السلفي سابق الذكر عند رقم 13

يرويها السراج بسنده إلى صلاح الدين العلائي : خليل بن كيكلدي سابق الذكر، عن شرف الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الله القرشي (المصري (141)، عن ابن (بنت) الجميزى : علي بن هبة الله (بن سلامة اللخمي المصري (142)، عن أبي طاهر السلفي، عن المؤلف.

ويرويها الشريف التلمساني شارح الشفا (143) : عن محب الدين النويري : أحمد بن محمد العقيلي المكي سابق الذكر، عن أبي العباس الحفار أحمد بن محمد الدمشقي (144)، عن المسندة أم عبيد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحمن المقدسية (145)، عن ابن بنت الجميزي آنف الذكر، عن أبي طاهر السلفي.

13 ـ رواية ابن بشكوال سابق الذكر رقم 14

أشار لها عبد الله التجاني عند افتتاحية تعاليقه على الشفاء وأسند اليها من طريق شيخه أبي القاسم الكلاعي : محمد بن قائد بن علي.

عن أبي اسحاق بن عياش: ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز التجيبي، وقد مر ذكرهما.

---

140) في افتتاحية أصله من «الشفا» بالملحق رقم 5.

141) ترجمته في «الدرر الكامنة» 3/493.

142) ترجمته عند الذهبي في كتابه «معرفة القراء ـ الكبار على الطبقات والأعصار» مطبعة دار التأليف بمصر ص 518 ـ 519، مع «غاية النهاية» رقم 2366.

143) في افتتاحية شرحه للشفا : ص 4.

144) قد يكون هو المترجم عند السخاوي في كل من «الضوء اللامع» 2/110، مع «التحفة اللطيفة» رقم 271، وفي المصدرين معا يلقب المترجم بالحجار بالجيم، يدل الحفار بالفاء الوارد بالنص الذي نعلق عليه.

145) ترجمتها في «الدرر الكامنة» 2/117 ـ 118، باسم زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم.

عن أشياخه القضاة : أبي عامر (بن أبي : يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن) بن ربيع الأشعري نسبا ومذهبا، القرطبي (146).

وأبي الوليد بن الحاج (محمد بن أحمد بن محمد) التجيبي (القرطبي) (147).

وأبي أمية بن عفير : (اسماعيل بن سعد السعود بن احمد) الأموي (اللبلي) (148).

ثلاثتهم عن ابن بشكوال عن المؤلف مكاتبة.

14 ـ رواية ابي الطاهر السلفي مع ابن بشكوال :

من طريق السراج (149)، بسنده الى صلاح الدين العلائي المتكرر الذكر، عن أبي بكر محمد بن عبد الرحمن الضالحي (150)، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن مكي، (151) عن الشيخين أبي طاهر السلفي وأبي القاسم بن بشكوال، عن المؤلف.

15 ـ رواية ابن ابي : عبد الرحمن بن ربيع سابق الذكر عند رقم 15

يرويها السراج بسنده الى ابن ربيع المالقي : عبد الله سابق الذكر، عن أبيه أبي عامر يحيى سابق الذكر، عن أبيه عبد الرحمن بن ربيع، عن المؤلف.

---

146) ترجمته في «التكملة» ق 2068، مع «صلة الصلة» : القسم المنشور رقم 387، ثم «المرقبة العليا» ص 124.

147) ترجمته في «التكملة» ق 1024.

148) ترجمته في «التكملة» ط الجزائر : 496.

149) في افتتاحية اصله من «الشفا» : بالملحق رقم 5.

150) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

151) هو سبط السلفي، وورد اسمه ضمن الاخذين عن جده حسب «تذكرة الحفاظ» ص 300، وأشار لتوقيت وفاته في «النجوم الزاهرة» 7 / 31.

152) في افتتاحية اصله من «الشفا» : بالملحق رقم 5.

16 ـ رواية ابي محمد الحجري سابق الذكر عند رقم 16

يرويها ابن أبي الربيع القرشي المتكرر الذكر. عن جماعة فيهم أبو القاسم بن بقي : أحمد بن يزيد سابق الذكر عن أبي محمد الحجرى، عن المؤلف (153).

17 ـ رواية الحجرى وابن الغازي :

يرويها السراج (154) بسنده الى أبي جعفر بن الزبير : أحمد بن ابراهيم الثقفي العاصمي الجياني نزيل غرناطة (155)، عن شيخيه : أبي عبد الله الأزدي سابق الذكر، وأبي الحسن الشارى : علي بن محمد بن علي الغافقي السبتي (156)؛ كلاهما عن ابن الغازي وأبي محمد الحجري عن المؤلف.

18 ـ رواية ابن الفرس سابق الذكر عند رقم 17 ومعه ابن حكم.

يرويها الجملي (157) يرويها الجملي (157 ك) عن الطنجالي ـ وقد سبق ذكرهما ـ عن أبي الوليد العطار وعبد الرحمن بن حوط الله وسبق ذكرهما. كلاهما عن ابن حكم وابن الفرس عن المؤلف.

19 ـ رواية ابن ابي جمرة مار الذكر عند رقم 18

يرويها السراج عن الرعيني : محمد بن سعيد بن محمد الفاسي (158)، عن

153) ورد هذا السند في «برنامج ابن ابي الربيع»، المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية : بالجزء الثاني من المجلد الاول ص 266.

154) في افتتاحية اصله من «الشفا» : بالملحق رقم 5.

155) ترجمته في «الذيل والتكملة» 1 / رقم 31.

156) ترجمته في «التكملة» ق : 1922، مع القطعة المنشورة من «صلة الصلة» : 300.

157) عند افتتاحية نسخته من الشفا، حيث سيرد ذكرها عند رقم 30 ـ 31 ـ 32 ـ من الباب الثالث.

158) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من «فهرسته سابق الذكر، مع «سلوة الأنفاس» 3 / 277.

أبي القاسم بن الشاط : قاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري السبتي (159)، عن ابن مشليون : محمد بن محمد (بن أحمد) الأنصاري البلنسي (160)، عن ابن أبي جمرة عن المؤلف.

20 ـ رواية الشقــوري : سابق الذكر عند رقم 20

وهي من الروايات المذكورة بالشرق، فيسند اليها ابن مرزوق (161)، الخطيب من ثلاث طرق :

أ ـ عن محمد بن ابراهيم بن مرتضى الكناني المصري (162)، عن أبي اسحاق ابراهيم بن يحيى بن محمد الفاسي (163)، عن أبي بكر بن مسدى : محمد بن يوسف بن موسى الأندلسي ثم المكي خطيب المسجد الحرام (164)، عن أبي الحسن الشقوري عن المؤلف.

ب ـ وأعلا منها بدرجة : عن محمد بن عبد المعطي القرشي المكي (165)، عن ابن مسدي، عن الشقوري...

ج ـ وبنفس العلو : عن أبي العباس العشاب : أحمد بن محمد (بن ابراهيم) المرادي القرطبي نزيل الأسكندرية، (166) عن أبي اسحاق بن عياش ابراهيم (بن

---

159) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم 262.

160) ترجمته في «الذيل والتكملة» 6 / رقم 58.

161) حسب ابراهيم بن هلال في فهرسه المتكرر الذكر.

162) ترجمته في «التحفة اللطيفة» رقم 3597.

163) لاذكر لترجمته بالمصادر التي رجعت لها.

164) ترجمته في «الوافي بالوفيات» رقم 2335، مع «العقد الثمين» رقم 493.

165) ترجمته بالمصدر الأخير رقم 280، غير أنه ذكر في نسبته الأنصاري الخزرجي، لا القرشي.

166) «برنامج الوادي آشي» رقم 93، مع «الوافي بالوفيات» رقم 3305، ثم «الدرر الكامنة» 241/1، وجاء في ترجمته من الوافي : «وسمع الشفاء عن أبي اسحاق بن عياش التجيبي، بسماعه من الشقوري، عن مؤلفه : اجازة».

عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز) التجيبي سابق الذكر، عن الشقوري.

ورابع الطرق إلى هذه الرواية : عن الفخر التوزي : عثمان بن محمد بن عثمان المصري نزيل مكة المكرمة (167)، عن ابن برطلة : عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي سابق الذكر، عن الشقوري (168).

وساق السراج (169) سنده لهذه الرواية : إلى ابن ربيع المالقي : عبد الله بن أبي عامر سابق الذكر، عن أبي عبد الله الطراز : محمد بن سعيد بن علي الانصاري الغرناطي (170) عن الشقوري.

21 ـ رواية أبي محمد خليل السكوني مار الذكر رقم 21

اسندها في المنح البادية إلى الفخر ابن البخاري (171) وابن الزبير : كلاهما عن أبي الخطاب بن خليل : محمد (172)، عن أبيه أحمد (173) عن أبيه خليل السكوني عن المؤلف.

22 ـ رواية أبي القاسم بن الملجوم سابق الذكر رقم 22

تسندها طالعة نسخة من «الشفا» عن محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي (174)، عن أحمد بن عمر الأنصاري (175) عن أبي القاسم بن الملجوم عن المؤلف.

---

167) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم 226، مع «العقد الثمين...» رقم 1968 .

168) هذا السند الأخير : عند الفاسي في : العقد الثمين» 6/44 ـ 45.

169) في الفتتاحية أصله من الشفا : بالملحق رقم 5.

170) ترجمته في «التكملة» ق : 1032، مع «الذيل والتكملة» 6/ رقم 613، ثم «الديباج المذهب» ص 297.

171) ترجمته في «غاية النهاية» رقم 2151.

172) ترجمته في «الذيل والتكملة» 5/ رقم 1200.

173) ترجمته في «الذيل والتكملة» 1/ رقم 148، وفي «المنح البادية» يسمى هذا بمحمد، وهو سبق قلم عن أحمد الذي هو اسم والد أبي الخطاب.

174) ترجمته في «الذيل والتكملة» 5/ رقم 1154.

175) ترجمته في «الذيل والتكملة» 1/ رقم 448.

الباب الثالث : مخطوطات أصيلة من كتاب الشفا :

تبينا وفرة رواة عن المؤلف فمن بعده. وقد استتبع ذلك تعدد أصول الكتاب بالمغرب والمشرق، وفي هذا الاتجاه يقول المقرى (176) بعدما يستعرض جملة من الشارحين، وكما اعتنى الناس بذلك : اعتنوا - أيضا - بتصحيحه وضبطه واتقانه، ولقد وقفت - والكلام للمقرى - من نسخه الصحاح على عدة...

ويمكن تصنيف هذه النسخ في قسمين : أصول غير معروفة الآن غير أنها تأتي الاحالة عليها عند الاقتضاء،فيحسن التعريف بها في مدخل يتقدم عرض الأصول الباقية التي هي القسم الثاني.

1 - فمن القسم الأول : **أصل المؤلف** أبي الفصل عياض وكان من ستة أجزاء (177) ولا يعرف - الان - الا من خلال اشارات له في بعض أصول الشفا المتفرعة عنه.

---

176) «أزهار الرياض» 4/ 308.

وفي اتجاه وفرة منتسخات الشفا بصفة عامة : نشير إلى وراق من تلمسان كتب - بخطه - 71 نسخة، واسمه أحمد «اليافوخ» بن محمد - بفتح أوله - بن محمد - بضم أوله - الحلفاوي، الأندلسي ثم التلمساني، فيسجل آخر منتسخة له من نفس الكتاب خ. م. 2266 : أنه علق من الشفا 71 نسخة، وكان فراغه من هذه زوال يوم الاربعاء الثاني من ذي الحجة عام 1149 هـ.

ومما يؤكد هذه القولة من الوراق التلمساني : وجود بعض نسخ أخرى بخطه من كتاب أبي الفضل، وفي آخرها يشير إلى العدد الذي انتهى اليه : فمخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس : هي التاسعة والعشرون، وفرغ منها عام - 1141 هـ. حسب «برنامج المكتبة العبدلية» 2/ 254.

ومخطوطة خ. م. 218:: هي التاسعة والستون، وفرغ منها ضحوة يوم الاثنين 24 جمادى الآخرة 1149 هـ

هذا مع العلم بأن الوراق الجزائري كانت اخر منتسخاته المعروفة ترجم إلى عام 1155 هـ وهو تاريخ فراغه من كتابة جزء من «الاكتفاء» للكلاعي، حسب «رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب» ص 353.

177) «التعريف بالقاضي عياض» لولده محمد، مطبعة فضالة ص 116، وعلى هذه التجزئة سارت الأصول المغربية من كتاب الشفا، وهناك تجزئات أخرى على غير نسق المؤلف، ومنها 24 أو 30 جزءا...

ـ 2 ـ ومنها **نسخة ابن الغازي** تلميذ المؤلف : محمد بن حسن بن عطية الأنصاري السبتي سابق الذكر، وهي مقابلة بكتاب المؤلف مرتين : احداهما من ابن الغازي نفسه والثانية من جهة خاله محمد بن سليمان بن سبع (السبتي) سنة 522 هـ (178).

3 ـ ثم نسخة أبي عبد الله الطراز : محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الغرناطي سابق الذكر والمتوفى ـ ببلده ـ عام 1248/645. (179)

4 ـ وقد عارضها بأصل شيخه أبي العباس العزفي : أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي السبتي سابق الذكر، وهو على رواية ابن الغازي (180).

ثم قابلها بكتاب المؤلف عام 613 هـ بقرطبة (181).

5 ـ وعلى أصل المؤلف ـ أيضا ـ صحح نسخته الجملي : محمد بن علي بن محمد بن عبد الغافر (الأنصاري المالقي) سابق الذكر، والمتوفى عام 1329/729 وهي على رواية كل من ابن مضاء وابن فليح (182).

6 ـ وبعد الجملي ينقل عن خط المؤلف عبد الله بن أحمد بن سعيد الزموري خلال شرحه للشفا. وقد ألفه أواسط المائة الهجرية التاسعة (183).

---

178) هذا وارد ضمن الملحق رقم 2، وابن سبع المذكور لا تعرف له ـ الان ـ ترجمة، وقد ضبط الزرقاني كلمة سبع باسكان الباء وقد تضم، نقله عن التبصير، «شرح المواهب اللدنية» المطبعة الأزهرية المصرية 42/1.

179) جاءت الاشارة لها بالملحقات 1، 2، 4، وقد استمر أصل الطراز معروفا حتى منتصف المائة الهجرية التاسعة، فيقف عليه عبد الله الزموري، ويعتمده في شرحه للشفا آتي الذكر عند التعليق ـ 183 ـ

180) وردت الاشارة له بالملحقات 1، 2، 3.

181) الملحق 4.

182) الملحق 9، وانظر الملحق 8.

183) أصله لوالده أحمد بن سعيد بن يحيى، ولما توفي أضاف له ابنه ـ المنوه به ـ زيادات، وسماه «ايضاح اللبس والخفاء. عن الفاظ الشفاء»، لا يزال مخطوطا في نسخ محدودة، واحدة منها في خزانة القرويين رقم : 2798 / 49، ولمؤلفه ـ الابن ـ ترجمة وجيزة في «نيل الابتهاج» ص 161، ثم في «طبقات الحضيكي» : المطبعة العربية بالدار البيضاء 2 / 165، وبالمصدرين ـ معا ـ تمتد حياة المترجم إلى عام 888 هـ.

- ويعتمد الزموري - أيضا - **اصل القاضي العزفي : محمد** بن أحمد بن محمد اللخمي السبتي مار الذكر فيشير إلى أن به خط المؤلف.

8 - كما اعتمد كلا من أصل الطراز المنوه به وشيكا **واصل ابن خلصة:** (قد يكون هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد اللخمي البلنسي المتوفي - بالمرية - عام 1127/521 (184).

9 - ومن هذه الأصول ننتقل إلى **نسخة ابن القصير** تلميذ المؤلف : عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدي الغرناطي، المتوفي - بتونس - عام 1180/576 وكان نقلها - حسب المقري (185) - من نسخة عليها خط المؤلف،وفرغ منها في رمضان 559 هـ،وهي على رواية ابن الخلوف مار الذكر بلائحة رواة الشفا - سماعا - على المؤلف،وقد وقف عليها المقري وأفاد منها.

10 - ثم نسخة عياض الحفيد بن محمد بن القاضي أبي الفضل،المتوفي - بمالقة-عام 1233/630 : أشار لها يحيى السراج حسب الملحق رقم 6.

11 - نسخة أبي القاسم القبتوري : خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي الاشبيلي نزيل سبتة،والمتوفى - بالمدينة المنورة - عام 1304/704، وهي على رواية ابن حكم،وقد جبر منها ابن رشيد بعض أصله،(186) ثم صارت من النسخ المرجوع لها في بعض النسخ المشرقية كما سيتضح ذلك عند ذكر الأصليين رقم 19 و20.

12 - **نسخة ابن رشيد : محمد** بن عمر بن محمد الفهري السبتي،المتوفي - بفاس-عام 1321/721،وهي - بدورها - على رواية ابن حكم،وقد سمع فيها يحيى السراج على شيخه أبي الربيع الأنفاسي وعارض نسخته بها حسب الملحقين رقم 5 و6.

---

184) ترجمته في «الذيل والتكملة» 6/ رقم : 894.

185) أزهار الرياض 4/ 175، 308.

مع ص 349 - 350، ولابن القصير ترجمة في «التكملة» ق 1607.

186) الملحق رقم 7.

وستكون نسخة ابن رشيد قد كملت اثنتي عشرة من نسخ الشفا التي تعتبر - الآن - ضائعة، غير أن هذه جاءت تمهيدا لعرض جملة من المخطوطات الأصيلة الباقية من الكتاب ذاته :

13 - انطلاقا من **نسخة المكتبة الخالدية** بالقدس الشريف، وهي بخط أندلسي من سنة 593 هـ، ومقابلة على نسخة المؤلف الأصلية (187).

14 - نسخة خزانة تمكروت رقم : 2942، وهي برواية أبي القاسم عبد الرحمن ابن الملجوم الفاسي سابق الذكر عند لائحة رواة الشفا - بالاجازة - عن المؤلف.

الموجود منها المجلد الأول مبتور الأخير. ومكتوب بخط شرقي نسخي. وجاءت افتتاحيته كالتالي :

أخبرنا الشيخ... محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الأندلسي بمنى. ومن أصله نقلت. قال : أنا أحمد بن عمر الأنصاري. قال : أنا أبو القاسم عبد الرحمن عرف بابن الملجوم عن مؤلفه عياض.

15 - نسخة الرحالة أبي الحسين بن جبير سابق الذكر. يوجد المجلد الأول منها ضمن مخطوطات الأوقاف ببغداد رقم : 2950، وعليه سماع مكتوب بخط شرقي نسخي، وموقع بخط ابن جبير على الطريقة الأندلسية عام 613 هـ وهذا نص السماع:

«سمع جميع هذا التصنيف على الشيخ الفقيه الإمام العالم. بقية السلف الصالح : أبي الحسين : محمد بن أحمد بن جبير الكناني : رضي الله عنه وأدام مدته : بقراءة الشيخ الفقيه العالم. جمال الدين : أبي الفضل عبد الصمد بن أبي علي الحسين بن يوسف الأصبحي.

الشيخ الفقيه الزاهد : أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخيمي.

والفقيه : أبو حفص عمر بن علي بن أبي سعيد ...الكسي.

---

187) «تاريخ الآدب العربي» لبروكلمان : الترجمة العربية 268/6.

والفقيه المؤدب : عبد الوهاب بن طاهر بن ابراهيم الحاسب.

والفقيه : محمد بن أحمد الشاطبي.

والفقيه : عبد النصير بن علي بن عبد المحسن الهمداني.

والفقيه : أبو المنصور عبد الوهاب بن أبي الفضل اللخمي.

والفقيه : مفرج بن محمد بن مفرج النباتي.

والفقيه : أبو الفتوح... بن سند بن سيف السعدي.

وولد أخته : أبو الفتوح منصور بن سليمان بن معمر اللخمي البياضي. وهبة الله بن محمد بن الحسين بن مفرج بن حاتم المقدسي كاتب هذا السماع المذكور فيه.

وريحان مولاه الحر المسلم.

ومن سمع الأكثر وفاته البعض، وأجاز لهم الشيخ الفقيه المسمع المذكور : أن يرووا عنه ماله يسمعوه : بالإجازة المعتبرة بين أهل العلم :

الفقيه المؤدب مظفر بن رسلان بن عنان.....

وعبد الرحمن بن محمد بن علي الجرخي.

وولد أخته : علي بن حسين بن اسماعيل الازدي.

وذلك في عدة مجالس آخرها الحادي والعشرون من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة وستمائة. والحمد لله وحده. وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه...».

ويلي ذلك توقيع ابن جبير بخطه الأندلسي هكذا : صحيح ذلك، وكتب محمد بن أحمد بن حسين بن محمد بن جبير الكناني، وبالله التوفيق (188).

---

188) «الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف» (في بغداد) ص 52 - 53، مع التصحيح من مصورة للسماع واردة عند الزركلي في «الاعلام» 6/ بعد ص 224. والبياض بالسماع يشير لكلمات لا تتبين قراءتها.

16 ـ مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم : 545 حديث.

الموجود : المجلد الأول منها برواية عبد الله بن أحمد (بن محمد) بن عطية القيسي (المالقي) : سنة 617 وسنة 618 : بسند يتصل بالمؤلف. وهي بخط أندلسي عريض مشكول (189).

17 ـ **نسخة ابن فرج** : علي بن محمد بن علي القيسي الفيحاطي نزيل غرناطة،والمتوفي بها عام 65/664 ـ 1266.

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط رقم 407 ق : في 278 ص أصلا وتقديما وتذييلا. مسطرة 25. مقياس 270 / 200.

كتبها ابن فرج المنوه به بخط أندلسي مليح متقن مصحح ملون بالحمرة ومهمش بإشارات للفروق وغيرها،ثم فرغ من انتساخها لأربع خلون من شهر شعبان عام 632 هـ

وكان قد نقلها وقابلها من أصل شيخه أبي عبد الله الطراز الذي خطه بيده وقابله وصححه في سبتة بأصل شيخه أبي العباس العزفي،المصحح بأصل ابن الغازي المقروء على مؤلفه مرتين.

ثم قابل الطراز كتابه بأصل المؤلف أبي الفضل. مصححا له به. متحريا في نقل ما فيه.

كما أن ابن فرج أعاد معارضة نسخته بأصل المؤلف،وفرغ من ذلك في أخريات رمضان 643 هـ.

وقد فصل ابن فرج سير هذه التحريات التي اتبعت في كتابه نسخته ونسخة أستاذه الطراز،وشرح ذلك في فقرات أثبت بعضها في افتتاحية الكتاب،والبعض الآخر في خاتمته : في بضعة نصوص سترد ـ كاملة ـ عند الملحقات رقم 1 و2 و3 و4.

---

189) «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» : جزء التاريخ وملحقاته : ص 54. وترجمة راوي المخطوطة في «التكملة» ق 1460. مع القطعة المخطوطة من «صلة الصلة».

ومن هذا العرض نتبين مدى أهمية نسخة ابن فرج،ولذلك اعتمدها المسند المغربي أبو زكريا السراج : يحيى بن أحمد بن محمد النفزي الفاسي،المتوفي - بها - عام 805 / 02 - 1403. فأعاد مراجعتها. مقابلا لها على أصل ابن رشيد وغيره. ثم همشها - بخطه - بعلامات الفروق. وبخطه - أيضا - صدر النسخة المنوه بها بذكر أسانيده للشفا : في عرض موسع استوعب قرابة ثلاث صفحات. فضلا عن فقرة تعرف بنسخة ابن رشيد. وفقرة تشرح الإشارات التي أضافها السراج لنسخة ابن فرج.

وبذلك كله كانت هذه النسخة هي المفضلة بالمغرب في رواية «الشفا» من طريق ابن الغازي. وصارت هي عمدة النسخ المغربية المكتتبة بعد. حيث سنشير لها ضمن نسخ الكتاب الفرعية.

كما سنثبت - عند الملحقات رقم 5. 6. 7 - فقرات عروض السراج التي صدر بها أصل ابن فرج.

18 - **نسخة ابن ربيع** : أبي عمرو بن محمد بن عبد الله بن يحيى. الاشعري،كتبها بخط أندلسي متقن،الا قليلا بخط مغربي عوضا عن الضائع. وفرغ منها ليلة 13 من شعبان 697 هـ. ناقلا لها من أصل كان عليه : «نسخ من أصل عتيق عليه خط مؤلفه». وهي تامة في سفر ضخم بخزانة القرويين رقم 252 (190).

19 - **نسخة مشرقية من الشفا** : في خزانة خاصة،وهي مبتورة الطرفين،فتبتدىء أثناء الباب الثاني من القسم الاول عند أوائل فصل : الضرب الثاني... ثم تنتهي مع مبادىء الباب الأول من القسم الثالث : عند نهاية فصل : في حكم عقد قلب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من وقت نبوته 506 ص مسطرة 17 مقياس.

---

190) «فهرس مخطوطات جزانة القرويين» دار الكتاب بالبيضاء 263/1.

مكتوبة ـ على ورق متين ـ بخط عريض مليح ملون مذهب مشكول من نوع الثلث المشرقي، تتخلله ـ بالأصل والهوامش ـ اشارات المقابلة : في علامات منوعة، وبلاغات تساير كتابة النسخة (191).

وضمن المقارنة بأصول متعددة : يأتي التصريح ـ في بعض الهوامش ـ بالمعارضة مع أصلي أبي القاسم القبتوري وأبي الحسين ابن جبير : هامش ص 162 و234 بالنسبة إلى القبتوري،ثم هامش ص 138، 346، 455 بالنسبة لا بن جبير. هذا فضلا عن اشارات كثيرة بحرف ق، فيبدو أن المعنى هي نسخة القبتوري حيث يقع احتذاؤها ـ أيضا ـ في تجزئة الكتاب، حسب إشارة ص 183 : «آخر الجزء الثاني عند ق»..

ونظرا لانعدام بداية ونهاية هذه النسخة : فلا يضبط تاريخ كتابتها، غير أن عددا من هوامشها مثقل بحواشي أغلبها من تقريرات الحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزى : (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي،المتوفي عام 1341/742) (192)، قيدها عنه ـ في حياته ـ أحد الاخذين عنه وقد تكون بخط تلميذه علم الدين البرزالي : القاسم بن محمد بن يوسف الاشبيلي ثم الدمشقي، المتوفي عام 1339/739 (193)، وبهذا الاعتبار يترجح أن تاريخ النسخة : حوالي نهاية المائة الهجرية السابعة تقريبا.

20 ـ نسخة مشرقية من الشفا : خ م 2552 : من تجزئة 24 موزعة بين ستة أسفار.

صفحاتها غير منتظمة الترقيم، مسطرة 11، مقياس 215 / 160 مكتوبة ـ على ورق لين ـ بخط مشرقي يميل للثلث، حسن ملون مشكول، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ.

191) انظر ص 4، 19، 21، 78، 159، 346، 426.

192) ترجمته في «الدرر الكامنة» 4 / 457 ـ 461.

193) ترجمته بنفس المصدر 3 / 237 ـ 239.

وخط البرزالي منه مصورة عند الزركلي في الاعلام 6 بعد ص 8.

معارضة بعدة نسخ بينها أصلا القبتوري وابن جبير المنوه بهما وشيكا. كما تتخللها تعليقات هامشية من تقريرات الحافظ المزي.

هذا فضلا عن بلاغات المقابلة في عدة صيغ منها أربعة كالتالي :

أ - بلغ مقابلة بالأصل المنقول من نسخة اقبغاء ا ص.

ب - بلغ مقابلة على يد مالكها : على المنشاوي على نسخ الشيخ شرف الدين محمد بن يحيى الاقصراويي.

ج - بلغ مقابلة على يد مالكها علي بن صدقة المنشاوي : من نسخة اقبغاء ا ص.

د - بلغ مقابلة بالأصل المنقول منه على يد مالكها على نسخ اقبغاء ا ص.

وأخيرا : يدون بهامش خاتمة الجزء الأخير : سماعان لكتاب «الشفا» مع الإجازة بها : برسم بدر الدين حسن بن محمد بن أحمد الشريف الادريسي الارميوني المالكي (194).

وقد انتهى السماع الأول بتاريخ 14 شعبان 941 هـ وضاع اسم الشيخ المسمع في خروق بآخر الورقة.

أما شيخ السماع الثاني : فهو ناصر بن حسن اللقاني (195). بتاريخ 9 ذي الحجة 942 هـ.

21 - نسخة دار الكتب الظاهرية رقم : 119 حديث : في جزئين من رواية أبي جعفر (ابن الموازيني) : محمد بن علي بن الحسين (السلمي المرداسي الدمشقي)، المتوفي عام 708 / 08 - 1309. مكتوبة بخطوط مختلفة بعضها لتكملة النسخة (196).

---

194) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

195) اسمه محمد بن حسن، وله ترجمة وجيزة في «معجم المؤلفين» 9 / 203.

196) «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» : جزء التاريخ وملحقاته : ص 53.
وترجمة راوي المخطوطة في «الوافي بالوفيات» 4 / 213.

22 ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم 618، وهي ـ حسب فهرس الكتبخانة الخديوية (197)، بخط عثمان بن خضر بن مصلح الخليلي الداري، فرغ من كتابتها نهار الخميس 6 ذي الحجة 725 هـ **مكتوب بآخرها بخط العلامة** أبي زرعة أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن ابراهيم الشافعي (198) : ما يفيد قراءتها في مجالس : آخرها اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة 888 هـ.

23 ـ فرع من أصل ابن جبير : برواية عبد العظيم المنذري ـ سابق الذكر ـ عنه. في الخزانة الناصرية بتمكروت رقم : 287
مشرقي جيد خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

نسخة تامة في مجلد **بخط** مشرقي جيد. خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ.
الحجري.

24 ـ فرع من أصل ابن جبير : برواية محمد بن ابراهيم التلمساني ـ سابق الذكر ـ عنه. منه نسختان بخط مغربي :

الأولى : بخزانة خاصة في مجلد به 250 ورقة من حجم متوسط. ووقع الفراغ من كتابتها يوم الخميس 24 ربيع الآخر 997 هـ، على يد أحمد بن أبي بكر بن علي بن دنسل (الفلاني) (199).

الثانية : تشتمل على السفر الأول : خ. ع. ك 2685 : في حجم طويل غير مرقم الصفحات، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ.

وقد كتب على الصفحة الأولى من النسختين : السند إلى الشفا في الصيغة التالية :

197) الطبعة الثانية 1 / 364.

198) هو سبط داود بن عثمان بن محمد بن عبد الهادي السبتي، حسب السخاوي في ترجمته من «الضوء اللامع» 2 / 160.

199) يوجد بخطه ـ أيضا ـ الرسالة القيروانية : خ. ع. ك 5، كتبها برسم أميركوكو بالسودان الغربي، وفرغ منها يوم الاثنين ـ 13 ـ شعبان 995 هـ.

مع الربع الأول من صحيح مسلم : بخزانة الزاوية الحمزاوية بإقليم الرشيدية فرغ منه عشية الأربعاء 28 ربيع الثاني عام 1000 هـ.

وهناك تقديم صدرت به النسخة التي نعلق عليها، وبه مزيد من التعريف بالوراق السوداني.

رواية الامامين العالمين : محمد بن عبد الله التميمي وعبد الله بن محمد الحجري

رواية الإمام العالم : أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتاني عن التميمي خاصة.

رواية الامام القاضي : محمد بن ابراهيم التلمساني عن الكناني والحجري

رواية الشيخ الإمام الأوحد : محمد بن اسماعيل الأبياري عنه (200).

رواية الامام الحافظ : أبي الخير بن منصور الشماخي عنه (201).

رواية الفقيه الأجل العالم : أبي العباس أحمد بن أبي الخير الشماخي عنه (202).

رواية العبد الفقير إلى الله تعالى : أحمد بن عمر بن محمد الشويري عنه (203).

رواية العبد الفقير إلى كرم الله تعالى : سليمان بن ابراهيم بن عمر العلوي (204) لطف الله به.

عن شيخه الإمام الحافظ : أبي الحسن علي بن أبي بكر بن شداد المقري (205) رحمه الله.

عن الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي الخير (206).

25 ـ **فرع من أصل ابن جبير** : خ. م 824ز. يبتدي بسند ابن جبير عن التميمي عن المؤلف. ويشتمل على النصف الثاني في سفر بخط مشرقي نسخي عتيق مصحح مقروء.

200) لاذكر لترجمته فيما رجعت اليه من المصادر.

201) له ترجمة وجيزة في «معجم المؤلفين» 4/ 132.

202) سقط هذا الاسم من النسخة الخاصة. وثبت في نسخة خ. ع. وهو الصواب. وترجمة صاحبه لم اقف عليها الان.

203) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

204) ترجمته في «فهرس الفهارس» 2 / 327 ـ 328.

205) ترجمته في «غاية النهاية» رقم 2180.

206) يتبين من سياق هذا السند أنه مسلسل ـ في أكثر رجاله ـ باليمنيين. فيشير الى وصول رواية ابن جبير الى اليمن.

وقع الفراغ من كتابته في شهر ربيع الآخر 756 هـ على يد علي بن أحمد بن عبد الصمد.

26 ـ فرع من أصل ابن جبير : في دار الكتب الوطنية بتونس رقم 1147،ويفتتح ـ بدوره ـ بذكر ابن جبير،بخط تونسي كتبه مصطفى بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي سنة 1191 هـ (207).

27 ـ فرع من أصل ابن فرج بمراجعة السراج : خ. م 657.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء : 276 ورقة،مسطرة 21،مقياس 197/282: بخط مغربي متقن واضح مصحح مشكول ملون مذهب مجدول، كتبه ـ عام 1065 هـ ـ أبو السعود الفاسي : عبد القادر بن علي بن يوسف الفهري (208).

28 ـ فرع من أصل ابن فرج : خ. م 3332

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء بخط أبي السعود الفاسي عام 1068 هـ 196 ورقة مسطرة 23 مقياس 210/287.

وقد كتب أبو السعود الفاسي نسخا عديدة من الشفا. (209) حيث صارت عمدة للنسخ المغربية المتفرعة عن أصل ابن فرج بمراجعة السراج.

29 ـ فرع من أصل ابن فرج : خ. م 3836

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء : 210 ورقات. مسطرة 19 مقياس 184/254. خط مغربي جيد مجوهر واضح مشكول ملون يستوعب ـ بالأصل والهوامش مقارنات وتعاليق ابن فرج والسراج.

وافق انتهاء كتابته غرة صفر 1142 هـ على يد علي بن محمد بن الحسن هلال (210) وبهذا الفرع مقيدات في أوله وآخره حيث سترد نصوصها عند الملحقات 1 . 2 . 3 . 4.

(207) «برنامج المكتبة العبدلية» 2 / 256.

(208) ترجمته في «سلوة الانفاس» 1 / 309 ـ 314.

(209) «تحفة الاكابر...» لعبد الرحمن بن ابي السعود الفاسي. مخطوطة خ. د. 643 : عند الباب الرابع.

(210) لاتعرف له ـ الان ـ ترجمة وجده الحسن هلال جاء ذكره عند القادري في رحلته الحجازية : «نسمة الاس...» خ. ع. ك 1418 ضمن مجموع.

30 ـ **فرع من أصل الجملي :** بخزانة القرويين رقم 257.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء : 151 ورقة، مسطرة 30، مقياس 310 / 220. خط مغربي جيد واضح. كتبه ـ من أصل معارض بأصل المؤلف ـ محمد بن العربي بن عبد العزيز بن محمد العوفي ثم السلوي (211).

31 ـ **فرع من أصل الجملي :** في خزانة خاصة.

وقع الفراغ من انتساخه ـ بخط مغربي متوسط ـ بتاريخ 26 جمادى الأولى 1154 هـ على يد عبد العزيز بن موسى بن علي الحسني الادريسي البزيوي، كتبه من نسخة بخط القاضي عبد الله الهسكوري، الناقل لها من نسخة بخزانة الشيخ الصغير بن المنيار (212).

ويذيل هذا الفرع بمقيدتين : احداهما : بآخر أصل الجملي : عن خطته في معارضة نسخته على أصل المؤلف، والثانية : بأول ورقة منه عن سنده إلى كتاب الشفا. وهما ـ معا ـ موضوع الملحقين : 8، 9.

32 ـ **فرع من أصل الجملي :** خ. م 5079.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء. بخط مغربي لا باس به مشكول ملون، وقع الفراغ من كتابته يوم الخميس 23 محرم 1278، على يد محمد بن الطيب الملوكي. وهو ـ بدوره ـ مذيل بمقيدة عن خطة الجملي في معارضة نسخته على أصل المؤلف. حسبما أشير لها وشيكا.

33 ـ **نسخة مشرقية من الشفا :** مخطوطات الأوقاف ببغداد رقم : 6587 (213) كتبت ـ بحلب ـ سنة 1170 هـ : من أصل صحيح بخط الحافظ علي بن الجناب اليوسفي : سودون بن عبد الله الابراهيمي (214). وكتب سنة 830 هـ).

---

211) «فهرس مخطوطات خزانة القرويين» 1 / 265.

212) هو المترجم عند الافراني في «صفوة من انتشر..» ط. ف ص 83 ـ 84 ـ وخزانته لا تزال فيها بقايا بزاويته في «أبزو» بإقليم أزيلال.

213) «الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف» ص 53.

214) له ترجمة في «الضوء اللامع» 5/ 229.

34 ـ نسخة مغربية من الشفا : مخطوطات وزارن رقم : 96.

تامة في مجلد بخط مغربي حسن ملون. مكتوبة من نسخة مجزأة على 24 جزءا. صحيحة مقابلة مقرؤ بها على عدة من الشيوخ المشارقة والمغاربة.

كتبها محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي (215).

35 ـ وهذه ثلاث نسخ من الشفا وقفت عليها وشيكا. فألحقها بسابقاتها. انطلاقا من **مخطوطة مكتبة الحرم المكي** بمكة المكرمة رقم 416.

من رواية محمد بن ابراهيم الأنصاري عن ابن جبير.

المجود منها النصف الأول في سفر متوسط الحجم. مكتوب بخط شرقي نسخي. وجاء عنوان الصفحة الأولى هكذا.

«كتاب الشفا. بتعريف حقوق المصطفى. صلى الله عليه وسلم. تأليف الامام الحافظ : أبي الفضل : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي.

رواية الشيخ الفقيه أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير عنه (كذا).

رواية.. محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري».

ويزيد في أهمية هذا السفر تذييله بما كان على أصله من كتابات منقولة من خط الحافظين ابني سيد الناس : أبي عمرو 216. وابنه أبي الفتح سالف الذكر.

وفيها آن أبا عمرو قابل أصله على نسخة ابن جبير من الشفا بخطه...

كما أن أبا الفتح نقل ـ عن غيره ـ طبقة سماع جماعة للكتاب ذاته : على ابن جبير : عام 609 بمصر.

وإثر هذا يسجل أبو الفتح طبقة سماعه للشفا مع أخيه أبي بكر (217). وجماعة : على علم الدين بن رشيق سابق الذكر. وذلك بقراءة والد الأولين أبي عمرو بن سيد الناس : عام 677 بمصر.

215) ترجمته في «عناية اولى المجد...» المطبعة الجديدة بفاس ص 58 ـ 59.

216) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

217) لاذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

وقد ذيلت كل فقرة من هذه الكتابات باسم ناقلها : محمد بن علي الذي لم تتبين قراءة نسبه كاملا. وخطه مشرقي نسخي مندمج. ومنه استخرجت الملحق الذي سيرد عند رقم 10.

36 - **نسخة المكتبة المحمودية** بالمدينة المنورة رقم 2034. من رواية عبد العظيم المنذري عن ابن جبير.

في سفر - من حجم متوسط - يستوعب الشفا كاملة. مكتوب بخط مشرقي نسخي. بتاريخ ضحى الأول من المحرم عام 1193. على يد محمد سعيد بن محمد صادق بن محمد بن أحمد يحيى زادة. القاضي بعسكر الصولي : سابقا.

وجاء افتتاحها كالتالي : «أخبرنا الشيخ الإمام. العالم الحافظ. زكي الدين : أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري رحمه الله. قال :

أنا الشيخ الأجل الفاضل : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي : بقراءتي عليه بجميعه. وقرأت عليه - أيضا - بجميعه وأنا أسمع. قال :

أنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبو (كذا) محمد عبد الله بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي : اجازة :

أنا القاضي الإمام الحافظ : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض : سماعا منه.

37 - **نسخة أخرى في مكتبة الحرم المكي : خالية من الرقم. رواية ابن الصائغ عن المؤلف.**

تامة. في سفر بخط شرقي نسخي عار عن التاريخ. ويرجع - ظنا - إلى القرن 13 هـ.

---

(218) الصواب : ابو المحاسن يوسف بن محمد بن محمد بن ابي الفتوح... حسب اسمه الوارد عند فصل رواية ابن الصائغ رقم : 4 من الباب الثاني.

وتبتدي هكذا : «أخبرنا الشيخ الصالح، نجم الدين : أبو المحاسن بن يوسف بن محمد ابن فتوح (218) الدلاصي، المؤذن بالجامع العتيق بمصر : إجازة بهذا الكتاب وغيره... قال :

أخبرنا أبو الحسين تقي الدين : أحمد بن محمد بن حسين بن تامتيت (219)... سماعا : بهذا الكتاب سنة 675 بفسطاط مصر، قال :
أنا ابن الصائغ....

219) قارون مع التعليق رقم 85.

الملحقــــات

وعددها عشرة. فتستوعب نصوص السماعات والأسانيد المدونة بعدد من أصول كتاب «الشفا»وسار عرضها على الإشارة للمصادر التي تترجم للمعروفين من الرواة الذين لم ترد الإشارة لهم في تعاليق الأبواب السابقة. وقد أضيف لهذه العشرة ملحق ختامي بالمطبوعات الأولى من «الشفا».

الملحـــق الأول
سند أصل أبي الحسن بن فرج من «الشفـا» وهو بأول نسختـــه

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم.
تأليف الفقيه الأجل القاضي الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه.
أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه.
رواية الفقيه أبي عبد الله بن غازي السبتي عنه.
رواية الفقيه المحدث أبي العباس العزفي عنه.
رواية الفقيه الثقة الضابط أبي عبد الله بن سعيد عنه.
رواية كاتبه علي بن محمد بن فرج عنه.
نقله - بخطه - علي بن محمد بن علي بن فرج القيسي نفعه الله به :
من أصل الفقيه الأجل، الفاضل الكامل الراوية الاحفل : أبي عبد الله محمد ابن سعيد بن علي الأنصاري أعزه الله، الذي كتبه بيده، وأتقنه وصححه، وقرأه على الفقيه المحدث الجليل : أبي العباس العزفي بسبتة، حسبما قيد على ظهر كتابه.

ونص التقييد المذكور : يقول محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الغرناطي :، قرأت هذا الكتاب - من أوله إلى آخره - على الشيخ الأجل، الفقيه المحدث الحافظ الأحفل : أبي العباس أحمد، بن الشيخ الفقيه : أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي - رضي الله عنه ونفعه بالعلم - وهو يمسك علي كتاب روايته.

وحدثني به عن الفقيه الفاضل : أبي عبد الله محمد، بن الشيخ الزاهد : أبي علي حسن بن عطية بن غازي : سماعا عليه لأكثره، وقراءة لسائره.

عن مؤلفه الفقيه القاضي أبي الفضل عياض بن موسى - رحمه الله - قراءة عليه سنة خمس وثلاثين وخمس مائة.

وحدثني به - أيضا - عن أبيه : سماعا لبعضه : عن القاضي مؤلفه.

وكتب محمد المذكور - بخطه - لخمس خلون من شهر رجب الفرد. سنة عشرين وستمائة. والحمد لله رب العالمين.

ما قاله الفقيه الفاضل الزاهد أبو عبد الله المذكور : صحيح. وكتب عبيد الله الفقير إلى عفوه : أحمد بن محمد بن أحمد - المذكور أعلاه - في التاريخ المذكور. وهو يحمد الله بما ينبغي له. ونصلي على سيدنا محمد وآله وسلم.

وسمعت كثيرا منه من لفظ الفقيه الأجل : أبي عبد الله المذكور. وأجاز لي سائره. مع جميع رواياته. والحمد لله.

ثم سمعت جميعه عليه. وسمع ابني معي نحو نصفه. وأصل المؤلف يمسك علينا.

الملحــق الثانــي

خطة أبي الحسن بن فرج في معارضة أصله من «الشفـا» وهي بخاتمـة نسختــه

نجز جميع كتاب الشفاء بحمد الله وعونه، ونصره ومنه، وذلك لأربع خلون من شهر شعبان المكرم، عام اثنين وثلاثين وستمائة.

نقلته من أصل الفقيه الفاضل، الزاهد الكامل : أبي عبد الله محمد بن سعيد الذي خطه بيده، وصححه وأتقنه غاية الاتقان، وألفيت آخره - مقيدا بخطه - ما نصه :

بلغت - قراءة وتصحيحا لجميعه - على الشيخ الفقيه، المحدث، العدل، الحافظ : أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمي ثم العزفي، أعزه الله بطاعته، وهو يمسك على كتابه الذي صححه بيده.

وحدثني به عن الفقيه الفاضل : أبي عبد الله محمد، بن الشيخ الصالح أبي علي حسن بن عطية بن غازي : سماعا لأكثره، وقراءة لسائره : عن مؤلفه الفقيه القاضي أبي الفضل : قراءة عليه سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

وكان أصل الشيخ أبي عبد الله معارضا بأصل القاضي : مقروءا عليه مرتين : احداهما للفقيه أبي عبد الله المذكور، والثانية لخاله الفقيه أبي عبد الله محمد بن الخطيب أبي الربيع سليمان بن سبع : سنة اثنتين وعشرين، ذكر ذلك شيخنا أبو العباس في آخر كتابه.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة مولاه : محمد بن سعيد بن علي بخطه، انتهى، قال ذلك كاتبه علي بن فرج.

٥ ٥ ٥

بلغت المقابلة بأصل الفقيه الجليل الفاضل أبي عبد الله محمد بن سعيد ـ أعزه الله ـ الذي نسخه بيده، وقابله وصححه بأصل الفقيه المحدث أبي العباس العزفي، ثم قرأه عليه.

وصحح الفقيه أبو العباس أصله ـ بيده ـ بأصل شيخه الفقيه الفاضل : أبي عبد الله محمد، بن الصالح أبي علي بن عطية بن غازي، المقروء على مؤلفه مرتين.

والحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

• • •

ثم بلغت ـ سماعا لجميعه ـ على الفقيه الفاضل أبي عبد الله بن سعيد، وتصحيحا ومعارضة بأصل مؤلفه القاضي أبي الفضل عياض، في أخريات شهر رمضان المعظم، ثلاث وأربعين وستمائة.

الملحـــق الثالـــــث

تفسيرات أبي الحسن بن فرج لاشارات أصله من «الشفــا»

وهي بــأول نسختــــه

... فكل ما في كتابي - هذا - مكتوبا (بالحمرة) أو عليه علامة (عين) : فهو ما في أصل المؤلف عياض.

وما في الأصل المكتوب (بالحمرة)، أو عليه (ز) : فهو ما في أصل أبي العباس العزفي، لعله مما كتب قبل تنقيح المؤلف الكتاب، أو تلقي عليه املاء، فتعقب - بعد ذلك - أصله المذكور، وأصلح فيه وزاد ونقص.

... ابني أبو بكر محمد - هداه الله - حين هذه المعارضة مع الفقيه المحدث الراوية : أبي عبد الله بن سعيد، وسمع الدول التي قيدت في الطرة :

(سمع من هنا) : تنبيها على أول الدولة.

وقيدت (إلى هنا سمع) : تنبيها على آخر الدولة.

ثم ما انقطع بين ذلك إلى قولي - مرة أخرى - (سمع من هنا) : هو الـذي فاته سماعه عليه :

والله ينفع بذلك كله، ويجعله لوجهه، برحمته.

الملحــق الرابـــع

صيغة سماع أبي الحسن بن فرج وابنه محمد لكتاب «الشفـا» على أبي عبد الله بن سعيد الطراز، وهي بأول أصله من «الشفـا» متصلة بالملحـــق الأول

سمع علي صاحبنا الفقيه الأجل، الكاتب الضابط الأعرف الحافظ المتفنن الأفضل : أبو الحسن علي، بن الشيخ المبارك المجاهد الصالح : أبي عبد الله محمد بن علي بن فرج القيسي، نفعه الله بالعلم، وزينه بالخشية والحلم : جميع هذا الكتاب من أوله إلى آخره.

وكان قد نقله من كتاب روايتي على شيخنا الفقيه الجليل العالم : أبي العباس أحمد، بن الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد اللخمي العزفي، - رحمه الله - بقراءتي عليه، ثم قابلت كتابي - بعد - بأصل مؤلفه الفقيه القاضي الإمام أبي الفضل عياض بن موسى رضي الله عنه، مصححا له، متحريا في نقل ما فيه، حتى لم أهمل شيئا مما فيه.

وحضر - الآن - في هذا السماع : الأصل المذكور، وأمسك علينا وصحح به : الفقيه الأجل أبو الحسن المذكور، ورد كتابه هذا اليه، وأقر ما ثبت في كتاب شيخنا أبي العباس - رحمه الله - بعلامته، وسمع معه نحو النصف منه ابنه المرجو : محمد، هداه الله وأقر به عينه.

وأذنت لهما في روايته عني، عن شيخنا الفقيه الفاضل : أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي ثم الشقوري : اجازة منه لي بقرطبة - أعادها الله للاسلام - في سنة ثلاث عشرة وستمائة، عن مؤلفه - رضي الله عنه - اجازة منه له أيضا، وقد صحت لنا هذه الرواية بمعارضته بأصل مؤلفه، والحمد لله.

وعن الفقيه أبي العباس المذكور بحق قراءتي عليه.

والله ينفعني وإياهما بالعلم ويجعلنا من أهله. وممن حمله حق حمله.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه، الغني به: محمد بن سعيد بن علي الأنصاري، عفا الله عنه، وذلك في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، من سنة ثلاث وأربعين وستمائة، والحمد لله حق حمده.

الملحـــق الخامـــس

أسانيد يحيى السراج لكتاب «الشفا»

في نص مطول قيده بأول أصل ا بن فرج

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحا به وسلم تسليما كثيرا

يقول كاتب هذا : يحيى بن أحمد بن محمد النفزي الحميري شهر بالسراج، لطف الله له، وأصلح قوله وعمله : حدثني بكتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، تأليف الشيخ الفقيه الامام، العالم المحدث الناقد، الراوية المسند، القاضي الأعدل، الخطيب البليغ الأكمل : أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، رضي الله عنه : من طريق الشيخ الفقيه القاضي، الراوية العدل : أبي عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن غاز، السبتي الأنصاري الجابري : من ذرية جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الشيخ الفقيه، المحدث الراوية المكثر، المسند المعمر، قاضي الجماعة بجزيرة الأندلس، وخاتمة الجلة بها، الخطيب الأكمل : أبو البركات محمد بن أبي بكر محمد بن ابراهيم السلمي، عرف - ببلده - بابن الحاج، وبالبلفيقي في سواه : قراءة عليه لبعضه، واجازة لجميعه : عن الشيخ الفقيه القاضي، الأستاذ المقري : أبي إسحاق ابراهيم بن أحمد المديوني عرف بالغافقي : قراءة لجميعه، وسماعا لجملة منه : عن القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي : سماعا عليه لأكثره، وإجازة لسائره : عن القاضي العدل : أبي عبد الله بن غاز المذكور : سماعا، عن القاضي أبي الفضل مؤلفه : سماعا، وقال لي : بهذا السند أحمل تواليف هذا الإمام ورواياته، قلت : وهذا السند مسلسل بالقضاة.

وحدثني به من طريق الشيخ الفقيه، الخطيب الزاهد : أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي : الشيخ الفقيه الحاج أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني : قراءة عليه لبعضه، ومناولة لجميعه، واجازة غير ما مرة، والأصل الذي ناولني هو أصل سماع الخطيب : أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد، وسماع الفقيه العالم : أبي القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري عرف با بن الشاط : من طريق ابن حكم المذكور.

وحدثني به عنهما سماعا لنحو الكراسين على ابن رشيد، وإجازة عن ابن الشاط.

وحدثني به - أيضا - عن الأستاذ المحدث الخطيب : أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الصديني الشهير بالغماري (220) : مناولة:

ثلاثتهم عن الشيخ الأديب، النحوي اللغوي : أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري : قراءة لجميعه لابن رشيد، وسماعا للآخرين : عن الفقيه الفاضل الثقة : أبي زيد عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ثم الخزرجي ثم القمارشي : سماعا عليه لمعظم الكتاب من أوله، وقراءة لسائره : عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن حكم المذكور : سماعا عليه، عن مؤلفه أبي الفضل المذكور : سماعا عليه، قال ابن رشيد - ومن خطه كتبت - هذا السند سند الزهاد الأفاضل الثقاة.

قال ابن رشيد وحدثني به الشيخ المقري المجود الفاضل : أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب بن أحمد بن علي بن أحمد بن رزقون (221) القيسي : قراءة عليه وأنا أسمع وأمسك كتابي، وكان بينه وبين الرواية التي عليها مدار طريق أبي القاسم المذكور اختلاف في زيادات يسيرة، وتقديم وتأخير، واختلاف ألفاظ ربما اتفقت معانيها.

220) ترجمته عند ابن القاضي في (درة الحجال) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة رقم 726.

221) بتقديم الراء على الزاي، حسب ترجمته من «الذيل والتكملة» 6 / رقم 994 : أصلا وتعليقا.

وأخبرنا بهذا الكتاب على الرواية المقروؤة عليه. بحق سماعه لجميعه على الفقيه الراوية المسند العدل : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الازدي ـ رحمه الله ـ عام ستة وخمسين وستمائة. قال : سمعت جميعه على شيخنا الفقيه الفاضل. المحدث الحافظ : أبي عبد الله محمد بن أبي علي حسن بن عطية بن غازي بن خلوف. من ولد جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : في صفر عام احد وتسعين وخمسمائة. قال قرأت جميعه على مولفه القاضي أبي الفضل رحمه الله. وعارضت بأصله. وكتب له عياض خطه بذلك في غرة ذي القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

قال الغماري ومن خطه نقلت : وحدثته به ـ أيضا ـ عن الفقيه المقري. بقية أئمة القرآن العزيز : أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم القيسي الشهير بابن الطيب. قلت : هو المذكور. وعن الفقيه الكاتب الاعدل. الحاج المبارك : أبي محمد عبد المهيمن الأنصاري الشهير بالجزيري : (222)

كلاهما عن القاضي الأعدل. الرواية المسند : أبي عبد الله الازدي.

قال أبو القاسم بن الشاط ومن خطه نقلت : وحدثته به ـ أيضا ـ عن الشيخ المسند الحسيب : أبي بكر محمد بن محمد الأنصاري البلنسي المعروف بابن مشليون : بحق الاجازة. عن القاضي الحسيب أبي بكر بن أبي جمرة، بحق الاجازة. عن المؤلف بحق الاجازة أيضا.

وحدثني به ـ أيضا ـ صاحبنا الفقيه الأجل. الصالح المبارك الخير. المعظم عند الخاصة والعامة. (لأنه) على حالة مستحسنة تامة : أبو الربيع سليمان بن الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المتبرك به : أبي يعقوب (يوسف) الأنفاسي. رحمه الله ورضي عنه : قراءة عليه لجميعه ما عدا من قوله : فصل : «وأما الخصال المكتسبة» إلى قوله : «فسألته عن سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جلسائه» : فإنه سماعا من لفظه. وهو يمسك على أصل الخطيب أبي عبد الله بن رشيد : في

222) ترجمته في «برنامج الوادي الشيء» رقم 29.

مجالس، آخرها في أوائل ذي القعدة عام ثمانية وسبعين وسبع مائة، وحدثني به عن الخطيب أبي عبد الله محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي : اجازة، عن ابن رشيد المذكور : سماعا من لفظه.

وعن القاضي الإمام أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي : سماعا عليه، عن الشيخ الراوية العدل القاضي : أبي عبد الله محمد بن عبد الله الازدي : قراءة عليه لجملة وافرة من الكتاب : من أوله، واجازة لجميعه - غير ما مرة - في الجملة.

وعن المحدث ابي الحسن علي بن محمد بن يحيى الغافقي الشاري : سماعا عليه لبعضه، واجازة لجميعه :

قالا : سمعناه على أبي عبد الله بن غاز، وعن أبي محمد بن عبيد الله (223) الحجري، عن المؤلف.

قال اللوشي : وحدثني به - ايضا - الفقيه العدل الوزير الحسيب : ابن ربيع المالقي : سماعا عليه لجميعه، وسمعت بعضه على الفقيه المتصوف المقري الحافظ : أبي محمد عبد الله ابن سلمون الكناني (224)، وأجازني جميعه، وكذلك سمعت بعضه على الشيخ الصالح ولي الله تعالى، المقرىء الضابط : أبي إسحاق بن أبي العاصي (225) : بسندهم.

قلت وقد كتب لي بالاجازة العامة الخطيب أبو عبد الله اللوشي المذكور مرتين.

---

(223) نسبه إلى أحد أجداده، حيث ان اسمه هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله، حسب ترجمته في «التكملة» ق 1416، ثم عند ابن رشيد في «إفادة النصيح» ص 78.

(224) ترجمته في «الإحاطة» 3 / 400 - 402.

(225) ترجمته بنفس المصدر 1 / 374 - 377، والغالب أن رواية السراج عن هذا وسابقه كانت في بداياته.

قال ابن ربيع : حدثنا به القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى : سماعا عليه. قال : حدثنا أبي قراءة عليه. قال : حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن أبي بكر بن الحداد الجذامي سماعا. عن المؤلف سماعا عليه.

ويحمله - أيضا - عن أبيه أبي عامر. وعن الأستاذ المحدث أبي عبد الله بن سعيد الطراز. وعن المحدث أبي العباس العزفي : في عموم اجازاتهم اياه :

قال أبوه القاضي أبو عامر : حدثنا أبي. وقال الطراز : حدثنا أبو الحسن الشقوري. وقال أبو العباس العزفي : حدثنا أبو عبد الله بن غاز : كلهم عن المؤلف رحمه الله.

وحدثني به - أيضا - من طريق ابن حكم المذكور : شيخنا الفقيه المدرس : أبو علي حسن ابن خلف الله بن بادس القيسي القسنطيني (226) : سماعا عليه لأبعاض من مجالس مختلفة. ومناولة لجميعه : في رجب الفرد عام أربعة وستين وسبع مائة : عن المقري المحدث الرحال : أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي أشي. عن الفقيه الكاتب الجليل : أبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري. عن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري : بسنده المذكور قبل. قال ابن جابر : وقد أجازنيه أبو محمد هذا.

قال : وكنت قرأته بتونس على قاضي الجماعة أبو (كذا) العباس أحمد بن الغماز. بحق روايته له عن الحافظ أبي الربيع بن سالم : اجازة إن لم يكن سماعا. قال : قرأت صدرا منه على أبي جعفر أحمد بن حكم وناولنيه. وحدثني أنه سمعه على مؤلفه.

قال ابن جابر : وقد كنت سمعت على الشيخ أبي محمد بن هارون من كتاب الشفا : دولا لم أضبطها. وأجازنيه بحق روايته له عن أبي الحسن سهل بن ملك الأغرناطي : اجازة. عن أبي جعفر بن حكم. عن المؤلف.

---

(226) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من فهرسه.

وحدثني به ـ أيضا ـ من الطريق المذكور : الشيخ الفقيه، الطبيب المؤرخ : أبو علي عمر بن أحمد بن عمر القرشي العبدري الشهير بالحكيم : قراءة عليه لجملة وافرة منه، ومناولة لجميعه : عن صهره وابن عمته : الشيخ الفقيه الأديب : الحاج أبي علي عمر بن علي الجراوي (227) : سماعا عليه، عن القبتوري المذكور، وعن الشيخ الصالح أبي عبد الله بن صالح : اجازة مشافهة، عن الشيخ الفقيه القاضي المحدث : أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برطلة الأزدي، قال : قرأته على الفقيه الأجل : أبي الحسين بن الشيخ الفقيه الزاهد الراوية : أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون الأنصاري، قال : حدثني به أبي، عن مؤلفه القاضي الإمام أبي الفضل عياض.

ويحمله ابن صالح ـ أيضا ـ عن القاضي أبي عبد الله الأزدي المذكور، وعن القاضي أبي بكر ابن محرز الزهري (228) : عن ابن غاز المذكور : قراءة عليه، وعن أبي الحسين بن السراج (229) : قراءة لبعضه ومناولة لسائره، عن أبي عبد الله المذكور، عن مؤلفه.

وحدثني به ـ أيضا ـ الشيخ الفقيه الخطيب : الحاج أبو علي عمر بن محمد البطوي الشهير بابن البحر (230)، رحمه الله : قراءة عليه في نحو الثلث الأول، ثم قراءة عليه ـ أيضا ـ من أوله إلى قوله في النصف الثاني : «فصل في ذم من لم يصل على النبي عليه السلام، وإثمه»، واجازة لجميعه في الجملة : عن الشيخ الفقيه المحدث الناقد : صلاح الدين خليل، بن الأمير الكبير المجاهد : كيكلدي العلائي : سماعا عليه.

---

(227) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(228) ترجمته في «التكملة» ق 1041.

(229) هو المترجم بنفس المصدر ق 1956.

(230) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من فهرسه.

عن الشيخ الرباني العلامة : أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الفزاري (231)، والفقيه أبي الحسن علي بن عمر بن حسان الشاغوري : قراءة على كل واحد منهما، وأبي زكرياء يحيى بن محمد بن سعد المقدسي (232) : اجازة

قال الأولان : أنا أبو محمد الحسين بن ابراهيم الخليلي الداري: سماعا عليه، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني : سماعا، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى التميمي : اجازة، أنا القاضي عياض سماعا.

وقال الثاني : أنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محارب القيسي من الأسكندرية، قال : أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن الحكم الخطيب : سماعا عليه، قال : أنا القاضي عياض

قال صلاح الدين العلائي : «وأخبرني به - أيضا - أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن عبد الله القرشي : فيما كتب لي - بخطه - من القاهرة : أن أبا الحسن علي بن هبة الله بن الجميزي أخبره وهو يسمع، قال : أنبأنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أنبأنا عياض رحمه الله.

قال : وقد قرأت نحو النصف الأول منه - أيضا - على أبي بكر محمد بن عبد الرحمن الصالحي، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن مكي : إذنا، قال أنبأنا الحافظان : أبو طاهر السلفي، وأبو القاسم خلف بن بشكوال، قالا : أنبأنا عياض.

وأخبرني بجميعه - أيضا - الشيخان : أبو محمد عبد الوهاب بن الحسن بن ابراهيم القمني (233)، وأبو المحاسن يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح القرشي الدلاصي : المصريان : قراءة وسماعا بمصر، قالا : أنا به أبو الحسين يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتي : سماعا عليه، قال أنبأنا الحافظ يحيى بن محمد بن علي الأنصاري : ابن الصائغ، عن القاضي عياض : اجازة».

---

(231) ترجمته في «برنامج الوادي الشيء» رقم 52.

(232) ترجمته في «الدرر الكافية» 4 / 426 - 427.

(233) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

وحدثني به - أيضا - الفقيه الحافظ الأستاذ المقري، المدرس المشاور : أبو محمد عبد الله ابن عمر الوانغيلي الكفيف : قراءة عليه لبعضه، واجازة لجميعه.

والفقيه القاضي المشاور : أبو محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسني العمراني : قراءة عليه لبعضه، ومناولة لجميعه.

والأستاذ المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر اللخمي : قراءة عليه لبعضه، وسماعا لكثير منه، واجازة لجميعه :

ثلاثتهم عن الفقيه الأستاذ المقري، الراوية الشهير، العلم : أبي الحسن علي بن سليمان ابن أحمد بن سليمان الأنصاري القرطبي : اجازة، عن الأستاذ الإمام : أبي الحسين بن أبي الربيع : سماعا لبعضه، واجازة لسائره.

قال ابن سليمان : «وحدثني هو والقاضي أبو علي بن الناظر، والخطيب أبو الحجاج المربلي : ثلاثتهم عن أبي العباس العزفي، عن أبيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد، وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الجذامي : عن أبي الفضل مؤلفه».

ويحمله - أيضا - الأستاذ أبو الحسين، والقاضي أبو علي المذكوران : عن القاضي أبي القاسم بن بقي وجماعة غيره : عن أبي محمد بن عبيد الله الحجري، عن المؤلف.

وعن القاضي أبي عبد الله بن خلفون في آخرين : عن ابن زرقون، عن المؤلف.

وعن الأستاذ أبي علي الشلوبين، عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي الحصار، عن المؤلف.

وحدثني به - أيضا - قاضي الجماعة، وخطيب الحضرة : أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني ثم البرجي (234) : قراءة لبعضه، ومناولة لجميعه غير مرة : عن

(234) ترجمته عند السراج بالجزء الاول من فهرسه.

المحدث الرحال أبي عبد الله ابن جابر المذكور : سماعا لبعضه. واجازة بجميعه : بسنده المذكور.

وعن ولي الله - تعالى - الخطيب المحدث : أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي : اجازة لم يكن سماعا. عن الراوية أبي عمر بن حوط الله : اجازة. عن أبي جعفر بن حكم. وأبي العباس بن مضا : عن المؤلف.

وعن الطنجالي - أيضا - عن أبي الوليد اسماعيل بن يحيى المعروف بالعطار. عن ابن حكم المذكور.

قلت : وقد أخذته عن غير من ذكر. ولي فيه أسانيد كثيرة غير ما ذكر. تركتها اختصارا واكتفاء بهذه عنها.

والحمد لله رب العالمين. والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيئين. وعلى آله الطيبين الطاهرين. وسلم تسليما كثيرا.

الملحــق الســـادس

خطة السراج في مراجعة أصل ابن فرج من «الشفــا»
مع تفسيره للإشارات التي أضافها لهذه النسخة
حيث أثبت ذلك كله في طالعة الكتــاب

الحمد لله حق حمده. والصلاة والسلام الاكملان على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده. وعلى آله وأزواجه وذريته من بعده. ورضي الله عن أصحابه الكرام. وعن كل من أتبعهم وسلك مهيعهم واستقام.

أما بعـد :

فيقول كاتب هذا : يحيى بن أحمد النفزى لطف الله به. وأخذ بيده ووفقه الى رشده : أن كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» صلى الله عليه وسلم. وشرف وكرم :

تأدت إلى روايته من طريق القاضي الراوية العدل : أبي عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن غاز السبتي. الانصارى الجابرى. رحمه الله تعالى.

ومن طريق الخطيب الزاهد أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسى. وأصل كتابى هذا هو على رواية ابن غازى المذكور. ثم قابلته بأصل الخطيب المحدث أبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيده الفهرى. وهو على رواية ابن حكم المذكور. وفيه التنبيه على بعض روايات غيره مما يخالف رواية ابن حكم.

الا أنه ضاع من هذا الأصل من قبل «فصل : وأما الخصال المكتسبة» بنحو سطرين. إلى قوله في حديث هند بن أبى هالة في صفته صلى الله عليه وسلم : «وهذه الكلمة من غير الروايتين».

وضاع - أيضا - من قوله : «فصل : وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدى الأمة في اعجازه وجوها كثيرة» الى أخر الفصل.

فقابلت ما ضاع من الأصل المذكور من أصل نسخ منه وقوبل به قبل الضياع. ثم من آخر ذلك.

فكل ما ثبت في الأصل المذكور كتبته في كتابي هذا. وعلمت عليه بعلامة صورتها هكذا (ش) : تنبيها على أنه كذلك في أصل الخطيب ابن رشيد. إلا الزيادات التي كانت عنده في الطرة مكتوبا بإثرها : (صح اصـــل س ت) : فإن تلك الزيـادات ثبتت فـي كتابي هذا في الأصل من غيـر علامـــة. فلكـثـرتها تركت العلامات التي بإثرها. ولأني ما عثرت على ما أراد بهما : أعني بالسين والتاء»(235) كما لم أعثر على ما أراد بالعلامة التي صورتها هكذا (ش).

واما ما عليه هكذا (ط) : فالطاء : كناية عن شيخه ابى القاسم بن الطيب.

وأما ما عليه هكذا (ض) : فالضاد كناية عن عياض بن محمد حفيد المؤلف رحمه الله.

وما عليه هكذا : (لا ش) : فلم يثبت في أصل ابن رشيد.

وما في كتابي هذا مما عليه هكذا (ز). فهو مما قيده الضابط المحقق أبو عبد الله الطراز. عن شيخه المحدث أبى العباس العزفي.

وما عليه هكذا (ع) : فهو ما قيد من أصل القاضي الامام أبي الفضل عياض. حسبما نبه عليه مقيده على ظهر كتابي هذا.

وما عليه معلم (قر) : فهو مما تعقبه الأستاذ أبو محمد القرطبي (236) على المؤلف. رحمة الله عليه. ورضوانه على جميعهم.

وما عليه هكذا (صح خ):فهو عن نسخة صحيحة معتمد عليها. والحمد لله حق حمده.

235) بين المحدث المغربي : ادريس العراقي : أن ابن رشيد يشير برسم السين والتاء الى أصل ابي القاسم القبتوري، نقله عنه محمد الفاطمي الصقلي كاتب الطبعة الحجرية الفاسية من «الشفا» عام 1305 هـ : 1 / ص 4 من الملزمة 25.

236) ح ترجمته في «التكملة» ق 1433.

الملحـــق السابـــــع

صيغة السماع المكتوب على نسخة ابن رشيد من «الشفـا» وهي احدى الأصول التي صحح بها السراج، ولذلك أتبث نسخة هذا السماع بإثر الملحق الخامـــس

كان على ظهر كتاب الخطيب أبى عبد الله محمد بن رشيد الفهرى - رحمه الله تعالى - ما نصه : سمع علي وليي في الله تعالى : الشيخ الفقيه الفاضل، التقي الزاهد الورع، المقرى المحدث النحوى العارف : أبو صالح محمد بن محمد بن محمد بن أبي صالح التجيبي (237)، نشر الله بالعلم ذكره، وأعلا في الدارين قدره : هذا الكتاب كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم»، وسمع - أيضا - معظمه وقرأ سائره : الطالب النجيب، الفاضل المجتهد : أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصارى، وفقه الله وسدده، وهداه وأرشده.

وحدثتهما به سماعا منى على الشيخ الفقيه الخطيب بغرناطة : أبى جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي رحمه الله، سماعه على مؤلفه : الشيخ الفقيه القاضي أبى الفضل عياض.

وكتب قائل هذا : عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الأنصاري ثم الخزرجي، حامد الله تعالى، ومصليا على محمد رسوله المصطفى، وعلى آله أئمة الدين والهدى؛ في العشر الأول من ذي حجة، من عام أربعة وثلاثين وستمائة.

وتحته بخط ابن رشيد المذكور : عبد الرحمان هذا يكنى أبا زيد، وهو من أهل قمارش، وبالنسب اليها يعرف، وكان بمالقة يعلم كتاب الله، وكان ثقة

---

237) ترجمته بنفس المصدر ق 1030.

فاضلا. روى عنه الناس. وروى عنه الأستاذ الزاهد أبو بكر حميد (238). توفي ـ بمالقة ـ غرة شوال. عام سبعة وثلاثين وستمائة.

ومن خط ابن رشيد ما نصه : أكملت قراءة هذا الكتاب من أوله إلى آخره : على الشيخ الأديب. النحوى اللغوى : أبى محمد عبد الله بن أبي القاسم الانصارى. عشية يوم الأربعاء الخامس لشهر ربيع الثاني. عام ثلاثة وثمانين وستمائة.

وحدثنى به بحق سماعه ـ في هذه النسخة ـ لمعظم الكتاب من أوله. وقراءة سائره : على الفقيه الفاضل الثقة : أبي زيد عبد الرحمان الأنصارى ثم الخزرجي ثم القمارشى المذكور أعلاه : بالاسناد المقيد بخطه.

وحضر سماع جميع الكتاب : الفقيه النبيل. الكاتب الأديب. المشارك : أبو القاسم بن الشاط. وحضر ـ أيضا ـ الفقيه النحوى الذكي أبو محمد عبد الحق الفنتروسى : (239) سماع جميع الكتاب. إلا مجلسا واحدا من أوله فاته سماعه.

وكتب محمد بن عمر بن رشيد. حامدا لله. ومصليا على رسوله المصطفى وعلى آله. ومسلما.

● ● ●

ومن خطه ـ أيضا ـ ما نصه : وكانت هذه الأوراق المجبورة قد ضاعت من الكتاب. فجبرت من فرع كان نسخ منه وقوبل به قبل الضياع. وكان بخط الكاتب الجليل : أبى القاسم القبتورى. انتهى

قلت (والكلام هنا للسراج) : وقد نبهت في أصلي هذا على أول هذه الأوراق المجبورة وآخرها. ليعلم من يقف عليها معنى قولنا فيها : ليس في الفرع. أو ثبت في الفرع. أو سقط من الفرع. وأن المراد بذلك : الفرع ـ المنبه عليه هنا ـ الذى جبرت منه. انتهى.

---

238) ترجمته في الذيل والتكملة 1 / 214. وهو بالتصغير.

239) ترجمته في «درة الحجال» رقم 1121.

الملحـــق الثامــــــن

سند الجملى لكتاب الشفا، وهو بـــأول
أصله حسب نسخة متفرعـــة

كتاب الشفا. بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم : تصنيف الفقيه. القاضي. الإمام. الحافظ الاوحد. العلامة : أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض. رحمه الله :

قرأت جميعه على سيدى الشيخ الفقيه الجليل. الخطيب. الصالح الكامل. القدوة. الصدر الكبير. العالم الاوحد الشهير : أبى عبد الله. بن الشيخ الفقيه الجليل. الصالح الورع الزاهد الاتقى. المبرور المقدس المرحوم: أبو (كذا) جعفر أحمد. بن الشيخ الفقيه الجليل. القاضي. الشريف. الشهيد - رحمه الله ونفعه - أبى الحجاج يوسف. ابن أحمد ابن عمر بن محمد بن يوسف. الهاشمي. امتع الله ببقائه. ولا أعدم متعرف بركة لقائه :

وهو يمسك على أصل مؤلفه : القاضي. الإمام الكبير. أبو (كذا) الفضل عياض بن موسى بن عياض. رضي الله عنه ورحمه.

وحدثنى به عن الشيخين الجليلين. المسندين : أبى الوليد اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن خلف الازدى الغرناطى. وأبى عمر عبد الرحمن بن القاضي. المحدث الجليل. العلم : أبى محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف بن حوط الاندى : اجازة منهما له :

كلاهما عن الخطيب الزاهد : أبى جعفر أحمد بن علي بن حكم. والقاضي أبو (كذا) محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج الخزرجي :

كلاهما عن الإمام أبى الفضل : مؤلفه. رحمه الله جميعهم.

قال أبو عمر بن حوط الله : وأجازنيه القاضيان. المحدثان : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضا. وأبو محمد عبد الله بن محمد بن فليح :

كلاهما عن مؤلفه : الإمام الكبير. العالم الشهير : أبى الفضل. رحمه الله.

الملحـــق التاســـع

خطة الجملي في معارضة أصله من الشفـــا. وهي بخاتمة أصله حسب نسخة متفرعـــة ويتخلل ذلك بياض كثير

تم جميع الديوان بحمد الله وتأييده، وتوفيقه وتسديده : على يد مقيده لنفسه، عبد الله الفقير اليه : محمد بن علي بن محمد بن عبد الغافر الجملي، وفقه الله وهداه، وأراه مراشده وهداه، حامدا الله - تعالى - على آلائه، ومصليا على نبيه محمد خاتم أرساله وأكرم أنبيائه، وعلى آله وعترته الاعلام وأودائه، ومسلما عليه وعليهم تسليما.

عارضته - أجمع - على أصل مؤلف (كذا) المحدث الحافظ، القاضي، العلامة : أبى الفضل عياض بن موسى رحمه الله، المجزى على ستة أجزاء : منها - بخطه - الجزء (بياض) معظم الحواشي، وبعض المتون من غيره، وعاينتها - ستتها - جهدى، وبذلت في (بياض) اليها، وتصحيحه بها (بياض)،ولم ءال في ذلك بحال (بياض) تصحيحاته واشكال (بياض) وتخريجاته، وثبت في نظره (بياض) حتى لم يبق عندى منه (بياض).

وعلمت على ما لم يثبت في أصله هكذا : صـ صـ وعلى أشكال أو وهم منها : ع..

قاله محمد الجملي، وفقه الله بمنه.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

أكملته - قراءة - على سيدى الخطيب : أبى عبد الله الطنجالي، أبقى الله بركته : في مجالسة (كذا) أولها يوم السبت الحادى وعشرين من محرم، عام سبعة عشر وسبعمائة، وتوالت كل يوم جلساته إلا أيام الجمع إلى يوم الخميس سابع صفر هذا، قاله محمد الجملي.

الملحـــق العاشـــــــــر

ويشتمل على الاشارة للأصول الثلاث التى عارض بها ا بن جبير نسخته من «الشفا»، مع طبقتى سماع لنفس الكتاب على ا بن جبير ثم أبى علي بن رشيق، حسب آخر السفر الأول من مخطوطة الحرم المكي رقم 416

ومما على أصله بخط الحافظ أبى عمرو بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، رضي الله عنه : انتهت المقابلة بالأصل الذى بخط الشيخ الفقيه الأديب، الكاتب البارع، الزاهد الورع : أبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى رحمه الله، الذى فرغ من كتابته في عقب شهر ذى القعدة، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

وكان في آخره بخطه : قابلته - عقيب تاريخ الفراغ من نسخه - بالأم المنتسخ منها، وبأصل كان عليه خط مؤلفه - رضي الله عنه - اجازة لقارئه عليه، وكانت مقابلتى له بغرناطة حرسها الله، وبها كان انتساخه.

ثم قابلته بمدينة فاس - حرسها الله - (240) بالام العتيقة الذى (كذا) كان أكثرها بخط المؤلف رضي الله عنه، وهي مبيضته التي حررها وأظهرها، وقرئت -

---

240) كان القاضي عياض قد اجتاز بمدينة فاس مرتحله من سبتة قاصدا مراكش، فزار بالمدينة الاولى (القاضي عيسى) ابن الملجوم بداره، حيث استجازه ابن المزور : ابو القاسم (عبد الرحيم) ابن الملجوم، وهو الذي وقت هذه الزيارة والاستجارة بتاريخ عشية يوم الاثنين 8 رجب 543 هـ، حسب (ازهار الرياض) 1 / 23 - 24.

والى ذلك يسجل ابن القاضي وهو يترجم ابا الفضل : ان هذا اخذ عنه بفاس جماعة، «جذوة الاقتباس» رقم 567.

ومن هذه الاشارة وسابقتها : يمكن ان يستنتج ان القاضي عياضا ترك بفاس - عند بعض الرواة عنه - اصله من «الشفا»، ثم استمر كتابه بهذه المدينة بعد وفاته حتى عارض به ابن جبير.

عدة مراتٍ ـ عليه. وكانت هذه المقابلة ـ الأخيرة ـ في ربيع الآخر. سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. والحمد لله رب العالمين. وصلواته على محمد وعلى آله الطاهرين. وسلامه عليهم أجمعين.

نقله محمد بن علي...

• • •

وعليه ـ أيضا ـ بخط شيخنا الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس : سمع جميع كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى». تأليف القاضي الامام : أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى : على الشيخ الإمام الاوحد. الاعلم الاجل. الأفضل الأكبر. ذى الفضائل : أبى الحسين محمد. بن الشيخ أبى جعفر أحمد. بن حسين بن محمد بن جبير الكنانى. مد الله في مدته : بحق اجازته من الشيخ الإمام الحسيب. ذى السن العالية : أبى عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن عيسى التميمي. بحق سماعه اياه على مؤلفه المذكور :

الشيوخ الفقهاء. الأئمة الفضلاء : أبو علي حسن بن عبد الله بن الحسين عرف بالطويل.

وبهاء الدين أبو محمد عبد العزيز. وعز الدين ابو البركات عبد الحميد. وعماد الدين أبو الفضل عبد الوهاب. وعلم الدين أبو الحسن محمد : أولاد الشيخ الإمام العالم. جمال الدين : أبى علي الحسين بن عتيق بن رشيق المالكي.

وأبو زكرياء يحيى. بن الشيخ الإمام : أبى الحسن علي بن عبد الله القرشي العطار.

ونظام الدين أبو عبد الله محمد. وأخوه أبو محمد عبد الله : ابنا القاضي أمين الدين حسين بن حسن الخليلى.

وجماعة كثيرة.

وصح بقراءة مثبت أسمائهم : عبد الحا... بن صالح بن علي بن زيدان المسكري : في مجالس آخرها سلخ شهر رمضان المعظم، من ستة تسع وستمائة بمصر.

وأجاز لهم جميع ما يدخل في روايته، وما نسب وينسب اليه.

نقله - من خط ابن زيدان مختصرا - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس : أبو الفتح اليعمري، وفقه الله تعالى.

ومن خطه نقل محمد...

• • •

وعليه - أيضا - بخط الحافظ أبى عمرو بن سيد الناس : سمع جميع هذا الكتاب على الشيخ الفقيه، الإمام العالم الصالح : علم الدين أبي الحسن محمد، بن الشيخ العالم أبي علي الحسين، بن عتيق بن رشيق المالكي، رضي الله عنه : بحق سماعه فيه من ابن جبير، : بقراءة محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سيد الناس اليعمرى، وهذا خطه :

ولداه المحمدان : أبو بكر وأبو الفتح.

والفقيه سعد الدين : أبو الحسن علي بن جابر بن علي التميمى.

والفقيه الاجل : أبو القاسم أحمد بن محمد بن هشام الأنصارى.

وشهاب الدين : أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن أبي عبد الله القرشي.

وحسام الدين : لاجين بن عبد الله الخزندارى.

وشهاب الدين أحمد بن محمد الهذياني.

وآخرون مذكورون : في الأصل المكتوب بخط ابن جبير.

وأجاز الشيخ للمذكورين جميع ما تجوز له روايته.

وكان الفراغ من قراءته في يوم السادس والعشرين من رجب، سنة سبع وسبعين وستمائة بمصر حرسها الله.

نقله كما هو : محمد بن علي...

ملحـــق ختامـــي
عن الطبعات الأولى للشفـــا

يتبين من العروض السابقة أنه صار لكتاب «الشفا» ـ مع مر الزمن ـ نسختان : مغربية ومشرقية، اعتبارا بفروق يسيرة بين الروايات التي انتشرت هنا أو هناك.

وعلى هذا التفاوت جرى نشر الكتاب في طبعاته الأولى : ففي المغرب صار الاعتماد على رواية ابن الغازى عن المؤلف.

وفي المشرق : استند الناشرون إلى أصح النسخ المتداولة هناك دون تحديد لرواياتها.

1 ـ وأول نشرات «الشفا» كانت بالطباعة الحجرية، فظهرت ـ للمرة الأولى ـ بالاستانة عام 1264 هـ (241).

2 ـ ثم كانت الطبعة الأولى بمصر : عام 1276 هـ، بتصحيح العالم المصري الشيخ حسن العدوى الحمزاوى (242)، حيث اعتمد فيها على نسخة مصححة على الأصل، وكانت ـ حسب تعبيره ـ يرجع اليها علماء العصر.

وأضاف المصحح المنوه به للنص تعاليق بالهوامش، سماها «المدد الفياض، بنور الشفا للقاضي عياض»، فبين فيها الضبط الصحيح، واختلاف النسخ، مع الشروح اللغوية للكلمات الغامضة، فضلا عن مقدمة تمهيدية، وأخيرا : كلمة ختامية كتبها الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى (243).

---

(241) «تاريخ الأدب العربي»لبروكلمان : الترجمة العربية 6 / 269، فيذكر أن كتاب «الشفا» طبع حجر وطبعا عاديا : في استانبول 1264، 1290، 1312، وفي بومباي : 1276 والهند 1287...

(242) ترجمته عند الزركلي في «الاعلام» 2 / 214.

(243) ترجمته بنفس المصدر 4 / 322 ـ 23.

وقد استوعبت المقدمة والخطبة الافتتاحية : ص 2 ـ 16. بينما جاء النص والتعاليق في سفرين من قطع بين المتوسط والكبير :

الأول : 1 ـ 317 ص.

والثاني : 1 ـ 346 ص.

3 ـ وعن المطبعة الحجرية أيضا : ظهر بالاستانة ـ عام 1290 هـ ـ طبعة متقنة من «الشفا»، بمبادرة ناشرها يوسف بن محمد أبو السعود. فاعتنى بتصحيح كلماتها، وضبط ألفاظها، وكتابة الفروق ـ بين الروايات ـ على الهوامش. وصدرت عن مطبعة خليل أفندى بالإستانة : في مجلد يضم سفرين من حجم صغير :

الأول : 312 ص عدا فهرس الأبواب بأوله.

والثاني : 295 ص عدا الكلمات الختامية بآخره.

4 ـ وفي الغرب الإسلامي صدرت أول طبعة من «الشفا» عن المطبعة الحجرية الفاسية عام 1305 هـ. فجاءت في مجلد يستوعب سفرين من قطع متوسط.

الأول : 196 ص : أصلا وتذييلا.

الثاني : 208 ص : أصلا وكلمة ختامية.

كتبها ـ بخطه ـ محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي الفاسي (244) وتولى تصحيحها الشيخ التهامي كنون (245).

وقد اعتمد الناشرون لها : رواية ابن الغازى عن طريق نسخة كل من ابن فرج والسراج. ولذلك تأخذ هذه الطبعة بعين الاعتبار تجزئة المؤلف السداسية للكتاب. كما تتناثر بهوامشها اشارات الفروق. نظير واقع الأصول المغربية من الشفا. وقد ذيل السفر الأول بنص للسراج في تفسير اشارات الفروق.

---

244) له ترجمة وجيزة عند لادريس الفضيلي في «الدرر البهية» ط. ف 2 / 226.

245) ترجمته بنفس المصدر 2 / 370 ـ 71. وعند الفاسي في «معجم الشيوخ» 1 / 167 ـ 169.

ملحـــق الملحقـــــات

وهو نص جديد يستوعب مجموعة كبرى من الأسانيد لكتاب الشفا بين مغربية ومشرقية ومختلطة، فيرونها ابو زيد بن أبي السعود الفاسي في طالعة كتابه «مفتاح الشفا» (246) حسب السياق التالي :

ولنذكر هنا بعض أسانيدنا إلى القاضي عياض - رضي الله عنه - تبركا به، وبالوسائط الذين بيننا وبينه : بالسماع أو اللقي أو الإجازة أو بالمجموع، وإن لم يكن الا اللقي فهو مما يرجى بركته، فإنه إن لم تحصل الرواية فلا بد منه في المذكورين، إلا ما كان بمجرد الإجازة، فصح أن ينفرد كل منها عن كل، وأن يجتمع اثنان فقط أو ثلاثة، وليس المراد الاستقصا، بل الاكتفاء بما تيسر، لأن ذلك ليس من مقصود الكتاب.

ه ه ه

ولنبدأ باسانيد المغاربة : واحدا عن واحد فنقول : أخبرنا الشيخ الإمام، والدنا : أبو السعود عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، جدد الله عليه مضاعفات رحمته، وأفاض علينا من عوارفه وبركته، عن عم والده

246) مخطوط خ.م 12655، وقد وقفت على هذا النص في نسخة وحيدة بعد رقن الدراسة، فئاثرت إلحاقه ريتما تتيسر معارضته والتعليق عليه في فرصة لاحقة بإعانة الله سبحانه.

الإمام المحدث، العالم العارف : أبي العز عبد الرحمن بن محمد، رحمه الله.

وعن الإمام المفتي الخطيب : أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، والامام النظار : أبي محمد عبد الواحد بن أحمد (بن) عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الأنصاري، والإمام القاضي المسن : أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني، وغيرهم.

قال الثلاثة : أخبرنا الإمام المفتي الخطيب المحقق النظار : أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي.

وقال الأول والرابع : أخبرنا الإمام الأستاذ العلامة : أبو العباس أحمد بن علي المنجور المكناسي.

وزاد الأول عن شيخه أخيه، الإمام المحدث الصوفي : أبي المحاسن يوسف بن محمد.

وزاد الثاني عن شيخه عمه، الإمام المفتي : أبي عثمان سعيد.

وزاد الثاني والرابع ـ أيضا ـ عن الإمام المحدث الفقيه المسند أبي العباس أحمد بن أحمد المدعو باب السوداني.

وأخذ القصار والمنجور وأبو المحاسن الفاسي وأبو عثمان المقري : عن الإمام المسند، الرحلة الراوية المحدث، المتفنن : أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي الأنصاري.

وأخذ السوداني عن والده المسند : الحاج أبي العباس، عن عبد العزيز اللمطي الفاسي نزيل المدينة المنورة، عن عمه : أبي عمرو عثمان بن عبد الواحد، وأبي العباس الزقاق.

وزاد القصار والمنجور وأبو المحاسن : عن الإمام المسند الرحال : أبي عبد الله اليسيتني، وأبي شامة بن ابراهيم المشنزائي.

وزاد المنجور : عن أبي محمد عبد الرحمن سقين العاصمي ثم القصري، خطيب فاس الأندلس.

وزاد القصار : عن الإمام أبي العباس التسولي، والإمام أبي النعيم رضوان بن عبد الله، وأبي القاسم بن عبد الجبار الفجيجي، وأبي عبد الله بن قنزع التلمساني.

وزاد أبو عثمان المقري : عن الإمام أبي عبد الله التنسي الصغير التلمساني.

وأخذ أبو شامة عن أبي العباس الحباك، وأبي العباس بن جيدة.

وأخذ أبو النعيم رضوان : عن سقين، والحباك، وأبي الحسن بن هارون، وأبي القاسم بن ابراهيم، وأبي عبد الله العبسي، والعدي، وابن مجبر.

وأخذ اللمطي واليسيتني والتسولي والحباك وابن هارون وابن ابراهيم والعبسي والعدي وابن مجبر : كلهم عن ابن غازي.

وأخذ التنسي عن والده أبي عبد الله محمد التنسي الكبير.

وأخذ الزقاق عن والده أبي الحسن، عن أبي عبد الله المواق.

وأخذ ابن عبد الجبار عن والده محمد، عن والده عبد الجبار.

وأخذ ابن قنزع عن أبي العباس الوجدي.

وأخذ التسولي - أيضا - عن أبي العباس الدقون، عن المواق.

وأخذ ابن جيدة والوجدي وعبد الجبار : كلهم عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي.

وأخذ المواق عن المنتورى.

وأخذ سقين - أيضا - عن الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي.

وقد انتهت الطرق إلى الشيخ ابن غازي والشيخ زروق والشيخ السنوسي والشيخ المنتوري.

فأما الاولان : فعن الفقيه أبي عبد الله السراج، عن والده أبي القاسم.

وأخذ هو والرابع : عن والده أبي زكرياء يحيى بن أحمد الحميري السراج.

وأخذ الثاني والثالث : عن أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي.

وزاد الثالث وعبد الجبار المتقدم : عن أبي الحسن القلصادي.

وزاد عبد الجبار : عن ابن مرزوق الكفيف.

وزاد السنوسي : عن أبي علي أبركان.

وأخذ القلصادي والثعالبي وابركان والكفيف : كلهم عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد.

وأخذ هو والمنتوري عن ابن عرفة.

وزاد الحفيد : عن ابن قنفد، عن الإمام الخطيب الصوفي : أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن عباد الرندي.

وزاد ـ أيضا ـ عن الإمام القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون.

وأخذ ابن عرفة وابن عباد وابن خلدون : عن أبي عبد الله الابلى.

وانفرد ابن عرفة وابن خلدون بالأخذ عن ابن جابر الوادي ءاشي.

وأخذ الابلي عن أبي موسى بن الإمام، عن الإمام الولي الشهير : أبي العباس أحمد بن البنا المراكشي.

وأخذ السراج ـ أيضا ـ عن الرعيني، عن ابن البنا.

وأما المنتوري فعن جماعة : منهم ابن لب، عن ابن جابر، عن أبي الحسن الفيجاطي، وهو عن إبن أبي الأحوص.

ومنهم ابن زكرياء : عن ابن ليون، عن ابن شعيب، عن ابن أبي الاحوص.

ومنهم ابن بقي : عن ابي البركات ابن الحاج البلفيقي، عن أبي اسحق الغافقي، عن أبي محمد النفزي، عن أبي القاسم بن الطيلسان.

وأخذ ابن بقي ـ أيضا ـ عن أبي عبد الله بن الخطيب السلماني، عن أبي القاسم بن رضوان، وأبي البركات ابن الحاج، وابن الجياب، وأبي عبد الله المقري، وابن شاطر، والحكيم، وابن مرزوق الخطيب، وأبي الحسن الفيجاطي، وأبي جعفر الطنجالي، وأبي القاسم الشريف الغرناطي، وابن منظور، وابن عبد. (بياض).

وأخذ ابن رضوان أيضا : عن أبي محمد التجيبي المقري، عن ابن أبي الاحوص.

(وأخذ ابن الخطيب ـ أيضا ـ عن أبي محمد بن أيوب، عن ابن أبي الأحوص، وعن أبي عبد الله المقري : عن الأبلى، وقد تقدم، وعن أبي عبد الله بن شاطر، عن ابن البنا، **وقد تقدم، وعن ابن ليون، وأبي** الحسن الفيجاطي، وقد تقدما.

وأخذ الشريف الغرناطي : عن ابن رشيد، وأبي إسحاق الغافقي.

وأخذ أبو عمر بن منصور : عن أبي عبد الله بن الفخار.

وأخذ أبو البركات بن الحاج وابن الجياب : عن أبي جعفر بن الزبير.

وأخذ أبو زكرياء السراج : عن ابن رضوان أيضا، عن ابن صفوان، عن ابن البنا المتقدم.

ومنهم ابن جزي : عن ابن رشيد، عن ابن صالح الكناني، عن أبي عبد الله بن الأبار أيضا.

وأخذ ابن بقي أيضا : عن أبي جعفر بن خاتمة.

وأخذ ابن البنا وتلميذه ابن صفوان : عن قاضي مراكش : أبي عبد الله بن عبد الملك الأوسي.

٥

وقد انتهت طرقهم إلى ابن أبي الاحوص وابن الطيلسان وابن الأبار وابن خاتمة وابن عبد الملك.

أما ابن أبي الأحوص : فعن أبي الربيع بن سالم، وابن واجب، وابن الجميل، وابن خير : عن ابن الفخار.

وأخذ ابن أبي الاحوص أيضا : عن الكلاعي، عن ابن الفخار.

وأما ابن الطيلسان : فعن أبي جعفر بن الأصلع، عن ابن الفخار وابن خير وابن قرقول، وزاد ابن الطيلسان أيضا : عن أبي اسحق الزولي، عن ابن خير.

وأخذ ابن رشيد - أيضا - عن المنذري، عن الحصار، عن ابن الفخار.

وأما ابن الابار : فعن أبي الخطاب بن الجميل، عن ابن خير.

وأخذ ابن الأبار أيضا : عن أبي القاسم بن بقي، عن أبي عبد الله الفخار، وأخذ - أيضا - عن ابن واجب.

وأما ابن خاتمة : فعن ابن ليون، عن ابن رشيد، وقد تقدم، وعن ابن جابر الوادي ءاشي، عن ابن الغماز، وعن أبي عبد الله بن عزيون، عن أبي الحسين بن السراج، عن أبي خير.

وأما ابن عبد الملك : فعن أبي جعفر وأبي عبد الله الطنجاليين، عن أبي العباس بن ماتع، عن ابن خير.

ح : وعن ابن دقيق العيد، عن المنذري، عن الحصار، عن ابن الفخار.

وعن أبي القاسم العزفي، عن أبي عبد الله الازدي وابن واجب أيضا : عن ابن غاز السبتي.

وعن أبي اسحاق التلمساني عن ابن عميرة

ح : وعن أبي بكر بن برفوب وأبي مروان بن الكماد معا : عن ابن السراج، عن ابن خير.

وعن أبي جعفر بن الزبير.

وعن ابن الغماز وأبي الحجاج بن أحمد بن حكم،

وعن الرعيني، وأبي علي بن أبي الاحوص، وأبي محمد القطان.

وأخذ أبو جعفر الطنجالي أيضا : عن أبي الخطاب بن واجب.

وأخذ إبن الزبير عن أبي الخطاب السكوني، عن أبيه.

وأخذ الرعيني وابن الغماز : عن ابن قطرال، وزاد الرعيني عن أبي اسحاق الزولي، وعن ابن الطيلسان : عن أبي جعفر الكماد، وزاد ابن الغماز : عن أبي الربيع بن سالم، عن أبي الخطاب بن واجب.

وأخذ ابن الغماز أيضا : عن الكلاعي، عن ابن الفخار، وعن أبي

الحسين بن السراج، عن ابن خير، وعن أبي العباس العزفي، وعبد العظيم المنذري.

وأخذ ابن واجب : عن ابن غاز السبتي.

وأخذ الكماد : عن ابن غاز السبتي.

وابن حكم : عن والده أبي الحسن، وأبي علي أحمد بن محمد واجب : عن أبي الخطاب، عن جد أبيه أبي حفص.

وأخذ ابن قطر آل : عن أبي عبد الله بن الفخار، وأبي العباس بن مضى.

وأخذ أبو القاسم العزفي عن ابن قطرال.

وأخذ ابن الفخار وابن قرقول والسلفي وابن خير وأبو علي بن واجب وابن مضى وابن حكم والسكوني وأحمد بن واجب وابن غاز السبتي والغافقي : كلهم عن القاضي عياض رضي الله عنه.

هذه بعض أسانيد المغاربة.

ح : وحدثنا ـ أيضا ـ عم والدنا. الإمام المحصل المحدث المتفنن : أبو حامد محمد العربي، وابن أخيه الإمام الخطيب القاضي : أبو القاسم محمد بن أحمد : إجازة عامة منهما، عن الشيخ القصار : إجازة، بالسند المتقدم.

وأما أسانيد المشارقة : فأخبرنا خطيب الحرم : الشيخ زين العابدين الطبري : إجازة، عن والده الشيخ عبد القادر، عن شيخ الإسلام الرملي، عن زكرياء.

ح : وعن الشيخ عبد الواحد الخطيب الشهير بالمعمر، عن الشيخ محمد بن ابراهيم الغمري.

وهو وزكرياء : عن ابن حجر العسقلاني.

وأخذ الشيخ عبد القادر أيضا : عن جده شرف الدين يحيى، عن جده المحب الأخير، عن أبي اليمن محمد بن أحمد الطبري، عن والده الشهاب أحمد بن الرضي، عن والده ابراهيم بن محمد، عن علي بن عبد الله بن سلامة، عن السلفي.

وأخذ الرضي أيضا : عن أبي بكر بن مسدي، عن أبي الخطاب بن واجب.

(وأخذ المحب الأخير أيضا : عن محمد المحب الأوسط، عن القطب اليافعي، عن الرضي.

ح : وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد البابلي المصري، عن الشيخ سالم السنهوري، وعن محمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بحجازي الواعظ، وعن الشهاب أحمد بن خليل السبكي : ثلاثتهم، عن الغيطي، عن زكرياء.

ح : وأخبرنا الشيخ نور الدين الشبراملسي، عن الشيخ ابراهيم اللقاني، والنور الزيادي، وسليمان البابلي، وسالم الشبشري، وحفيد الجمال بن زكرياء، والشهاب السبكي :

فالأول عن شمس الدين محمد البكري، وشيخ الإسلام محمود بن الشهاب الرملي، ونور الدين علي المقدسي، والشيخ محمد النحرير، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، والشيخ محمد الخفاجي، والشيخ أبو بكر الشنواني، والشيخ محمد العسيلي، والشيخ محمد الجبرتي، والشيخ محمد البهنسي الشافعي نزيل الحرم المكي، والشيخ عبد الرحمن الشريشي، والشيخ أحمد الخطيب الشربيني، والشيخ نور الدين الزيادي، والشيخ أحمد السنهوري، والشيخ طه المالكي، والشيخ أحمد المغماوي، والشيخ جامع الدميري : أخي أبي الفتح الدميري، والشيخ عبد الدائم البغري، والشيخ محمد البنوفري، والشيخ ابراهيم العلقمي، والشيخ عبد الله الشنشوري، والشيخ صالح البلقيني، والشيخ أحمد البلقيني، والشيخ أحمد الزرقاني، والشيخ محمد الترجماني، فلينظروا في فهرسته.

والثاني : عن الرملي عن زكرياء.

والثالث والرابع : عن الخطيب الشربيني، عن زكرياء.

والخامس : عن جده، عن زكرياء.

والسادس : عن الغيطي وقد تقدم، وعن الرملي وتقدم، وعن الشهاب المقدسي، عن الشهاب القسطلاني، عن الشمس بن القبابي، عن عمر بن

علي الانصاري، عن أبي الفتوح يوسف بن محمد الدلاصي، عن ابن الصائغ، عن عياض.

وروى ابن حجر الشفاء عن ناصر الدين : محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن الفرات، عن الدلاصي.

ح : ونا الشيخ الإمام : ابراهيم بن محمد بن عيسى الماموني الأنصاري المصري الشافعي، عن والده الشيخ محمد بن عيسى، وأبي بكر الشنواني، والشيخ محمد الخفاجي، والشيخ أحمد السنهوري المالكي، والشيخ محمد المشيراوي، والشيخ أحمد الخطيب الشربيني، والشيخ عثمان الغزي، والشيخ طه المالكي، والشيخ نور الدين الزيادي.

وكلهم عن العيطي، عن زكرياء.

وزاد السنهوري : عن ابن حجر المكي، عن زكرياء.

ونا الماموني أيضا : عن الرملي، عن زكرياء.

ح : ونا الشيخ الإمام : ملا ابراهيم بن حسن الشهرزوري الكردي نزيل طيبة المنورة، عن شيخه وعماده الشيخ صفي الدين القشاشي، والشيخ عبد الباقي الميداني الدمشقي، والشيخ عبد الملك العباسي الهندي، والشيخ ملامحمد شريف العراقي، والشيخ سلطان بن أحمد المزاحي المصري، والشيخ نور الدين العقيبي الأنصاري اليمني التعزي، والشيخ اسحاق بن جعمان الرميدي اليماني، والشيخ نور الدين العقيبي الأنصاري اليمني التعزي،والشيخ إسحاق بن جعمان الرميدي اليماني،

(247) والشيخ نور الدين علي بن الديبع الشيباني الزبيدي، والشيخ عبد بن مطير الحكمي اليمني، والشيخ علي بن مطير الحكمي، والشيخ عبد الكريم بن مطير الحكمي اليمني،والشيخ علي بن مطيرالحكمي،والشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ علي بن محمد بن صلاح الحسني الشافعي، الحنبلي، والشيخ ملا محمد بن أبي سفيان الحارثي النجاري، والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري، والشيخ عبد الكريم بن أبي بكر : هدية الله الحسيني الكوراني الشاهوي :

فالأول : عن أبي المواهب الشناوي، عن سيدي محمد البكري، عن والده سيدي أبي الحسن، عن زكرياء، وعن أبيه الشيخ علي الشناوي، عن الشعراني، والشمس العلقمي، وابن حجر المكي : كلهم عن السيوطي، وعن العبادي، عن الأرميوني، عن السيوطي، وزاد الشعراني : عن زكرياء.

والثاني : عن الشمس الميداني، عن يحيى بن عبد القادر النعيمي، عن والده عبد القادر بن محمد، عن قطب الدين الخيضري، عن الشهاب بن حجر العسقلاني.

والثالث : عن قطب الدين محمد بن علاء الدين النهروالي المكي، عن محدث اليمن وجيه الدين : الشيخ عبد الرحمن الديبع الشيباني، عن زين الدين الشرجي، عن ابن الجزري، وأخذ الشرجي أيضا : عن نفيس الدين العكي العدناني، عن الجمال الانشكامي، عن العز الفاروثي، عن الحاتمي، عن السلفي، عن عياض.

247) هكذا تكرر ذكر هذا الإسم والذي قبله.

والرابع : عن القطب النهروالي وقد تقدم، وعن ابن حجر المكي وقد تقدم.

والخامس : عن النور الزيادي وقد تقدم، وعن عميرة البرلسي، والشمس الرملي ابن الشهاب الرملي، والشهاب البلقيني، وابن حجر المكي : كلهم عن زكرياء.

والسادس : عن الجمال محمد بن علي بن مطير الحكمي اليمني، عن أبيه علي وهو العاشر، عن عمه عبد الله بن ابراهيم، عن أبيه ابراهيم، عن أبيه أبي القاسم، عن أبيه عمر، عن أبيه أحمد، عن أبيه ابرهيم، عن أبيه محمد بن عيسى، عن خاله ابرهيم بن عمرو التباعي، عن أبيه مظفر الدين عمرو بن علي، عن أبي عبد الله بن أبي الصيف، عن أبي طاهر السلفي، عن القاضي عياض.

والسابع : عن والده : الجمال محمد بن ابرهيم، عن عمه الجمال محمد بن أبي القاسم بن اسحاق، عن والده، عن شرف الدين بن جعمان، عن البرهان بن جعمان، عن الجمال محمد الطيب بن أحمد الناشري، والده، عن الجمال الديمي، عن الوجيه الناشري، عن الجمال العامري، عن ابن عجَيل، عن أبي بكر بن مسدي، عن أبي الخطاب بن واجب، عن السلفي.

والثامن : عن محمد بن الصديق الخاص اليماني، عن أبيه الصديق بن محمد الخاص، عن الشريف الطاهر بن الحسين الأهدل الحسيني، عن

الوجيه الديبع، وأخذ الثامن أيضا : عن ابن الصديق المتقدم، عن عبد الرحمن بن فهد، عن عمه جار الله، عن العلاء الكازروني، عن الجلال الدواني.

والتاسع : عن والده الصفي أحمد بن علي، عن والده علي وقد تقدم.

وأما الشيخ عبد القادر بن مصطفى : فعن ملا عبد الكريم بن سليمان الكوراني، عن خواجة محمد النجاري وملا حسين الخلخالي معا : عن ملامير زجان.

وأخذ الملا محمد بن أبي سفيان الحارثي النجاري : عن ملا صالح اليدخشي، عن ملا يوسف القرباعي، عن ملا ميرزجان، عن جمال الدين محمود الشيرازي.

وأخذ السيد عبد الكريم بن هدية الله : عن ملا حمد المنجلي الكردي، عن ملا حبيب الله ميرزجان الشيرازي، عن الجمال محمود الشيرازي.

وأخذ ملا شريف بن ملا يوسف وهو الرابع : عن والده ملا يوسف بن القاضي محمود الصديقي، عن ميرزا إبراهيم الحسيني الهمداني، عن أبي الفتح الشرقه، عن فخر الدين محمد بن الحسين الحسني السماكي، عن الجمال محمود الشيرازي.

وأخذ - أيضا - الصفي القشاشي : عن ملا شيخ الارموي الكردي، عن ميرزجان.

وأخذ أيضا : عن الشناوي، عن العبادي، عن الوجيه العلوي والقطب الايجي، عن أبي الفضل الكازروني، وهو ومحمود الشيرازي، عن الجلال الدواني الصديقي ●

والحادي عشر وهو عبد الباقي الحنبلي : عن المعمر عبد الرحمن الهبرتي الحنبلي، عن جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، عن والده زكرياء.

ح : والشيخ أحمد المنوفي : عن نور الدين الزيادي، عن العلقمي.

ح : ونا الشيخ ياسين بن محمد، عن عمر غرس الدين، والنجم الغزي، ومنصور المجلاوي، وعبد الرحمن الخياري، وأبي العباس المقري :

فالأول عن سالم السنهوري والنور الزيادي : عن الغيطي، عن حجازي، عن الارميوني، عن السيوطي، وعن الشيخ أحمد المنشيصي، عن ابن الترجمان، عن البدر المشهدي، عن محمد بن مقبل، عن عبد الوهاب بن السلار، عن الحجار، عن ابن النجار، عن الحاتمي.

والثاني عن والده البدر، عن جده رضي الدين، عن زكرياء.

والثالث عن سالم السنهوري وقد تقدم. والرابع عن الرملي وقد تقدم، وعن أحمد الكلبي : عن الشعراني، والنور الزيادي.

ح : ونا الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري : عن النجم الغزي والغرس الخليلي وتقدما، وعن عبد العزيز الزمزمي.

ح : ونا الشيخ عيسى الثعالبي : عن نور الدين الاجهوري، وشهاب الدين الخفاجي، والشهاب القليوبي، وسلطان بن أحمد المزاجي، وزين العابدين بن زكرياء الانصاري، وشمس الدين محمد بن عبد الفتاح الطهطائي، وتاج الدين بن أحمد المالكي، وعبد العزيز الزمزمي المكي، وأبي القاسم بن الجمال القيرواني، وتاج العارفين البكري التونسي، وغيرهم.

فالأول : عن أبي حفص عمر بن الجاي، وبدر الدين الكرخي، ونور الدين علي بن أحمد القرافي : ثلاثتهم عن السيوطي، وأخذ ابن الجاي والقرافي أيضا : عن الشهاب الحجرزي، عن ابن أبي المجد، عن الحجار، وأخذ الأجهوري أيضا : عن الرملي عن زكرياء.

والثاني : عن العلقمي، عن السيوطي والرملي، عن زكرياء، ووالده محمد الخفاجي، عن ابن حجر المكي، وعن خاله أبي بكر الشنواني، عن الغيطي.

والثالث عن الشمس الرملي.

والرابع تقدم.

والخامس : عن زكرياء.

والسادس عن سالم السنهوري، وعبد الرؤوف المنوي، ومحمد الشبراوي، ويوسف الزرقاني، وعن والده، عن البنوفري، عن ابن المنباوي، عن الشيخ زروق، وأخذ السادس أيضا : عن محمد الكلبي، عن الشيخ محمد بن يوسف الشامي صاحب السيرة، والأرميوني، والنور القرافي، والشعراني : كلهم عن السيوطي.

والسابع : عن خالد بن أحمد الجعفري، عن الرملي، عن زكرياء.

والثامن : عن والده محمد بن عبد العزيز، عن زكرياء، وأخذ والده أيضا : عن ابن حجر المكي.

ح : ونا الشيخ يوسف بن حجازي القاسمي الخبيرتي الخليلي، عن سالم السنهوري، وأبي بكر الشنواني، وعلى الحلبي، والشهاب القليوبي، وعبد الرحمن بن الخطيب الشربيني، وعامر الشبراوي، وأبي الحسن الخطيب، ومحمد الخطيب، ومنصور الحنبلي، ومحمد الشوبري، ومحمد الشامي ، ومحمد الجابري •

ح : ونا الشيخ عمر بن عبد القادر المشرقي الحنفي، عن صالح التمرتاشي والغرس الخليلي، وأخذ صالح عن والده محمد بن عبد الله، عن الشمس المشرقي العزي، عن الشعراني، وأخذ والده أيضا : عن أمين الدين

بن عبد العالي الحنفي، عن عبد الله بن الشحنة الحنفي، وزكرياء، وأبي عمرو عثمان الديمي : عن ابن حجر (بياض).

ح : ونا الشيخ خير الدين الرملي، عن أحمد الجنبلاطي، عن أبيه أمين الدين، عن جده عبد العالي، عن ابن حجر.

ح : ونا الشيخ عبد القادر بن القصير العزي، عن الشيخ المقري، والشيخ ابراهيم اللقاني، والشيخ علي الحلبي : عن الرملي.

وأما الطرق المشتركة بين المشارقة والمغاربة فكثيرة : منهم سند القصار : عن أبي الطيب الغزي، والبدر القرافي، والزين البكري، وغيرهم. وسند المنجور : عن الغيطي، وله أسانيد شتى.

وسند خروف : عن الكمال الطويل، عن الزين العراقي، والمجد التركماني، والنور الهيتمي : الأول عن العز بن جماعة والصلاح العلائي، والثاني والثالث عن الميدومي، وأخذ الأول عنه أيضا :

وأخذ خروف أيضا : عن الشمس اللقاني، عن البرهان اللقاني، عن ابن حجر.

وبرواية سقين عن زكرياء والقلقشندي : عن ابن حجر، وأخذ زكرياء أيضا : عن أبي اسحاق بن صدقة، والصلاح الحكري، وأبي عبد الله الرشيد : كلهم عن الزين العراقي، وأخذ القلقشندي أيضا : عن أبي محمد الهيثمي، عن العز بن جماعة.

وأخذ سقين أيضا : عن عبد الحق السنباطي، عن الزين القابوني، وعن الغاقوسي، وأبي الطيب بن حجر، وأم محمد العراقية، وأم الكرام أنس، وزوجة ابن حجر، والبدر النسابة، والتقي الشمني، والشرف الحريري، والابيتجي.

فالستة الاول : عن الزين العراقي.

والسابع : عن عمه وابن الكويك معا، عن **الميدومي**.

والثامن : عن الأبشيطي والتقي الزبيري معا : **عن الميدومي**.

والتاسع والعاشر : عن الانباسي، عن الميدومي.

وأخذت أم الكرام وزوجة ابن حجر معا : عن أبي الكويك، عن الميدومي.

وأخذ الفاقوسي أيضا : عن أبي هريرة بن الذهبي، عن أبيه الحافظ الذهبي.

وأخذ سقين أيضا : عن الشمشين : السخاوي والتتاءي. فالأول : عن ابن حجر، والشرف المراغي، والثاني : عن الحجازي، والشمني، والنسابة والابيتجي، والفاقوسي، وتقدموا، وعن الجوجري، والفخر السيوطي، والزكي المناوي : الأول والثالث : عن الزين العراقي، والثاني : عن التنوخي، عن الميدومي، عن ابن منصور، عن ابن خميس، عن عياض.

وبسند اليسيتني : عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد الحطاب المكي، عن والده، عن الشمس المراغي، عن الشرف المراغي، عن ابراهيم

بن فرحون اليعمري، عن ابن جابر الوادي أشي، عن الذهبي، وعمن تقدم.

وبسند ابن غازي ، عن أبي عبد الله الصغير، عن أبي عبد الله السلوي، عن أبي شامل الشمني، عن الماغوسي، (كذا)، عن الأسواني،عن ابن تامتيت، عن أبي الحسن بن الصائغ، عن القاضي عياض. وأخذ ابن غازي أيضا ، عن أبي عبد الله محمد. بن يحيى البادسي، عن أبي زيد الثعالبي، عن أبي محمد الغرياني، عن أبي عبد الله البطرني عن محمد بن أحمد بن حيان الاوسي، عن أبي بكر محمد بن فتوح، عن أبي طاهر السلفي.

وسند السنوسي : عن ابرهيم التازي، عن أبي الفتح المراغي، عن ابن الفرات، عن التنوخي، عن الحجار، عن أبي الفضل الهمداني، عن السلفي.

توضيحـــــــــات

إن المصـــادر والمراجـــع الـــواردة بالهوامـــش تذكـــر وضعيتهـــا عند الإحالة الأولى : مخطوطة ومكانها ورقمها، أو منشورة مع ذكر المطبعة أو الناشر وبلد ذلك، مراعيا في الإحالات الاقتصار - غالبا - على المستندات الأصيلة.

وترد بالهوامش والدراسة إشارات للمخطوطات هكذا :

خ.ع.د : قسم حرف الدال من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ع.ك : قسم حرف الكاف من نفس الخزانة.

خ.ع.ق : قسم حرف القاف من نفس الخزانة.

خ.ع.ج : قسم حرف الجيم من نفس الخزانة.

خ.م : الخزانة الملكيـــة.

وبالنسبة للمطبوعات الحجرية الفاسية : ط.ف.

كتاب الشفا

للأُستاذ : محمد العربي البهلولي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشفا

الحمد لله رب العاليمن والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الأمين وعلى آله وصحبه الأكرمين

لقد أراد الله تعالى إبراز ما كان مقدورا غيبا في الازل إذ أن له الأجل في تجديد علوم الدين وإحياء ذكريات الأئمة العلماء المجتهدين بنداء دعوة صاحب الجلالة أمير المومنين مولانا الحسن الثاني، سلطان المغرب أيد الله نصره وخلد في الصالحات ذكره. إذ أمر جلالته بندوة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه الذي هو إمام الأئمة وشيخهم وإمام دار الهجرة بلا نزاع في رتبته قلبي دعوته الجم الغفير من علماء المشرق والمغرب في العالم الإسلامي على رأس المائة المتممة للقرن الرابع عشر في السنة الماضية، ثم أقر نصره الله الآن بإقامة ندوة للقاضي عياض وارث مذهب مالك وممن بلغ درجة الاجتهاد وقد انتشرت تآليفه وعلومه في سائر أقطار البلاد حتى في بلاد العجم. قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن صعد. تآليف القاضي أبي الفضل رحمه الله دالة على ماله عند الله من الكرامة والعناية فمن تأمل انتفاع المسلمين بها شرقا وغربا علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية. وكتابه الشفا وهو وسطى القلادة وبرنامج السعادة وفيه يقول بعض الفضلاء.

أنس الوحيد ودئمة الانـــــــداء ونسيـــم عـــرف الروضـــة الغنـــــاء
وضياء مأمول الرضا ومديـــــــده وقـــلادة الحنفـــاء والسعـــــداء
وامان كل مخـــــوف وعيـــــاذه مـــن طـــارق الأهـــوال والأهـــواء
كتـــب الشفـــا وقتلنـــا بحقـــوق من قـــد حصصتـــه مكـــارم الآ بـــــــاء

ونصوص أنباء النبي محمد كرمت مصححة عن العلماء
بشر عياض ان غرس بنابه وزكائه فيه من الشفعاء
تتلذذ الأرواح في تخليصها كتلذذ العافين بالنعماء
إني بذكر محمد وصفاته لهج وفيه همتي ورجاء
ووسيلتي يوم الشفاعة حبه وإذا مرضت ففي الشفاء شفاء
أهلا به وبآله وبصحبه غر الوجوه وزين كل ملاء

ولعلماء المذاهب اشعار كثيرة في مدحهم لكتاب الشفا وانه لا يوجد مثله في التعريف بحقوق المصطفى (ص) ومن أجل تآليفه أيضا كتابه مشارق الأنوار على صحيح الآثار الذي يقول فيه الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح :

مشارق أنوار تجلت بسبتة وذا عجب كون المشارق في المغرب

وقال غيره :

مشارق أنوار طلعن بمغرب انرن جميع الشرق بالطالع الغرب
بد أنوار فيه الكون قد لاح هاد ياريـاض عياض نزهة العين والقلب
جزى الله عنا كل خير ومنه عياضا بما أبدى لنا من مشارق

واشعار العلماء فيه كثيرة. ومن تآليفه اكمال المعلم في شرح مسلم. وكتاب الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع. ومن أجل كتبه أيضا كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك الذي أمر صاحب الجلالة نصره الله بطبعه فهو معدود من آثاره فأصبح موجودا بعد أن كان مفقودا فقرت به أعين القراء في الأمصار والمدن والقرى وهو كما قيل غريب في شكله فلا وجود لمثله وله تآليف أخرى غير ماذكر. كما له رضي الله عنه عدة قصائد في مدح النبي والتوسل به صلى الله عليه وسلم. وقد اعتنى بالتعريف به وتاريخه وبالتنويه بتآليفه علماء الأمصار وانتشرت تآليفه وشاعت في الآفاق علومه ومعارفه ولد رضي الله عنه على ما قاله محمد ابنه في منتصف شعبان سنة 476 وتوفي رحمه الله سنة 544 ونسبه عياض بن موسى بن عياض بن عمرون وبعضهم يقول ابن عمرو بن عيسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض

اليحصبي، ينسب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن. قيل بينه وبين الإمام مالك صلتان إحداهما من جهة العلم، والأخرى من جهة النسب. وكان أسلافه بالقيروان ثم انتقلوا إلى فاس ومنه انتقلوا إلى سبتة التي بها كان مولده. وأخباره رضي الله عنه. أشهر من نار على علم.

وضريحه أحد أضرحة الرجال السبعة المشهورين بعاصمة الجنوب مراكش الحمراء. وترجمه صاحب نسيم الرياض الشيخ أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري الشافعي في شرحه على الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى. فقال في نفسه عياض بن موسى بن عياض بن عمرو هكذا بدون نون بعد الواو. بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي الغرناطي المالكي قاضي سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره كالمشارق ثم نقل إلى غرناطة في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل أمده بها ثم ولى قضاء سبتة ثانيا وكان مولده في شهر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة فهو سبت الدار والميلاد أندلسي الأصل فإن أصوله نشأوا قديما بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس. وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل إلى سبتة بعد سكنى فاس وهو بحر في العلوم النقلية والعقلية واما ادبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج ووفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الأخيرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة انتهى مختصرا.

وفي طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان إماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تآليفه ثلاثين تأليفا جليلة وأنشد شيئا من شعره.

فجزى الله أمير المؤمنين خيرا ووعده مغفرة وأجرا عن اعتنائه بإحياء علم الدين وتعظيمه لأهله وذكرهم بالجميل احياء وأمواتا فقد اشتهر من ورخ مومنا فكأنما احياه. كما اشتهر أيضا بذكر الصالحين تتنزل الرحمات نصر الله أمير المؤمنين وحفظه في ولي عهده وصنوه وسائر أسرته ورجال دولته المخلصين في خدمته ومصالح رعيته، آمين والحمد لله رب العالمين.

اللجنة التنظيمية لدورة القاضي عياض
العاملة تحت إشراف
السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
السابق الدكتور أحمد رمزي

والمتكونة من السادة :

1	- السيد محمد المرابط	الكاتب العام للوزارة
2	- السيد الإسماعيلي العلوي	مدير الديوان
3	- السيد شاكر التجاني	رئيس قسم الدراسات الإسلامية
4	- السيد محمد الكبير العلوي	رئيس قسم التوجيه الديني
5	- السيد فتح الله بيرو	رئيس القسم المالي
6	- السيد عبد الهادي التراب	رئيس قسم الشؤون العامة
7	- السيد البلعمشي أحمد يكَن	رئيس مصلحة إحياء التراث
8	- السيد محمد أبو الفضل	رئيس مصلحة التوعية والفتوى
9	- السيد محمد البهاوي	رئيس مصلحة البحث والإحصاء
10	- السيد عبد القادر الإدريسي	المكلف بمجلة دعوة الحق
11	- السيد عبد الفتاح العاني	مكلف بمكتبة الأوقاف
12	- السيد عبد الله جوريو	من مصلحة الموظفين
13	- السيد أحمد فرتات	من مصلحة الموظفين
14	- السيد حسين ديكوك	من مصلحة الموظفين
15	- السيد عبد القادر المكاري	من مصلحة الموظفين
16	- السيد عبد الله المير	من مصلحة الموظفين
17	- السيد بوشعيب بويطة	من مصلحة التوعية والفتوى
18	- السيدة أمينة أوفقير	من مصلحة الموظفين

فهرس الجزء الثالث
من دورة القاضي عياض

رقم الإيداع القانوني 313 / 1983

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

1404 هـ ـ 1984م